مداخلة حزب الوسط

اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

اليسار / العدد الخامس و السبعون/ مايو ١٩٩٦ م / ذى الحجة ١٤١٦ هـ / الثمن جنيهان مصريان



شرم الشيخ.. إشارة البدء للعدوان الاسرائيلى

القطاع العام فى سوق النخاسة الدولى

خصخصة التأمينات الاجتماعية



وداعا محامى الشعب

المؤسسة العسكرية تسيطر على سياسة أمريكا الخارجية

فى هذا العدد

لليسار در

لبنان .. ومصر

فرضت الاحداث علينا أن نعطى اهتماما خاصا- كما رأينا- لموضوعين محددين.

الأول .. العدوان الاسرائيلى على لبنان .فى العدد الماضى وصفنا مؤتمر شرم الشيخ بأنه مؤتمر اسرائيلى أمريكى ، يعطى اسرائيل ضوءا أخضر لتفرض على المنطقة سطوتها وتفوقها العسكرى والاقتصادى و السياسى،ولتضرب المقاومة الوطنية العربية للاحتلال تحت اسم مكافحة الارهاب . ولم تمضى أيام قليلة حتى أثبتت الاحداث -للأسف- صحة تحليلنا .. وشنت اسرائيل هجوما جويا بريا بحريا على المقاومة اللبنانية (حزب الله) وعلى الشعب اللبنانى والبنية الاساسية اللبنانية . وكان واضحا أن أهداف وأبعاد هذا العدوان تتجاوز بكثير لبنان وشعبه ومقاومته.

*الثانى.. موضوع بيع القطاع وتصفيته ، أو كما يسمونه الخصخصة . فى البداية دار حوار فى مجلس المستشارين حول كيف تحتفل«اليسار» بعيد العمال العالمى (أول مايو) . ولم يستغرق الحوار طويلا . اتفقنا جميعا أن أفضل هدية نقدمها للعمال هو ملف -بالحقائق والمعلومات - عن بيع وتصفية القطاع العام حاولنا أن يكون متكاملا ، وشارك فيه رئيس التحرير ود. أحمد الحصرى ومحمود الحضرى ، واستعنا بدراسة (أجزاء) منشورة شارك فيها د. ابراهيم سعد الدين و د. ابراهيم العيسوى . وخارج هذا الملف فاجئنا مصباح قطب بتفجير قضية هامة، هى قضية التأمينات واحتمالات دخولها فى مسلسل الخصخصة. ومن برلين رسم نبيل يعقوب صورة دامية لخصخصة مجتمع كامل فى ألمانيا الموحدة. وهو ما كان يعرف فى الماضى بجمهورية المانيا الديمقراطية.

ولم يؤثر اهتمامنا بموضوعين محددين على«بقية الاهتمامات المصرية والعربية والدولية..» والابواب الثابتة .. والادب والفن ،الفن التشكيلى.

وقد قررنا أن نهدى هذا العدد الذى يجمع بين «البعد القومى» و، «البعد الاجتماعى» إلى واحد من أكبر مفكرينا وأعمقهم وأكثرهم استقامة.. إلى الراحل العظيم د. «عصمت سيف الدولة» محامى الشعب.

اليسار

موقفنا

● أم لبنانية تحمل جثمان طفلها (٦ سنوات) التي أصيبت في القصف الإسرائيلي الأخير على بلدتها الجنوبية أمس (أ. ف. ب)



● طفلة لبنانية جريحة من ضحايا القصف الإسرائيلي (أ. ف. ب)

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفني:
د. أحمد عز العرب
المستشارون:
ابراهيم بدراوي
أحمد نبيل الهلالي
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عبد الغفار شكر
عبد الغني ابو العينين
محمود أمين العالم
محمد وفاء حجازي

شارك في التأسيس:
د. فؤاد مرسي

اليسار: منبر ديمقراطي يصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في اليوم الأول من كل شهر

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST TALAAT HARB SQ CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٤جنيها للأفراد و ٦٠جنيها للهيئات.
الوطن العربي: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكي أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفي أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ -
FAX: 5786298

شرم الشيخ .. اشارة البدء للعدوان الاسرائيلى على لبنان

خريطة جديدة للمنطقة ترسمها أمريكا واسرئيل وتركيا

حسين عبد الرازق

لا أدرى ماذا يقول اليوم أصحاب الدعوة لمؤتمر شرم الشيخ (**قمة صانعى السلام**) ،والذين هللوا ورحبوا به وتحدثوا بثقة عن ايجابياته، واعتبروا موقف الاحزاب والقوى السياسية التى وصفت هذه القمة بأنها «خطوة سلبية أخرى تعوق تحقيق هدف السلام الشامل والعادل ولا تساعد فى تقدم التسوية السياسية أو المواجهة الحقيقية للارهاب بمفهومه الصحيح .. وأنها قدمت خدمة واضحة للسياسات الاسرائيلية الأمريكية فى المنطقة».. موقفا خاطئا ومغامراً.

فما تعيشه المنطقة منذ ختام هذا المؤتمر وحتى الآن **دليل لا يقبل الشك أن المؤتمر كان مؤتمراً اسرائيليا فى أهدافه ونتائجه** ،وضد كل المصالح العربية ،وضد أى تطلع لسلام حقيقى.

لقد وجه«التحالف **ضد الارهاب**» الذى أعلن عن مولده فى شرم الشيخ أول ضرباته للشعب اللبنانى، والمقاومة الوطنية (الممثلة فى حزب **الله**) فى الجنوب المحتل. وتعرضت قرى ومدن الجنوب، وبيروت (لأول مرة منذ ١٤ عاما) ،والبقاع ، لقصف جدى متواصل واطلاق للمدفعية، وقتل للمدنيين والأطفال وتهجير اجبارى لسكان الجنوب (٥٠٠ ألف حتى الآن) فى اتجاه بيروت.

وهكذا مارست اسرائيل- بدعم كامل وسافر من أمريكا- ارهاب الدولة بلا حدود، تحت شعار مكافحة الارهاب .. ولم تخف

[illegible]

-توجيه رسالة إلى الحكومة اللبنانية والحكومة السورية **بضرورة وقف هجمات حزب الله ضد الاحتلال الاسرائيلى** للشريط الحدودى فى الجنوب اللبنانى (المسمى بالمنطقة الأمنية) ،واطلاق قذائف الكاتيوشا على شمال اسرائيل ،والذى عاد حزب الله لممارسته ردا على قتل اسرائيل للمدنيين اللبنانيين فى الجنوب.

أي وقف آخر اشكال المقاومة العربية ضد الاحتلال الاسرائيلى ،وتحويل الامر إلى حروب أهلية عربية عربية. فبعد حصارها لقطاع غزة والضفة الغربية وفرض التجويع على الفلسطينيين والزام سلطة الحكم الذاتى بتوجيه ضربات عنيفة إلى«**حماس**» و «**الجهاد الاسلامى**» على أمل تفجير صراع دموى «فلسطينى - فلسطينى» فى مناطق الحكم الذاتى . يسعى **بيريز** إلى تفجير الحرب الأهلية اللبنانية بين حزب الله والحكومة اللبنانية ،والسورية ان أمكن.

-تأديب سوريا ولبنان لمقاطعتهما لقمة شرم الشيخ التى رتبت على عجل لمساندة اسرائيل وحكومة **شيمون بيريز** ،وابلاغها برسالة واضحة مضمونها ضرورة الانخراط فى التسوية السياسية- لا على

[illegible]

سوريا ولبنان والتى تقوم على الأرض مقابل السلام- ولكن على أساس القبول بالشروط الاسرائيلية الأمريكية والتى تمس سيادة واستقلال وحقوق الدول العربية وتؤكد السيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية على المنطقة.

- ضمان **شيمون بيريز وحزب العمل** الفوز فى الانتخابات البرلمانية (٢٩ مايو) بسحب البساط من تحت اقدام «اليمين» الاسرائيلى الذى وجه سهامه للتسوية السياسية الجارية فى المنطقة .. وذلك بتبنى مواقف اليمين وممارسة الارهاب ضد الشعوب والحكومات العربية التى قبلت الدخول فى هذه التسوية ، بأعنف مما كان سيمارسه ذلك«اليمين الاسرائيلى».

ويأتى هذا العدوان الاسرائيلى على لبنان وما يحمله من دلالات خطيرة موجهة ضد التسوية السياسية وضد سوريا والعرب جميعا ، كحلقة فى سلسلة من الممارسات التى تصب جميعها فى **سياسة «اسرائيلية -أمريكية» جديدة ، بدأت مع قمة شرم الشيخ.**

فى هذه القمة خطت اسرائيل خطوة جديدة فى اتجاه فرض التطبيع على الحكومات العربية ،والزامها بالهرولة فى هذا الاتجاه . فتلقى **بيريز** دعوة من حكام **قطر وعمان** لزيارة البلدين .وقام بهذه الزيارة بالفعل بينما جنوده يواصلون ارهابهم وتجويعهم للشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة الخاضعة لسلطة الحكم الذاتى ،ويعلن بيريز بوضوح وهو على متن طائرته فى الطريق إلى عمان ، أن **المستوطنات الاسرائيلية ستبقى فى مكانها ،والقدس ستظل عاصمة موحدة لاسرائيل.**

وبعد القمة، **طار كلينتون** مباشرة إلى اسرائيل للمشاركة فى اجتماع مجلس وزراء اسرائيلى مصغر ،أو اجتماع لوزارة الحرب الاسرائيلية) فى سابقة هى الأولى من نوعها ، ليعلن بعدها التوصل إلى مشروع اتفاقية أمنية جديدة بين الولايات المتحدة واسرائيل(راجع اليسار العدد ٧٤ ابريل ١٩٩٦)، وبعبارة أخرى«**عقد حلف دفاعى بين اسرائيل والولايات المتحدة**» يتم التوقيع على وثائقه أثناء زيارة بيريز للولايات المتحدة ،ويتضمن تعهداً أمريكياً صريحا بالحفاظ على أمن اسرائيل وضمان تفوق نوعى للجيش الاسرائيلى على كافة الدول العربية (مجتمعة) وإيران.. أى الاتفاق على«**استراتيجية حرب** يتم اعلانها فى وقت تتوجه فيه المنطقة إلى السلام» على حد تعبير السفير **محمود مرتضى ممثل مصر الدائم فى الجامعة العربية.**

وتوقيع معاهدة الدفاع المشترك «الاسرائيلية -الأمريكية» -اذا جاز التعبير- **ينقل العلاقات الاستراتيجية بين البلدين والالتزام الامريكى تجاه اسرائيل إلى مستوى جديد** تماما، تنتقل بموجبه «العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة واسرائيل إلى ما يتجاوز أى شكل معروف للاتفاقات والتحالفات ،بحيث نجد أنفسنا هنا، فى الشرق الأوسط ، مجاورين ليس فقط لولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ،ولكنها فوق ذلك ولاية يهودية مدللة»كما كتب د. **اسامة الغزالى حرب**- وهو من أبرز المؤيدين للتسوية الجارية فى الوقت الحاضر والسوق الشرق أوسطية-فى صحيفة الاهرام.

ولكى ندرك أهمية هذا الحلف الجديد أو معاهدة الدفاع المشترك [illegible]

عام ١٩٦٠ ،اخذ فى السنوات الاخيرة شكل مذكرات تفاهم بدءاً بمذكرة التفاهم الأولى عام **١٩٧٣** ،والثانية فى ديسمبر **١٩٧٤** ،والثالثة فى سبتمبر **١٩٧٥** ، ثم مذكرة التفاهم فى مارس **١٩٧٩** والتى وقعها **سيروس فانس وموشى دايان** ، فمذكرة التعاون الاستراتيجى بين الطرفين (نوفمبر ١٩٨١) ووقعها **الكسندر هيج** وزير الدفاع الامريكى **وأريل شارون** وزير دفاع اسرائيل .وجرى تطوير هذا التعاون الاستراتيجى بتوقيع **ريجان فى ٢٩ أكتوبر ١٩٨٣** على المذكرة السرية رقم(١١١) الصادرة عن مجلس الأمن القومى المتضمنة تقوية العلاقات مع اسرائيل وتوسيعها خصوصا فى المجال العسكرى ،وتوالت الخطوات الرامية إلى تعميق هذا التحالف (مذكرة التعاون الاستراتيجى فى ٣٠ نوفمبر **١٩٨٣-اتفاقية ١٩٨٤ بين رابين وكاسبار واينبرجر**- اتفاقية **١٩٨٧** بين **رابين وفرانك كارلوتشى** وزيرا دفاع البلدين والتى ضمنت بقاء اسرائيل قوية ومهيمنة فى الشرق الأوسط- وثيقة التفاهم الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل١٩٨٨..) ... وللمرة الأولى يتحول هذا التحالف إلى معاهدة رسمية بين البلدين . ويتم هذا التحالف مع استمرار احتكار اسرائيل للسلاح النووى فى المنطقة.

واستكملت اسرائيل هذا التحالف ، بتحالف جديد مع تركيا . فوقع البلدان إتفاقا ينص على تعاون وثيق بين القوات الجوية الاسرائيلية والتركية ،والسماح لاسرائيل باستخدام قواعد جوية تركية لإجراء تدريبات فى الأجواء التركية.وقد جاء هذا الاتفاق -أو التحالف- تتويجا لسلسلة متكاملة من خطوات التعاون العسكرى التركى الاسرائيلى فى الفترة الماضية، وعبرت تركيا بوضوح عن عمق هذا التحالف بقيام **سليمان ديميرل** رئيس جمهورية تركيا بأول زيارة يقوم بها رئيس تركى لاسرائيل،**ثم وصوله إلى شرم الشيخ لحضور قمة مكافحة الارهاب على متن طائرة شيمون بيريز التابعة لسلاح الجو الاسرائيلى**، وهو أمر لا تخفى دلالته على أحد.

وبلا شك فهذا التحالف يزيد من الخلل الاستراتيجى فى المنطقة ،ويمثل جزءا من التحرك الاسرائيلى الأمريكى لتطويق العرب والموجه ضدهم جميعا ،ولكنه موجه أيضا وبصفة خاصة ضد **سوريا و(لبنان) وايران ومصر.**

فاسرائيل لا تخفى نظرتها إلى سوريا باعتبارها الدولة العربية الوحيدة التى لا تزال -ولو إلى حين- تمثل تهديدا **عسكريا مفترضا** لها. وهو ما يضع سوريا (ولبنان) فى بؤرة الاهتمام للاستراتيجية الاسرائيلية. فى نفس الوقت فالعلاقات التركية السورية تواجه تأزما متصاعدا فى المرحلة الأخيرة نتيجة حرب المياه التى تشنها تركيا على سوريا والعراق عن طريق تحكمها فى منابع **نهر الفرات** ،واتهام تركيا لسوريا بمساعدة **حزب العمال الكردستانى** فى حربه ضد ارهاب الدولة التركية.

وترى سوريا -بحق- أن هذا الاتفاق «**محاولة لفرض حصار استراتيجى وعسكرى عليها من قبل دولتين مجاورتين لها شكلا تاريخيا مصدر خطر أمنى أساسى عليها**» . **ويرى الرئيس حافظ الاسد- بحق أيضا- أن سوريا أصبحت منذ قمة شرم الشيخ ، هدفا للمعسكر والمناهض للارهاب » كما يسمى نفسه، بزعامة اسرائيل والولايات** المتحدة [illegible]

فإذا أضيف إلى ذلك موافقة الاردن على مرابطة طائرات أمريكية على أراضيه ،واجراء مناورات عسكرية مشتركة ،وقبل ذلك زيارة رئيس

الاركان الاردنى لاسرائيل للتنسيق الامنى بين الاردن واسرائيل . فمن
الطبيعى أن تشعر دمشق بالقلق وأن تقول أن كل ذلك «حلقة من
مخطط يستهدف تطويع المنطقة وسوقها إلى اتفاقات
مجحفة مع الدولة العبرية تؤدي إلى بسط هيمنتها على
مقدرات الشرق الأوسط» .فهذه التطورات على جبهتى سوريا
الشمالية والجنوبية تستهدف الضغط لاحداث تغيير فى موقفها من
مفاوضات التسوية من جهة، وموقفها من المنظمات المعارضة والناقدة
لمنهج ونتائج التسوية، وعلاقتها مع الدول الرافضة لهذه التسوية.

وبالنسبة لايران فهناك تأزم فى العلاقات مع تركيا خلال السنوات
الماضية وتبادل لاتهامات حول دعم ايران لتنظيمات. تركية متطرفة
وارهابية ،واتهام ايران لتركيا بنشاط معاد لها، بالاضافة للتنافس
بينهما على النفوذ فى دول آسيا الوسطى الاسلامية (السوفيتية سابقا)
وفى شمال العراق. ولكن الأهم من هذا الدور التركى فى خدمة سياسة
الاحتواء المزدوج الأمريكية للعراق وايران.

وقد أدركت الادارة المصرية بوضوح الأخطار الناجمة عن التحالف
التركى الاسرائيلى، فقال عمرو موسى ان هذا الاتفاق خطير ويتعلق
بالأمن فى المنطقة وان مصر لن تسمح باختلال الأمن لمصلحة طرف على
حساب طرف آخر .. وان كل فعل من هذا النوع سيكون له رد فعل مواز
ومساوله فى القوة». وقال اسامة الباز «ان قيام تحالف
عسكرى جزئى أو استراتيجى بين دولتين غير عربيتين فى
منطقة الشرق الأوسط (تركيا واسرائيل) يلقى ظلالا من
الشك فى أنه موجه إلى الدول العربية..ولا يصح الدخول فى
ترتيبات اقليمية خارج اطار المشاورات بين جميع القوى فى المنطقة»..

ومن الواضح أن ادارة الرئيس مبارك تشعر بانزعاج
حقيقى من التحركات التى تصب فى استبعادها من
الخطوات المتبقية من عملية التسوية ومن تقزيم دورها فى
المنطقة سواء عقب التسوية أو فى مراحلها الأخيرة.وفى
نفس الوقت فالخلل المتصاعد فى التوازن العسكرى بين
اسرائيل ومصر ،سواء فى الأسلحة التقليدية أو فوق
التقليدية، والنووية التى تحتكرها اسرائيل ، أمر
مرفوض من المؤسسة العسكرية وهو أمر ليس فى طاقة
ادارة الرئيس مبارك تجاهله.كذلك فالرئيس وحكومته تشعر أنها
تلقت لطمة قاسية بعد المبادرة بتقديم الغطاء المطلوب للتحرك الأمريكى
الاسرائيلى بتطوعها بالدعوة لمؤتمر شرم الشيخ، الذى تحولت نتائجه إلى
وبال على مصر والعالم العربى، يضع الحكم فى مصر فى حرج بالغ أمام
الشعب المصرى ،والحلفاء العرب(سوريا).

والمشكلة أن الولايات المتحدة تعلن تأييدها بوضوح للاتفاق التركى
الاسرائيلى ،ولا تبدى اهتماما برد الفعل المصرى، مطمئنة إلى «عدم
تجاوز التصعيد المصرى النقد والتعبير عن الاستياء» وأن
الخيارات أمام مصر محدودة. «فالتوجه نحو ما يشبه المحور المصرى
-السورى ردا على المحور التركى الاسرائيلى- اذا حدث -يبقى ناقصا
وغير مواز أو مساو لقوة الاتفاق الاسرائيلى التركى» و «ان موجة
[illegible]»

ولا تقف نتائج التحرك الامريكى -الاسرائيلى فى ظل [illegible]

الشيخ عند هذه الحدود فالولايات المتحدة تستكمل عدوانها ضد العرب
بالتهديدات المتوالية والمتصاعدة ضد ليبيا.

ففى تصريح غريب أدلى به «وليام بيرى» وزير الدفاع الأمريكى
فى القاهرة ،وعقب لقائه مع الرئيس حسنى مبارك .قال أنه أطلع
الرئيس خلال مباحثاتهما على دلائل قوية على وجود برنامج ليبى لتطوير
أسلحة كيماوية ،وأن واشنطون لن تسمح لطرابلس بانتاج مثل هذه
الاسلحة لان ذلك يعد تهديدا للقوى الاقليمية مثلما هو تهديد للولايات
المتحدة .وقال بيرى إن الولايات المتحدة لا تستبعد القيام
بعمل عسكرى ضد ليبيا.

ورغم نفى ليبيا القاطع لهذه الادعاءات ،وتأكيد القاهرة عدم وجود
أدلة على هذا الادعاء ، فقد صعدت الولايات المتحدة من حملتها ضد
ليبيا وطالبت المجتمع الدولى بالعمل للحيلولة دون استكمال ليبيا بناء
مصنع للأسلحة الكيماوية تحت الأرض.

وهكذا تتوالى تجليات مؤتمر شرم الشيخ بهدف الاسراع بإعادة رسم
خريطة المنطقة وفرض التسوية الامريكية الاسرائيلية على العرب،وهو
الأمر الذى دفع أحد دعاة هذه التسوية إلى القول صراحة.. «فالتفوق
العسكرى المطلق يغرى بالتوسع والعدوان.. فضلا عما
يشكله بالقطع من سند لتوجهات السيطرة وإملاء الإرادة
السياسية. ولذلك فإن السلام من هذا النوع لا يكون -فى
التحليل الأخير- الا استسلاما ،وخضوعا من طرف إلى
طرف آخر».

ان ما يجرى الآن ليس مجرد تطورات جديدة، ولكنه نقطة تحول
فاصلة وما لم تتحرك القوى الوطنية فى مصر والعالم العربى لإفشال
هذه المحاولة وتصحيح الاخطاء السابقة التى قادتنا إلى هذه النقطة
الحرجة ،فسيسجل على هذا الجيل أنه كان جيل الاستسلام.

والطريق واضح وبسيط.

ويبدأ بأن نعيد جميعا النظر فى موقفنا من منهج التسوية
السياسية التى انطلقت فى مدريد عام ١٩٩١ ،وما انتهت
اليه من اتفاقات مجحفة(أوسلو- القاهرة- طابا- وادى عربة)
،وصولا إلى اطلاق يد اسرائيل فى المنطقة وفرض الهزيمة على العرب..
والضغط على حكومات مصر وسوريا ولبنان والاردن
وفلسطين لتعقد قمة لهذه الدول (دول الجوار أو دول
الطوق) لوضع نواة لاستراتيجية عربية تستهدف اعادة
التوازن للأوضاع فى المنطقة..والتنديد بالحكومات العربية التى
تهرول لانشاء علاقات تجارية واقتصادية (وسياسية) مع اسرائيل فى
المغرب والخليج .. وتكثيف الجهود الشعبية المصرية (والعربية) ضد
التطبيع والنظام الشرق أوسطى ، وضد أستمرار العدوان
على لبنان، واستمرار القمع والحصار والتجويع للشعب الفلسطينى ..
والتصدى لاحتمالات تفجر الصراع الفلسطينى -الفلسطينى.ومطالبة
الحكومة المصرية بإيقاف أى اجراءات تطبيع مع اسرائيل
ووقف الزيارات المتبادلة بين المسئولين ، وسحب السفير
المصرى من اسرائيل.. وغير ذلك من الاجراءات
الاحتجاجية التى تضغط من أجل استراتيجية مصرية

الجو السياسى

محاكمة مؤسسى حزب الوسط

صعد الحكم من حملته الأمنية ضد تيار **الاخوان المسلمون** . فبعد حملات القبض فى العام الماضى- قبل انتخابات مجلس الشعب- والتى انتهت بإحالة ٨٣ من «الاخوان المسلمون» إلى المحاكمة العسكرية من بينهم د.**عصام العريان** الأمين العام المساعد لمجلس نقابة الأطباء، وعضو مجلس الشعب السابق ، ود. **عبد المنعم أبو الفتوح** الأمين العام لإتحاد الأطباء العرب، وحكم عليهما مع (٥٢) وآخرين بالسجن لمدد تتراوح ما بين ٣و ٥ سنوات، **ثم القبض على ٤٦ عشية عيد الفطر المبارك (فبراير ١٩٩٦)** من الفيوم والجيزة والقاهرة ،واتهامهم بالانضمام إلى تنظيم سرى(الاخوان المسلمون) بهدف قلب نظام الحكم بالقوة، وحيازة منشورات معدة للتوزيع واطلاع الغير عليها تدعو إلى الثورة على نظام الحكم وتحض على ازدرائه ،واستغلال أحدى الجمعيات الدينية(**جمعية النهضة الاسلامية**) بالفيوم والتى كان يرأس مجلس ادارتها الماضى الشيخ (عمر عبد الرحمن) لممارسة نشاط يخالف القانون والدستور .. شنت مباحث أمن الدولة فجر يوم ٢ أبريل حملة جديدة فى محافظات القاهرة والجيزة والدقهلية والغربية والسويس وبنى سويف والفيوم التى القبض خلالها على كل من المهندس **أبو العلا ماضى** وكيل مؤسسى حزب الوسط والأمين العام المساعد للنقابة العامة للمهندسين ، د. **عصام حشيش** الاستاذ المساعد بكلية الهندسة جامعة القاهرة وعضو مجلس ادارة نادى التدريس بجامعة القاهرة واحد مؤسسى حزب الوسط ود. **رشاد البيومى** وكيل نقابة العلميين وأستاذ الجيولوجيات بجامعة القاهرة، ود. **عبد الحميد حسن الغزالى** الاستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وعضو مجلس ادارة نادى هيئة التدريس بجامعة القاهرة (أعيد انتخابه قبل القبض عليه بأيام)و**حسن جودة** عضو مجلس الشعب السابق، و**جمال عبد الهادى** استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الازهر (سابقا) ، و**محمد مهدى عاكف** عميد مكتب الارشاد بجماعة الاخوان المسلمين ، **محمود على أبو ريا ومحمود احمد المزينى، ومصطفى طاهر الغنيمى، ومجدى الفاروق أنور**، وتم التحفظ على **عبد العظيم عبد المجيد المغربى** بمسكنه لمرضه واستحالة نقله إلى السجن.

وقد جاءت هذه الحملة بعد أيام من حديث وزير الداخلية (**اللواء حسن الألفى**) للأهرام (٩٦/٣/٣٠) والذى أعلن فيه ردا على سؤال للمحرر عما اذا كان هناك مراقبة للتحركات والأنشطة السرية لجماعة الاخوان «التحقيقات والقضايا أكدت وكشفت صلتهم بالارهاب. وهناك قضايا ما زالت منظورة وتاريخ الجماعة السرى معروف وارتباطهم بالعنف ليس خافيا على أحد فحركة الاخوان تحت بصر أجهزتنا ،ونعلم كل اتصالاتهم وعلاقاتهم بالتنظيم العالمى فى الداخل والخارج. ونعلم مصادر تمويلهم بالكامل. وكل اتصالاتهم مع التنظيم العالمى ، وأماكن وجود الذين يقومون بحلقات الاتصال فهم معروفون لنا جيدا . وسوف **نتعامل بكل شدة مع أى خروج عن الشرعية».**

والاتهام الموجه للمقبوض عليهم فى الحملة الأخيرة ، طبقا لمذكرة مباحث أمن الدولة التى صدرت أوامر القبض على أساسها وما نشر فى الصحف عن التحقيقات تتلخص فيما يلى:

- تغطية الأنشطة السرية للجماعة المنحلة«**الاخوان المسلمون**» من خلال تكليف مجموعة من الاخوان بالتقدم بطلب **تأسيس حزب سياسى يحمل اسم الوسط «وتتماثل أهدافه وبرامجه مع اهداف الأحزاب القائمة فى مصر»**.وإجراء سلسلة من الأحاديث الصحفية تولاها المستشار **مأمون الهضيبى** المتحدث الرسمى باسم الاخوان و**أبو العلا ماضى**، أكد خلالها الهضيبى -طبقا لخطة الجماعة أن الحزب لا يمثل الاخوان ، ولكنه يسير على بعض مبادئها .. والهدف الحصول على موافقة على تأسيس الحزب تتحرك الجماعة المحظورة من داخل نشاطه الشرعى ،واعداد متار فى المحافظات والمدن والمراكز.
- **محاولة إعادة السيطرة على النقابات المهنية والمجالس المحلية** والمساجد والجمعيات الدينية والخيرية والخدمية.
- اعداد **مخططات لاختراق القطاع التعليمى** بكافة مراحله لغرس المفاهيم المتطرفة داخل نفوس الطلاب.
- إعداد **مخططات تحريضية داخل القطاعات الجماهيرية المختلفة** ،وذلك بتوزيع المنشورات الإثارية لإشاعة مناخ من الاضطراب والترويع داخل هذه المواقع الجماهيرية.
- تشكيل تنظيم نسائى(اخوانى) يضطلع بمهام محددة داخل الأوساط النسائية لترويج الفكر المتطرف من خلاله.
- الاتصال مع مختلف وسائل التطرف الارهابية ، خاصة المسمى **بالجماعة الاسلامية وتنظيم الجهاد.**
- الاتصال بالاجنحة التنظيمية فى


المستشار حامد أبو النصر


المستشار سعيد العشماوى


اللواء حسن الألفى

الخارج من خلال الاتصال بالتنظيم الدولى للاخوان وقيامه بالدعم ماليا ودعائيا.

وكالعادة أصدرت نيابة أمن الدولة العليا قرارها بحبس جميع المتهمين على ذمة التحقيق ١٥ يوما ثم جددت حبسهم جميعا لمدة ثلاثين يوما أخرى!.

وقد اهتمت الاحزاب والدوائر السياسية ومراكز حقوق الانسان والدوائر القانونية بهذه الحملة الجديدة. وركزت على عدد من الظواهر.

١- أن ما جاء فى مذكرة القول بأن التكليفات قد صدرت من المرشد العام الراحل **محمود حامد أبو النصر** الى بعض القيادات الاخوانية بتأسيس حزب سياسى وحددت تاريخ هذا التكليف بعد تاريخ وفاة المرشد العام السابق(!).

ومن المعروف فى كافة القضايا السياسية المماثلة ان مذكرات وتحريات مباحث أمن الدولة كانت مثار طعن وشك فى صحتها ، وأن محاكم أمن الدولة العليا دأبت على طرحها جانبا وعدم الالتفات إليها .وقد وصفتها محكمة أمن الدولة فى أحد القضايا المعروفة بأنها« **اتسمت بالعجلة التى افتقدتها ما ينبغى لها من دقة** وتمحيص ، ثم أنه قد عراها التناقض وتمضى المحكمة قائلة.. ونأى **شطط** لحق **بتلك التحريات والمعلومات بضعف منها بل ويهدرها**».

٢- ان السبب البارز لهذه الحملة ، كما يتضح من مذكرة مباحث أمن الدولة ومن تحقيقات النيابة ومن الأشخاص المقبوض عليهم ، هو ضيق **الحكومة بتوجه مجموعة من الاخوان المسلمين**

الوسط» طبقا لقانون الاحزاب

المعمول به . وهو ما اعتبرته الحكومة ومباحثها «**تحايل» على انشاء** ، وواجهة علنية لجماعة محظورة (الاخوان المسلمون) ،وسايرت نيابة أمن الدولة هذا الاتهام الغير مسبوق الذى لم يسبق توجيهه فى التاريخ «**على حد قول د. محمد سليم العوا**» لأى دولة ،ولا يوجد مثل هذه التهمة لا فى القانون المصرى ولا فى أى قانون لبلد«شم رائحة الحضارة».

وقد سجل المهندس **أبو العلا ماضى** فى محضر التحقيق بعد سؤاله عن«جريمة» تأسيس حزب الوسط.. كنا نتمنى أن تقبل الحكومة خطوة تأسيس حزب الوسط بصدر رحب حتى تحل الأزمة المعروفة بالحالة الاسلامية . لكن يبدو وأن هناك اتجاهات صدامية لا ترحب بذلك... بعد الأحداث التى جرت العام الماضى وما تخللها من اعتقال للنقابيين وإحالتهم للمحاكم العسكرية وإصدار أحكام بالسجن ضدهم وما حدث فى الانتخابات ، مأنونا كيف تقدمون أوراق تأسيس حزب على رغم ما أصابكم ؟...وكان ردنا إننا لن تنجرف ابدا **إلى العنف ولن نمارسه رغم كل الضغوط**».

٣- لفت أحد أبرز المحامين المتصدين للدفاع عن المتهمين من قضايا الرأى والقضايا السياسية ، إلى أن مباحث أمن الدولة وجهت **اتهام مماثل لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** ، فقالت من مذكرة لنيابة أمن الدولة فى ٢١ يناير ١٩٧٧ وقعها مساعد وزير الداخلية (**لواء حسن أبو باشا**) .. أن بعض التنظيمات الشيوعية السرية دفعت عناصرها القيادية إلى استغلال شرعية التحرك من خلال حزب التجمع الوطنى

نشاط الحزب خدمة اهدافها ومخططاتها فى

إثارة القاعدة الجماهيرية وتهيئة المناخ الملائم لحركتها من تفجير الموقف فى الوقت المناسب». وهو ما يثبت كذبه فى قضية ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧.

٤- رغم ان النيابة العامة هى جزء من السلطة القضائية، التى تتمتع بالاستقلال والحصانة فالملاحظ أن تبعية -النيابة العامة لوزارة العدل أدى إلى خضوعها عمليا للسلطة التنفيذية واستخدامها لاضفاء طابع قانونى على اجراءات ذات طابع سياسى وعمليات اعتقال . وقد سجلت محكمة امن الدولة العليا برئاسة المستشار **محمد سعيد العشماوى** فى حكمها فى أحد القضايا السياسية عام ١٩٩٠ هذه الحقيقة فقالت وحيث أن المحكمة لاحظت فى هذه الدعوى أن **المطاعن التى توجه عادة إلى محاضر الضبط قد استطالت حتى وصلت إلى محاضر تحقيق النيابة مثل الاتهام بعدم الحيدة وعدم إثبات كل الأقوال والوقائع ،والتهديد بالايذاء ،ومجاملة رجال الضبط، وغير ذلك. وهو أمر لابد أن يؤثر على العمل القضائى بأكمله اذا استمروا ستشرى..** والمحكمة وقد ساءها أن يصل التجريح إلى محاضر النيابة العامة ، ويكون محمولا على أسباب لها فى الأوراق دليل ، فإنها تدعو إلى تعديل التشريع بحيث يتولى قضاة التحقيق وحدهم فى قضايا الرأى..».

وعلق **صلاح عيسى** فى صحيفة «**العربى**» على هذه الحملة قائلا.. ان تقدم بعض الاخوان بطلب لتشكيل حزب سياسى ، هو **خطوة هامة فى اتجاه تأكيد اعترافهم بالتعددية الحزبية ،واقتناعهم بالاسلوب الديمقراطى كوسيلة لتنفيذ برامجهم**.كان ينبغى الترحيب بها ، ان لم يكن من أجل هذا السبب ، فمن أجل توسيع شقة الخلاف داخل الاخوان بين الذين شرعوا فى تأسيس الحزب والذين عارضوهم إن قانون الاحزاب المطعون فى ديمقراطيته وفى دستوريته وفى شرفه، لم يصل إلى درجة من الوقاحة تجعله يبيح القبض على الناس لأنهم تقدموا بطلب رسمى لتشكيل حزب».

ورغم كل هذه الحقائق .. وربما سببا- تعد دوائر **سياسية**

إلى محكمة عسكرية!!.

الملف

القطاع العام

القطاع العام فى سوق النخاسة الدولية

التأمينات والقطاع العام

أسباب أزمة القطاع العام والتنمية

اعلان فبراير لبيع القطاع العام

النمو الآسيوية نموذج غير قابل للنقل

من هو صاحب قرار بيع القطاع العام؟

القطاع العام فى سوق النخاسة الدولية

أصبحت قضية بيع القطاع العام وتصفيته تحت إسم الخصخصة أمرا واقعا. أي أصبحت ثروة الشعب المصرى التى تكونت عبر قرن من الزمان، منذ ثورة ١٩١٩ مرورا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى اليوم، معرضة للضياع والإهدار.

ورغم بساطة القضية ووضوحها، فقد نجح الحكم وإعلامه فى إحاطة الأمر كله بضباب كثيف وصل إلى حد قلب الحقائق وتزييفها. ومن هذا الملف محاولة لتصحيح الصورة، وإعادة كشف الحقائق ليقف المدافعون عن الشعب المصرى وثرواته وتقدمه علي أرض أكثر صلابة.

وقد يكون من المفيد قبل أن نقلب معا صفحات هذا الملف أن نضع عددا من الملاحظات الأولية نصب أعيننا.

إن الهرولة لبيع وتصفية قطاع الأعمال العام (القطاع العام) لايتم بقرار مصرى أو تحقيقا لمصلحة وطنية، وإنما خضوعا لتوجهات وضغوط المؤسسات المالية الدولية وتحديدا.. صندوق النقد الدولى .

والبنك الدولى للإنشاء والتعمير

وهيئة المعونة الأمريكية

ففى خطاب النوايا المقدم من الحكومة المصرية فى ٩ أبريل ١٩٩١ والمعنون «مذكرة حول السياسة الاقتصادية للحكومة المصرية» ويقع فى ٣٧ صفحة باللغة الانجليزية، والذى تم على أساسه توقيع أول اتفاق بين الحكومة المصرية وصندوق النقد الدولى فى مايو ١٩٩١ لتنفيذ روشتة الصندوق فى مصر، تعهد من الحكومة ببيع وتصفية القطاع العام. وسبق أن أودعت الهيئة البرلمانية لحزبنا صورة من هذا الاتفاق فى أمانة المجلس.

وفى أثناء المباحثات بين الحكومة وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى خلال عام ١٩٩٣ قدم كل من رئيس الوزراء **د.عاطف صدقى** ووزير الدولة للتنمية الإدارية «د.عاطف عبيد» ومدير المكتب الفنى لقطاع الأعمال «نزاد عبد الوهاب»، ومحافظ البنك المركزى «د. صلاح حامد» تعهدات واضحة ببيع ٣٠٠ شركة مملوكة لقطاع الأعمال العام حتى عام١٩٩٧/٩٦.

وتأكد هذا التعهد فى خطاب النوايا المقدم للصندوق، فى يوليو ١٩٩٣، والذى وقع على أساسه الاتفاق بين الحكومة المصرية وصندوق النقد فى سبتمبر من نفس العام.

والتزمت الحكومة بعد ذلك بتقديم تقارير نصف سنوية للبنك الدولى تشمل :

- مدى التقدم فى عمليات البيع.

- صورة من وثائق البيع وأسعاره وعمليات التقييم التى باشرتها بيوت خبرة أجنبية ومصرية وقدمت هيئة المعونة الأمريكية ٦٠ مليون دولار لتمويل أعمال التقييم وتدريب الشركات القابضة بالقطاع العام على أساليب البيع والخصخصة، و٣٠ مليون دولار لتنشيط وتطوير وميكنة البورصة وسوق المال المصرية لكى تستوعب طرح أسهم شركات القطاع العام والمقرر بيعها، و١٥ مليون دولار لتغيير القوانين والتشريعات للسماح للأجانب بتملك. أصول القطاع العام والعقارات والأراضى المصرية والاستثمار فى الأوراق المالية المصرية.

٢- إن الشركات المطروحة للبيع سواء التى أعلن عنها بالفعل من جانب الحكومة، أو التى تم التعهد ببيعها للمؤسسات المالية الدولية وشرع بالفعل فى تتبيبها تشمل شركات الصناعة الثقيلة مثل الترسانة البحرية والحديد والصلب وكيما ومجمع الألمونيوم والذى يمثل مجتمعا جديدا غير مسبوق فى مصر . فالمشروع مقام على ٥ آلاف فدان، ويضم إلى جوار النشاط الصناعى مجتمعا كاملا يشمل العلاج والترفيه والإعاشة و١٢ مدرسة ومعهدا وفى قلب المجمع أكبر مصنع لكتل الألمونيوم فى الشرق الأوسط بلغت أرباحه عام ١٩٩٥، (٣٥٣) مليون جنيه وصادراته ٧٠٠ مليون جنيه، وقدم التجمع تمويلا ذاتيا قدره ٩٠٠ مليون جنيه لإنشاء وحدات جديدة للدرفلة .

٣- إن عملية التقييم والبيع فى ظل عدم الشفافية - وخضوعها لبيوت خبرة أجنبية من الأساس، مثل شركة «بيكتل» الأمريكية، ومن بعدها بيت الخبرة الأمريكى «آرثر أندرسون» أدى إلى بيع شركات، بأقل من قيمتها الحقيقية، مثل شركة البيبسى كولا (وقد نشر الكثير عنها) وشركة «المراجل البخارية وأوعية الضغط» التى بيعت بمبلغ ١٧ مليون دولار إلى شركة «بابكوك» اندويلكترى انترناشيونال بطريق التفاوض»

أي بحوالي ٥١ مليون جنيه مصري، وتمتلك الشركة ٣١ فدانا بمنطقة منيل شيحا على النيل مباشرة تشغل المخازن والعنابر ٩ أفدنة فقط والباقي أرض فضاء، يبلغ سعر المتر فيها حوالي ٣آلاف جنيه بما يعني أن قيمة الأرض وحدها تزيد عن ٤٠٠ مليون جنيه مصري، فضلا عن المخزون من الخامات وقطع الغيار والإنتاج الجاهز ومكابس ومعدات وآلات ومعامل تفتيش تزيد قيمته عن ١٠٠ مليون جنيه .

من المؤكد الآن ورغم تصريحات المسئولين أن الحكومة قد قطعت على نفسها وعدا - وستنفذ هذا الوعد- ببيع بنوك القطاع العام الكبرى «مصر - الأهلي - القاهرة - الاسكندرية» لقد نشر أول خبر رسمي عن هذا البيع في أغسطس ١٩٩٣ بجريدة الأهرام التي أكدت اتفاق الحكومة والبنك الدولي عن خصخصة البنوك العامة وشركات التأمين ،ورغم مسارعة المسئولين بالنفي فالوثائق الرسمية تؤكد هذا البيع وأنه سيتم حتى عام ١٩٩٧ بيع أحد البنوك الأربع الكبرى - على الأقل - وذلك بعد الانتهاء من بيع البنوك المشتركة. فقد تعهدت الحكومة في خطاب النوايا (سبتمبر ١٩٩٣) أن البنوك وشركات التأمين وصناديق التأمين والمعاشات ستعرض للبيع ضمن المرحلة الثالثة من مراحل الخصخصة . وفي رسالة من «د. موريس مكرم الله بتاريخ ٣ سبتمبر التزام واضح ببدء بيع أحد بنوك القطاع العام الأربعة قبل حلول عام ١٩٩٥.

ولمن لايعلم فقد بلغت الودائع في هذه البنوك الأربعة - بعد استبعاد البنك المركزي- ١٣٠ مليار جنيه في يونيه ١٩٩٣ تمثل معظم ودائع الجهاز المصرفي (٩٨ بنكا)، وتأتي معظم هذه الودائع من القطاع العائلي والحكومي والقطاع العام. فمن جملة ٥٩ مليار بالعملة المصرية كان للقطاعين العائلي والحكومي ٥١ مليار جنيه، وأن القطاع العائلي أودع ٦٣٪ من ودائع بالعملة الأجنبية يليه قطاع الأعمال بنسبة ١٥٪ . وقدمت هذه البنوك تسهيلات للقطاعات المختلفة تبلغ نحو ٩٨ مليار جنيه. واتجاه ٨٠٪ من النشاط إلى هذه البنوك الأربعة يعكس ثقة المواطنين في بنوك القطاع العام. وقد حققت هذه البنوك الأربعة في ميزانية ٩٤/٩٥ فوائض قدرها ٢٣٩مليون جنيه وبلغ حجم المعاملات ١٫٢٢ مليار جنيه، وستنتقل هذه الفوائض والإيداعات وهذا الحجم الهائل من المعاملات إلى الأجانب الذين سيشترون هذه البنوك .

٥- الجريمة الأخرى التي أعلن عنها رسميا هذه المرة، هي بيع أصول صناعة السينما (الاستوديوهات ودور العرض). وهي إحدى الصناعات الرئيسية في مصر والتي كانت تحتل المركز الثاني بعد صناعة النسيج قبل الثورة الصناعية في ظل ثورة ٢٣ يوليو. وكان رئيس الوزراء - السابق د. عاطف صدقي قد نفى في تصريح رسمي له يوم ٢ أبريل ١٩٩٤ أي نية لبيع أصول السينما المصرية. وقال «إن الدولة حريصة على أن تكون للسينما المصرية قوة أكبر على الصعيدين الداخلي والخارجي. والدولة لن تبيع أصول السينما» . ولكن إرادة المؤسسات المالية الدولية والولايات المتحدة : هي الأعلى.

وبيع أصول السينما المصرية ليس مجرد بيع لأصول إنتاجية مهمة، ولكنه بيع لوجدان وعقل وروح الشعب المصري والشعوب العربية. فالسينما (والتليفزيون) أخطر أدوات تكوين الإنسان. وليس صدفة أن فرنسا وأوروبا أصرت في مباحثات الجات وقبل قيام منظمة التجارة العالمية على استثناء السينما والتليفزيون من حرية التجارة ورفضت كل الضغوط الأمريكية ووضعت عليها قيودا كبيرة. والسينما المصرية لديها سوق بلا منافس يصل إلى ٢٠٠ مليون مشاهد عربي، ومثلهم أو أكثر سوقا محتملة في الدول الإسلامية، وصناعة السينما والكتاب في مصر - طبقا لاتفاقات الجات - من الصناعات القليلة المسموح للحكومة بدعمها حيث أن نسبتها في التجارة العالمية أقل من ٢٪ .

ومع ذلك لاتتردد الحكومة في تسليمها للأجانب لتعطى لهم فرصة ذهبية لإعادة صياغة وجدان وروح الشعب طبقا لقيم ومصالح هذه الشركات، مثل شركة كانون الصهيونية ويونيفرسال الأمريكية، اللتان تسعيان منذ أكثر من عشرين عاما للاستيلاء على صناعة السينما .

٦- نأتي إلى الكارثة الحقيقية التي تحرص الحكومة على إخفائها، وأعني بها ما تعهدت به الحكومة منذ أبريل ١٩٩٣ بمباحثاتها مع البنك الدولي، ثم في الاتفاق مع الصندوق في نفس العام، من دراسة خطة لدخول القطاع الخاص تدريجيا لشراء الهيئات الخدمية الاقتصادية مثل السكك الحديدية (المملوكة للدولة منذ إنشائها في ظل الاحتلال البريطاني) والبريد والنقل العام وشركات النقل البري، والمرافق العامة مثل الكهرباء والمياه وخدمات الصرف الصحي وقطاع النقل والشحن الجوي، (مصر للطيران) وهيئة قناة السويس.

ورغم نفي الحكومة فالكارثة قادمة إذا استمرت السياسات المتبعة حاليا تحت اسم سياسة الإصلاح الاقتصادي.

وهناك إشارات واضحة لذلك تأتي متباعدة منها. ما أعلنه فؤاد عبد الوهاب رئيس المكتب الفني لقطاع الأعمال في مايو ١٩٩٣ من أن «التأخر في طرح المشروعات الاستراتيجية للبيع ومنها قناة السويس وشركة مصر للطيران ناتج عن عدم خضوعها للقانون ٢٠٣ الخاص بقطاع الأعمال».

وأكد د. هشام أحمد جبر المستشار الاقتصادي لرئيس الوزراء في نوفمبر العام الماضي (١٩٩٥) أن الحكومة أعدت دراسات بالفعل لبيع الهيئات الخدمية العامة والقطاعات الاقتصادية الضخمة وهي قطاعات البترول وهيئة قناة السويس وشركات التأمين ومصر للطيران، بالإضافة للقطاعات الاستراتيجية العملاقة، وهي هيئات الكهرباء وهيئة السكك الحديدية وهيئة المواصلات السلكية واللاسلكية والبنوك الوطنية الأربعة. ولكن ليس قبل نهاية هذا القرن.

نفس هذا الكلام ردده في منتصف العام الماضي مرة أخرى. **فؤاد عبد الوهاب** في ندوة «الخصخصة وسوق المال» التي نظمتها هيئة سوق المال ومؤسسة **فريدرش** ناومان. وقد استهلت حكومة د. **كمال الجنزوري** عهدها بالشروع بخصخصة شركات الكهرباء .

التأميمات.. والقطاع العام

د. إبراهيم سعد الدين

من المعروف أن القطاع العام القائم حاليا قد نشأ من طريقين: الأول هو المشروعات التى جرى تأميمها فى الخمسينات والستينات؛ والثانى هو الاستثمارات العامة التى ساهمت بها الدولة فى إنشاء مشروعات جديدة بصفة كلية أو جزئية، أو رصدتها الدولة لإحداث توسعات وإحلال وتجديد فى المشروعات العامة المؤممة أو المنشأة بأموال عامة أصلا. وإذا كان من الجائز النظر إلى القطاع العام فى مطلع الستينات على أنه القطاع المؤمم فى الاقتصاد المصرى، على أساس أن قيمة الأصول التى جرى تأميمها كانت تشكل النسبة الكبرى من القيمة الكلية لأصول القطاع العام، ففى اعتقادنا أن الوضع قد أصبح معكوسا فى الوقت الراهن. **فقد أدت الاستثمارات التى قامت بها الدولة فى القطاع العام إلى إضافات ضخمة فى قيمة أصوله، بحيث أصبح الجزء المكتسب من خلال الاستثمارات العامة يشكل النسبة الكبرى من القيمة الكلية لأصول القطاع العام.**

ولاتسعفنا البيانات المتاحة فى البرهنة على صحة هذه المقولة؛ ذلك أنه على الرغم من وجود تقدير لقيمة الأصول المملوكة للقطاع العام ككل، فإنه لاتوجد تقديرات لقيمة الأموال التى خضعت للتأميم، سواء على مستوى الاقتصاد القومى أو على مستوى بعض قطاعاته(١)، كذلك لا يوجد بيان خاص بالاستثمارات التى تشكل إضافة إلى رأسمال القطاع العام، إذ إن هذا النوع من الاستثمارات لايظهر فى البيانات المتاحة منفصلا عن الاستثمارات العامة التى تشكل إضافة إلى رأس المال القومى (مثل مشروعات البنية الأساسية).

وإذا كان من المتعذر إقامة الدليل على غلبة نصيب الاستثمارات العامة الجديدة فى التكوين الرأسمالى للقطاع العام، فإن الباب ليس مسدودا تماما فى وجه بعض المحاولات الجزئية فى هذا الشأن. وقد جرت محاولة من جانبنا لقياس الوزن النسبى لكل من الأصول الموروثة من خلال التأميم والأصول المكتسبة من خلال الاستثمارات الجديدة، وذلك فى القطاع العام الصناعى (تحديدا الشركات الصناعية التابعة لوزارة الصناعة، أو وزارة الصناعة والثروة المعدنية سابقا). وهى محاولة لابد من الاعتراف مقدما بنواقصها، ونفى صفة الدقة عنها. وقد استبعدنا تقديم تقدير وحيد لنصيب الاستثمارات الجديدة فى التكوين الرأسمالى للقطاع العام الصناعى، وفضلنا تقديم مدى للتقديرات المحتملة، ومع ذلك فإن مثل هذه التقديرات لم يكن ممكنا الحصول عليها دون وضع بعض الافتراضات التى لن تحظى بالقبول من الجميع، بل التى لانعتبرها نحن مرضية تماما. ولكن لم يكن هناك بد من اللجوء إلى مثل هذه الافتراضات طالما كانت البيانات المباشرة والدقيقة غائبة.

بلغت القيمة الإسمية لإجمالى الأموال المستثمرة فى شركات القطاع العام الصناعية (التابعة لوزارة الصناعة) حوالى ٩.١٨١ مليارات جنيه عام ١٩٨٥/١٩٨٦، وذلك من واقع تقارير الإنجاز والحسابات الختامية للشركات المعنية(٢). وباستخدام بعض الافتراضات، توصلنا إلى تقدير القيمة الإسمية لمجموع الاستثمارات الجديدة المتراكمة فى القطاع العام الصناعى حتى عام ١٩٨٥/١٩٨٦، بنحو ٨.٣٢٦ مليارات جنيه(٣) وبناء على هذين التقديرين فإن النصيب النسبى للاستثمارات الجديدة من إجمالى قيمة الأموال المستثمرة فى القطاع العام الصناعى يقدر بنحو ٩٠ بالمائة.

ومن جهة أخرى، فقد أجرينا محاولة لتقدير المكون الراجع إلى الاستثمارات الجديدة فى التكوين الرأسمالى للقطاع العام الصناعى بطريقة بديلة، تعتمد على تقدير القيمة الأسمية للأصول التى آلت إلى القطاع العام عن طريق التأميم. ونظرا إلى غياب بيانات مباشرة عن قيمة الأصول المؤممة فى القطاع الصناعى، فقد تم تقديرها استنادا إلى بعض البيانات المتاحة عن التكوين الرأسمالى فى القطاع الصناعى، ككل، أى بشقيه العام والخاص معا، مع اللجوء إلى افتراض لايخلو من التحكمية، وهو أن قيمة الأصول التى أممت فى قطاع الصناعة تساوى القيمة الأسمية لإجمالى التكوين الرأسمالى فى قطاع الصناعة عام ١٩٥٤. وبناء على ذلك، قدرت قيمة رأسمال الشركات الصناعية التى خضعت للتأميمات بحوالى ٥٧٦ مليون جنيه(٤) وتمثل هذه القيمة ٦ بالمائة من القيمة الأسمية لإجمالى الأموال المستثمرة فى القطاع العام الصناعى عام ١٩٨٥/١٩٨٦، أو ١٤ بالمائة من قيمة حقوق الملكية، أو ٢٢ بالمائة من قيمة رأس المال المملوك لشركات وزارة الصناعة فى تلك السنة. بعبارة أخرى، فإن **النصيب النسبى للاستثمارات الجديدة فى التكوين الرأسمالى للقطاع العام الصناعى عام ١٩٨٥/١٩٨٦ يتراوح بين ٧٨ بالمائة و٩٤ بالمائة حسب مدى ضيق**

أو اتساع التعريف الذى نأخذ به للتكوين الرأسمالى. ومن الواضح أن هذا الذى يستوعب التقدير الأول المعتمد على قياس القيمة التراكمية للاستثمارات الجديدة فى القطاع العام الصناعى، وهو ٩٠ بالمائة وهكذا يتضح أن نسبة مساهمة الاستثمارات الجديدة فى بناء وفو القطاع العام الصناعى القائم حاليا هى النسبة الكبرى.

وغنى عن البيان أن هذه الاستثمارات الضخمة التى ساهمت فى وصول القطاع العام إلى حجمه الحالى قد تمت عن طريق تضحيات عظيمة قدمها شعب مصر فى مجموعه، أو مولتها قروض محلية وأجنبية تحمل الشعب، وما زال، وسوف يظل لفترة طويلة مقبلة يتحمل، عبء، سداد ما يترتب عليها من فوائد وأقساط. أي أن المالك الحقيقى لأصول القطاع العام هو الشعب المصرى بمختلف فئاته، سواء بمقتضى قرارات التأميم، أو بمقتضى الأعباء التى فرض عليه تحملها لتمويل الاستثمارات الجديدة فى هذا القطاع.

دور القطاع العام فى تحقيق الصمود الاقتصادى وتحرير الأرض

لقد كان وجود القطاع العام عاملا مهما من عوامل اجتياز سنوات المحنة المريرة التى أعقبت هزيمة عام ١٩٦٧ إذ ساهم هذا القطاع فى تحقيق الصمود الاقتصادى بتوفير العديد من حاجات الجبهتين المدنية والعسكرية، وذلك بطرق مباشرة، من خلال نشاطه الإنتاجى، وبطرق غير مباشرة، من خلال مساهمته فى تمويل الميزانية العامة للدولة والحفاظ على الاستقرار الاقتصادى وتجنيب البلاد شرور التضخم الجامح الذى عرفته معظم الدول التى يقوم اقتصادها على القطاع الخاص بصفة أساسية فى ظروف الحرب.

وحسبنا أن نستشهد على هذا الدور الذى اضطلع به القطاع العام المصرى بالإشارة إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول : هو مساهمة شركات القطاع العام فى معركة التحرير بعد هزيمة عام ١٩٦٧، ثم فى معركة التعمير بعد نصر تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣. ففى أثناء حرب الاستنزاف قامت شركات القطاع العام العاملة فى مجال المقاولات وصناعة الحديد والصلب والأسمنت وغيرها ببناء حظائر للطائرات المصرية حتى لاتكون فى متناول الطيران الإسرائيلى. كما قامت هذه الشركات ببناء قواعد الصواريخ على امتداد الجبهة، وكذلك فى العمق، خلال فترة وجيزة سقط خلالها مئات الشهداء من العاملين فى هذه الشركات، حيث كان البناء يتم فى ظروف القصف المتواصل وغارات الطيران الإسرائيلى المستمرة على طول جبهة القتال. وساهم القطاع العام أيضا فى بناء معديات العبور المزودة بالمضخات القوية للمياه، التى استخدمها الجيش المصرى فى العبور إلى الضفة الشرقية لقناة السويس، وإزالة الحائط الترابى المعروف بخط بارليف، وأخيرا، كانت لشركات القطاع العام مساهمات ضخمة فى عمليات تعمير مدن القناة التى خربتها الحرب، وتمكين سكانها من استئناف الحياة فيها بعد نصر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣(٥).

الأمر الثانى : هو المساهمة الكبيرة للقطاع العام فى تمويل الانفاق العام فى سنوات الحرب وما تلاها. وتتمثل هذه المساهمة فى عدة عناصر، نذكر منها فقط الأرباح المحولة إلى الميزانية العامة للدولة ومخصصات الإهلاك التى تستخدم كتمويل ذاتى للاستثمارات فى القطاع العام (وهذان العنصران يشكلان معا فائض القطاع العام)، والضرائب على أرباح قطاع الأعمال العام، وبحساب قيمة هذه البنود الثلاثة، مع افتراض أن القطاع العام يساهم بنسبة ٦٥بالمائة من الضرائب على أرباح قطاع الأعمال ككل، وجدنا أنها شكلت حوالى ٢٤ بالمائة من الموارد العامة للدولة عام ١٩٦٦/ ١٩٦٧. وقد ارتفعت هذه النسبة إلى ٢٧ بالمائة عام ١٩٧٠/١٩٧١، ثم إلى ٣٨ بالمائة عام ١٩٧٤، وإلى ٤١ بالمائة عام ١٩٧٨.. وقد هبطت هذه النسبة إلى مستوى ٣٧ بالمائة عام ١٩٨٤/١٩٨٥(٦) ولاشك فى أن هذه النسب توضح أن القطاع العام لم يكن عبئا على الدولة، بل كان ولايزال مساهما رئيسيا فى تدبير الإيرادات العامة وتمويل الإنفاق العام للدولة.

الأمر الثالث : هو أن وجود القطاع العام قد ساعد مصر على اجتياز الظروف العصيبة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وما رافقها من ضغوط ضخمة على الموارد، مع الاضطرار إلى توجيه نسبة كبرى من الموارد المتاحة لخدمة المجهود الحربى. وذلك دون تعريضها لمعدلات تضخم بالغة الارتفاع، كما يحدث فى سنوات الحرب فى بلاد الاقتصاد الحر التى تعتمد اعتمادا أساسيا على القطاع الخاص. فطبقا للبيانات المتوافرة من مصادر رسمية عن معدلات ارتفاع الأسعار، يلاحظ أن المعدل السنوى للارتفاع فى نفقة المعيشة كان فى حدود ٤.٣ بالمائة فى النصف الأول من الستينات وحوالى ٣ بالمائة فى النصف الثانى منها بمتوسط ٣.٦ بالمائة سنويا طوال ذلك العقد. وقد ارتفع المعدل إلى حوالى ٦ بالمائة سنويا فى الفترة من عام ١٩٦٩/ ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٤. وهذه المعدلات تبدو ضئيلة قياسا على معدلات الارتفاع السنوى فى نفقة المعيشة فى الفترة المتبقية من السبعينات، وكذلك خلال الجزء الأكبر من الثمانينات (١٩٨٠-١٩٨٧) بعد إطلاق العنان أمام القطاع الخاص وقوى السوق، فى إطار سياسة الانفتاح الاقتصادى، وهو ١٢,٣ بالمائة فى المتوسط. وبطبيعة الحال، فإننا لانزعم أن القطاع العام كان هو السبب الوحيد فى تحقيق الاستقرار خلال الستينات وحتى أوائل السبعينات. فقد شاركت عوامل أخرى فى ذلك. ولكن القطاع العام كان فى تقديرنا عاملا رئيسيا فى إحداث ذلك الاستقرار.

ولم تكن المساهمات المختلفة للقطاع العام فى تحقيق الصمود الاقتصادى وحروب التحرير ومهام التعمير بلا ثمن. فقد أدى استهداف تحقيق الاستقرار الاقتصادى، من خلال فرض أسعار منخفضة، بل دون التكلفة فى كثير من الأحوال، لبيع منتوجات القطاع العام، إلى تحول عدد من الشركات العامة إلى شركات خاسرة، بينما تقلصت قدرة معظم الشركات العامة على تحقيق فائض معقول. وعموما فقد حرم القطاع العام من استخدام النسبة الكبرى من الفوائض التى حققها فى تجديد أصوله وتوسيع طاقاته الإنتاجية وتطوير أساليب الانتاج والإدارة،

وذلك من جراء ترجيد معظم هذه الفوائض لتمويل أوجه الإنفاق العام المختلفة، بما في ذلك الإنفاق العسكري. وقد أدى ذلك إلى تدهور ملحوظ في القدرات الانتاجية لهذا القطاع. ومن جهة أخرى فقد تحمل القطاع العام بعمالة زائدة عن حاجته نتيجة للسياسات الاجتماعية التي استهدفت التشغيل الكامل للخريجين واستيعاب المسرحين من الخدمة العسكرية في وحدات القطاع العام. وكان لهذا الهدف الاجتماعي تبعات خطيرة على ظروف العمل والإدارة والإنتاجية في ذلك القطاع.

(١) طبقا للمعلومات المتوافرة لدى مركز معلومات القطاع العام، تبلغ القيمة الدفترية للأصول المملوكة لشركات القطاع العام ١٤٠ مليار جنيه، بينما تقدر القيمة السوقية لهذه الأصول بحوالى ٣٦٥ مليار جنيه. انظر :

Hisham El - Sherif, "A Framework for the Development of a Publiv Sector Information Base in Egypt," Public Enterprise, vol. 8no. 1(1988), pp.94-101.

أما فيما يتعلق بقيمة الأموال التي جرى تأميمها بمقتضى قرارات التأميم المختلفة، فلم نعثر على تقدير كامل لها وقد قدرت الأموال التي أممت عام ١٩٦١، بحوالى ٢٠٠ مليون جنيه، بينما يصل البعض بتقدير قيمة الأموال الخاضعة لتأميمات عام ١٩٦١ وقوانين الإصلاح الزراعي بنحو ٧٠٠ مليون جنيه. انظر : محمد صبحي الأتربي، نشأة وتطور القطاع العام في الاقتصاد المصري (القاهرة : المركز العربي للدراسات السياسية والاقتصادية ١٩٦٨). ويضم كتاب : محمود مراد، من كان يحكم مصر؟ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٥)، نماذج من المصارف والشركات التي خضعت للتأميم، وقيمة أسهمها. وقد اتضح بأن النماذج المقدمة في الكتاب لا تشكل سوى نسبة ضئيلة من الوحدات التي خضعت للتأميم. ومن ثم لايمكن الاستناد إليها في التوصل إلى تقدير تقريبي لقيمة الأموال المؤممة في الستينات.

(٢) ورد هذا التقدير في : مصر، معهد التخطيط القومي، دراسة تحليلية مقارنة للمؤشرات المالية للقطاع العام الصناعي التابع لوزارة الصناعة، قضايا التخطيط والتنمية، رقم ٤٤ (القاهرة: المعهد، ١٩٨٨). وبطبيعة العرف المحاسبي، فإن هذه القيمة الدفترية لا تأخذ في الحسبان أثر تغيرات الأسعار في القيمة الحقيقية للأصول.

(٣) توصلنا إلى هذا التقدير بحساب المجموع التراكمي للاستثمارات السنوية في قطاع الصناعة والتعدين العام خلال الفترة من ١٩٥٦/٥٥ حتى ١٩٨٦/٨٥، مع تطبيق معدل إهلاك ١٠ بالمائة سنويا. وقد حصلنا على بيانات الاستثمارات الجديدة من المصادر التالية :

أ- الاستثمارات السنوية بالأسعار الجارية في قطاع الصناعة والتعدين خلال الفترة من ١٩٥٦/٥٥ حتى ١٩٦٣/٦٢. وقد افترضنا أنها تتمثل في استثمارات قام بها القطاع العام الصناعي، حيث من المعروف أن مساهمة القطاع الخاص في الاستثمارات الصناعية كانت محدودة للغاية خلال تلك الفترة. وقد وردت هذه البيانات في :

K. Ikram, Economic Management in a Period of Transition (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1980), p.250.

ب- استثمارات القطاع العام في الصناعة والتعدين بالأسعار الجارية خلال الفترة من ١٩٦٥/٦٤ حتى ١٩٨٢/٨١. وقد وردت في : مصر، مجلس الشورى، تقرير لجنة الشئون المالية والاقتصادية عن سياسات الاستثمار (القاهرة: المجلس ، ١٩٨٥)، ص ١٢١-١٢٣.

ج- الاستثمارات العامة في قطاع الصناعة والتعدين بأسعار ٨١، ١٩٨٢ خلال الفترة من ١٩٨٣/٨٢ حتى ١٩٨٦/٨٥. وقد وردت في : مصر، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الخطة الخمسية الثانية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٨٨/٨٧ - ١٩٩٢/٩١ (القاهرة: الوزارة، ١٩٨٧)، ج أ ص ٤١. وقد تم تحويل هذه القيم إلى قيم بالأسعار الجارية باستخدام الرقم القياسي لأسعار الجملة الذي يعده الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.

(٤) تقديرات التكوين الرأسمالي في قطاع الصناعة ككل مأخوذة من :

Robert Mabro and Samir Radan. The Industrialization of Egypt, 1939-1973: Policy and Performance (Oxford: Clarendon Press, 1976),p.156.

ونظرا لأن التقديرات معطاة في هذا المصدر بأسعار عام ١٩٦٠، فقد تم تقدير التكوين الرأسمالي الصناعي في عام ١٩٥٤، بأسعار تلك السنة، باستخدام الرقم القياسي لأسعار الجملة للمنتجات والمواد الصناعية.

(٥) حول بعض هذه المساهمات والظروف العصيبة التي تمت فيها. انظر : عثمان، صفحات من تجربتي (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨١)، ص٤١٩-٤٥٥.

(٦) اعتمدنا في حساب هذه النسب على البيانات المالية التي وردت في :

Ikram, EConomic Management in a Period of Transition, pp. 410-411 and 324.

وكذلك على البيانات التي وردت في : مصر، وزارة المالية، البيان المالي عن مشروع الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٨٦/٨٥، (القاهرة : الوزارة، ١٩٨٥). وإذا افترضنا أن الضرائب على أرباح قطاع الأعمال العام تمثل ٧٥ بالمائة من إجمالي الضرائب على قطاع الأعمال، فإن نسبة مساهمة القطاع العام في الإيرادات العامة تصبح ٢٤ بالمائة في عام ١٩٦٧/٦٦؛ ٢٧ بالمائة في عام ١٩٧١/٧٠؛ ٣٨ بالمائة في عام ١٩٧٤؛ ٤٣ بالمائة في عام ١٩٧٨، و٣٨ بالمائة في عام ١٩٨٥/٨٤. أما إذا افترضنا أن مساهمة القطاع العام في الضرائب على قطاع الأعمال هي ٩٠ بالمائة، فإن نسبة مساهمته في الإيرادات العامة ترتفع على النحو التالي: ٢٦ بالمائة في عام ١٩٦٧/٦٦، ٢٩ بالمائة في عام ١٩٧١/٧٩، ٣٩ بالمائة في عام ١٩٧٤، ٤٥ بالمائة في عام ١٩٧٨، و٤١ بالمائة في عام ١٩٨٥/٨٤.

د. ابراهيم سعد الدين
د. ابراهيم العيسوى
(من بحث مقدم إلى الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية)

اعلان فبراير لبيع القطاع العام

د. أحمد الحصرى

اشعلت الحكومة الجدل باعلان فبراير ومن يومها وحمى البيع تسيطر على كلام الناس فى كل مكان .. على المقاهى وفى المواصلات وداخل مقرات الاحزاب والمنتديات الثقافية والعلمية وأروقة الفنادق والاستراحات الخاصة وفى العنابر بين العمال وعلى مكاتب الموظفين .. حتى وصل الجدل أخيرا إلى قاعات المحاكم بدعوى أقامتها أحزاب «الناصرى -التجمع- العمل» للطعن فى دستورية اجراءات الحكومة لبيع القطاع العام التى وردت فى إعلان فبراير.

وبين كل المتحدثين يأتى فى الصدارة د.عاطف عبيد وزير قطاع الأعمال بعد أن عهدت إليه الحكومة بمهمة الخبير المثمن والمصفى القضائى لممتلكات الشعب المصرى..

وعبيد هو بحق نجم المزاد رغم أنه ينتظر على أحر من الجمر الدقة الثالثة ليعلن «الاتربه» ويرسى المزاد على صاحب النصيب وفى سبيل ذلك يتوسل الدكتور عاطف يوميا على صفحات الجرائد وأمام كاميرات التلفزيون والفيديو فى الحفلات والندوات والسهرات لكل من معه «قرشين» أن يتقدم للشراء بلا تردد.

بل وصل به الحال لمناشدة حتى «المفلسين» من رجال الأعمال بالتقدم واستلام الشركات بعقود ادارة اذا ما وعدوا- فقط مجرد وعد- بسداد المطلوب بعد فترة زمنية من عائد ارباح الشركات (روزاليوسف ٩٦/٣/٢٥) والمطلوب ليس كثيرا ويمكن تدبيره من خلال البنوك المحلية.. وفى مجلس الشعب قال عبيد للنواب «**بلاش حساسية من الاجانب لانهم اصحاب الخبرة والمرونة والعلم... فى** [illegible]»

أما الحكومة فقد اعلنت فى مناسبات متعددة عن ملاحق اعلان فبراير وهى حوافز من نوع خاص لكل من يطلب الشراء **منها ١٥ سنة اعفاءات ضريبية وجمركية .. وحق المشترى فى التخلص من العمالة بعد ٣ سنوات وحقه فى فك الاصول والتصرف فيها بالاضافة إلى التسهيلات الائتمانية اللازمة لعمليات الشراء.**

وبرغم توسلات الدكتور عاطف وحوافز الدكتور الجنزورى ، فقد مرت ثلاثة أشهر دون «حس أو خبر» يأتى من هؤلاء المعنيين بالشراء..

وحتى الآن لم يتقدم رجال الأعمال المصريين الا بعرض واحد ، قدمه **محمد فريد خميس صاحب «النساجون الشرقيون» ومعه ٥٠ مستثمرا من المدن الجديدة** لشراء شركات التجارة الداخلية (عمر افندى- صيدناوى- جاتيينو- شيكوريل- بنتريمولى)..

والعرض يعتمد بشكل أساسى على تمويل أحد البنوك الكبرى الذى لم يوافق بعد بالرغم من التصريحات الوردية للدكتور عاطف.

أما العرض الآخر فهو قديم وتم تجديده من الشركاء الاجانب فى البنوك المشتركة لشراء انصبة القطاع العام فى هذه البنوك .. والبنوك المشتركة هى بنوك اجنبية شاركت فيها بنوك وشركات تأمين مصرية عامة وعددها ٣٠ بنكاً.

وعدا ذلك لم نسمع عن صفقات كبيرة تقترب ولو قليلا من الرقم المطروح للبيع **وهو ٢٥ مليار جنيه قيمة المطروح فى الدفعة الأولى من خلال المزاد للبيع المباشر أو من خلال بورصة** الأوراق المالية.

والغريب أن الحكومة هادئة ولا يظهر عليها أية اعراض للقلق أو الفزع من انصراف المعنيين بالبيع عن كل الاغراءات المقدمة بل العكس .. فالحكومة فى أقصى حالات الرضا .. ونعتقد أن معها كل الحق فى ذلك بعد أن نجح **كمال الجنزورى**، فى المهمة التى تعثرت أكثر من عشرين عاما بالوصول إلى ما يسمى **بنقطة البيع.**

وبينما نعرف أن كلام الحكومة دائما من قبيل الاستهلاك المحلى جاء اعلان فبراير وبه قدر كبير من الاستهلاك الدولى وكان موعده قبل أيام قليلة من بدء المفاوضات مع صندوق النقد الدولى لاسقاط الشريحة الثالثة من الديون.

وبالرغم من ذلك أصر الصندوق فى **المفاوضات على طلبه بتخفيض قيمة الجنيه** ولم يبد اهتماما كبيرا باعلان فبراير بل اتهم الحكومة بالبطء فى اجراءات البيع.

ولا يعنى هذا الكلام أن الحكومة تمارس الفهلوة المصرية من أجل التسويف فى البيع بل العكس فإن الحكومة تستخدم الفهلوة المصرية هذه المرة فى الضحك علينا وهذا ما تقوله ارض الواقع الذى تقيم عليه الحكومة مزاد البيع.

***

القطاع الخاص خارج المزاد

ليس من قبيل التكرار القول بأن الرأسمالية المصرية تعانى من أمراض متعددة فى رحلة نشأتها وتطورها ولن نعود للحديث عن تجارب الماضى ولكن من واقع تجارب السبعينات والثمانينات تأكد لنا انصراف القطاع الخاص عن الاستثمار فى قطاعات الانتاج (الزراعة -الصناعة) واتجهت معظم انشطته فى اتجاه الاستثمار الخدمى خاصة

الاستثمار العقاري ، مع ملاحظة اننا نتكلم هنا عن رجال اعمال حقيقيين ونترك جانبا ما فعله الوسطاء والسماسرة والمقامرون.

وحتى التجربة التي يضعونها كنموذج في **العاشر من رمضان** تقول عنها رسالة دكتوراة حديثة للباحثة **دينا جلال** ان **هناك ٤٣٪ من الطاقة عاطلة..** وبالمناسبة سألت د.**ابراهيم فوزي** عن ذلك فقال ان مستثمري **العاشر يفضلون تعطيل خطوط الانتاج حتى لا تهتز اسعار المنتجات بفعل الكساد الذي تشهده الاسواق. وتتعرض للانخفاض.**

وكلام **ابراهيم فوزي** ، من ناحية أخرى يقول أن القوى الشرائية في المجتمع المصري، لا تحتمل انتاج رجال العاشر .. وهذا ليس استنتاجا فقد اضطر **محمد فريد خميس** صاحب النساجون الشرقيون ورئيس اتحاد الصناعات إلى تكوين شركة عقارات مع آخرين وعند سؤاله عن أسباب ذلك قال انه**تمدد للنشاط بقصد الاستفادة من ربحية العمل في العقارات لتعويض بعض خسائر الصناعة.** وهذا كلام صحيح فارباح العقارات في مصر تحقق اضعاف ما تحققه الصناعة ودوران رأس المال اسرع وليس هناك أية مشكلات مع العمال أو التأمينات أو الضرائب أو الجهات المسئولة عن التراخيص والرقابة.

وفي العاشر من رمضان هناك مشكلات لا حصر لها بين رجال الصناعة وهيئات الحكومة المختلفة ويندر ان تمر مناسبة تجمع بين هؤلاء المستثمرين ووسائل الاعلام دون أن يتحدثوا عن مشكلاتهم المتعددة في الضرائب والجمارك والمنافسة الاجنبية وسياسة الدولة التي تحابي التجارة على حساب الصناعة وبالمناسبة فإن التجار المصريين لديهم أيضا مشاكلهم وتقول تقارير الغرفة التجارية أن هناك ما يقرب من **نصف مليون حالة «بروتستو» سنوياً.**

وفي هذه الأوضاع يذكر.

ان القطاع الخاص المصري ، تردد طويلا حتى في الاقدام على شراء الفنادق مضمونة الربحية عندما كانت الحكومة تدلل على بيعها منذ ثلاث سنوات كما يجدر الاشارة إلى أن ما تم بيعه من تاريخ تطبيق **القانون ٢٠٣ لسنة ١٩٩١**–الذي اصدرته

أعمال بغرض بيعه– وحتى نهاية **١٩٩٥ قد شمل ٣ شركات فقط بيعت بالكامل بمبلغ ١ر٥٣٧ مليون جنيه.. وتم نقل ملكية ١٦٧٣ مشروعا كانت تملكها المحليات إلى القطاع الخاص والقطاع التعاوني وهي مشروعات صغيرة الحجم في معظمها**. كما تم التصرف في ٥٣ مشروعا تزيد القيمة الدفترية لكل منها على ١٠٠ ألف جنيه وتبقى من هذه المشروعات الكبيرة ١٩٢ مشروعا تم تقسيمها إلى سبع مجموعات حسب مجال نشاطها بغية التصرف فيها بالبيع أو الايجار وما زالت خطوات بيعها محلك سر لا حجام القطاع الخاص عن الشراء.

واذا كان حجم المطروح للبيع تبلغ **قيمته الدفترية بين ٨٨ مليار و ٦٠٠ مليار جنيه في التقديرات غير الرسمية**.فان كل ما قدمه القطاع الخاص طوال عشرين عاما لا يتجاوز ٣٠ مليار جنيه حسب بيانات هيئة الاستثمار مع الأخذ في الاعتبار أن نسبة الشريك الاجنبي والعربي تصل إلى حوالي ٢٥٪ من هذا الرقم بالاضافة إلى أن هذا الرقم يشمل المشروعات التي بدأت العمل وأيضا المشروعات التي لم تبدأ العمل بعد).

وهو ما يعني أن القطاع الخاص غير مؤهل للدخول في مزاد الحكومة بالقدر الذي يجعل من البيع مصرياً خالصا.

أما أموال **المصريين في الخارج** والتي تسعى الحكومة لاجتذابها من خلال المزاد فإن هذه الأموال مقدرة بحوالي ١٧٠ مليار دولار منها حوالي ٨٢ مليار هاربة (الأهالي ٢٤ / ١/ ١٩٩٦) وعلينا أن نفرق في ذلك الرقم بين الأموال المصرية وهي أموال يرى د. **رمزي زكي** استحالة في جذبها إلى مصر فقد جاءت هذه الأموال عن طريق انشطة غير مشروعة في عمليات استيراد السلع والاسلحة والسمسرة والوساطة والاختلاس والاتجار في السوق السوداء والمواد الممنوعة مثل المخدرات وغيرها.

أما تلك الهاربة بفعل مناخ الاستثمار والتي تكونت كنتاج لمدخرات المواطنين العاملين في الخارج والمودعة باسمائهم في البنوك الخارجية فإن هذه الأموال لن تأتي لمجرد اعلان الحكومة الحب من طرف واحد خاصة مع التجربة المرة التي دخلها

المهاجرون المصريون ، بتأسيس **شركة المصريين في الخارج للاستثمار والتنمية** طبقا للقانون ٢٣٠ لسنة ١٩٨٩ برأسمال يقدر ب ٤٠ مليون جنيه وكان الهدف جذب مدخرات المصريين بالخارج ووعدت الحكومة بتذليل كافة العراقيل .. وفي اطار الشركة أقام المصريون المهاجرين ٦ شركات فرعية وساهموا في ٧ شركات ولكن مناخ الاستثمار والفساد المستشري في أروقة الاجهزة الحكومية التي سيطرت على مجلس الادارة في غياب المهاجرون ادى بهم إلى توقف أي محاولة جديدة للاستثمار في مصر وانتهت الشركة إلى حجم اعمال هزيل وسعر متواضع في البورصة وتداول أكثر تواضعا من شركات قطاع الاعمال للغزل والنسيج (آقل الشركات في البورصة).

أما التجربة الثانية فقد دخلها د. **محمود وهبه** رئيس جميعة رجال الأعمال المصريين الامريكيين لشراء. شركة الكوكاكولا المصرية عندما اعلنت الحكومة عن بيعها وتم أستبعاده بحجة ضرورة الحصول على موافقة الشركة الأم وهو ما جعل د. وهبه يصرح لروزاليوسف في ٢١ ابريل ٩٣ ان **شروط بيع الشركات تحرم المصريين من الشراء وتفتح الباب أمام المغامرين الأجانب.**

وبالمناسبة فإن هذا هو ما حدث بالفعل واستطاع المشتري الذي وافقت الشركة الأم على مشاركته أن **يصفي احد المصانع ويبيع الارض بسعر ١٠٠ مليون جنيه تعادل نصف ما دفعه في شراء الشركة كلها بكل فروعها ومصانعها وأراضيها.**

***

البورصة عندها أنيميا

اما سوق الاوراق المالية والتي تراهن عليها الحكومة في ترويج الوهم فإن آخر التقارير الصادرة عن المجالس القومية المتخصصة تؤكد فقدان الاسهم أكثر من ٢٢٪ من قيمتها والاسباب من وجهة نظر البورصجية هي**ارتجال الحكومة في طرح اسهم الشركات دون اية دراسات لاوضاع السوق** الاضافة إلى استمرار الادارات الحكومية في ادارة الشركات وهي ادارات ليست محل ثقة من جانب المتعاملين في الاسهم..

تشير إلى خبراء المجالس القومية

حيث يطالب تقريرهم بعدم طرح أي **اسهم جديدة حتى يتم بيع أكثر من ٦٠٪ من اسهم الشركات المطروحة.**

حتى الدكتور **هشام حسبو** يتخوف من طرح أسهم جديدة في البورصة بينما وصل الانخفاض في مؤشر سوق المال إلى أدنى مستوى له منذ أول سبتمبر ١٩٩٤.

ويرد حسبو على ادعاءات وزارة قطاع الأعمال بأن السوق يمكنها استيعاب مزيد من الاسهم بقوله **ان ما يتردد عن استعداد السوق لطرح المزيد من الاسهم أو خلافه هو من قبيل الحديث السياسى وليس الحوار الفنى أو العلمى.**

ويقول حسبو من غير المعقول ان يتم اتخاذ اجراء أو حتى قرار بطرح الاسهم دون مشاركة العاملين في سوق الأوراق المالية وتجهيز البورصة ووضع الخطط والمدد اللازمة لعمليات الطرح وتهيئة المناخ الاستثمار لجذب المدخرات المحلية وايضا الاجنبية ووضع السياسات الضريبية التى تكفل ذلك.

وقبل تقرير المجالس القومية المتخصصة قال تقرير صادر عن وزارة الاقتصاد ان **البورصة تعانى من هزال حادا اسفر عن انخفاض اسعار الاسهم طوال الاشهر الماضية حتى وصل إلى ٥٠٪ فى بعض الشركات والبنوك.**

وفى التقرير النصف سنوى للبورصة ظهر بالارقام ان التعامل فى ١١٤٠ اصدار لم يتجاوز ٢٣٩ وبنسبة ٢١٪ فقط من الاصدارات الجديدة.

ومن بين الشركات التى تم عليها التداول تركز النشاط فى عدد محدود منها .. **واستحوزت ٥ شركات فقط على ٥٧٪ من اجمالى عدد الاوراق المالية المتداولة.ويقول التقرير ان نسبة الاسهم المتداولة بالقياس لعدد الاسهم المقيدة لم يتجاوز نسبة ٢ر١٪ فقط** وهو ما يشير إلى محدودية التداول للأوراق بالسوق المصرية وغياب الجانب الأكبر من الاوراق عن التعامل حتى تحولت البورصة إلى مخزن للاوراق الراكدة.

ففى ٧١٨ شركة مقيدة تم التعامل على ٢٠٧ شركات فقط بنسبة ٢٩٪ .. وقد **تبين ان هناك ٥٣٧ شركة لم يجر عليها اي تعامل لمدة عام** رغم ان قانون البورصة ينص على شطب اية شركة من القيد فى حالة عدم حدوث اية تعامل عليها خلال ١٦ شهر.

وهذه الأوضاع هى التى جعلت العديد من الخبراء والمتخصصين ورجال البورصة من ارسال التحذيرات العلنية للحكومة من الانهيار القادم لسوق الاوراق المالية اذا ما اصرت الحكومة على خطتها في طرح اسهم الشركات المعلن عنها دون النظر لاحوال السوق.

ولا يمكن التعويل هنا على دور صناديق الاستثمارأو البنوك استيعاب ما تنوى الحكومة طرحه **فحجم الأموال التى تديرها صناديق الاستثمار لا يتجاوز ٤ر١ مليار جنيه من بين ٢٥ مليار تمثل القيمة السوقية لتعاملات الأسهم المتداولة** وهو حجم ضعيف لا يمنح ادارات هذه الصناديق القدرة على التأثير في السوق.

ونعود إلى خبراء المجالس القومية حيث يؤكدون أن اغلب هذه الصناديق قد وصلت إلى الحد الاقصى الذى لا تستطيع معه الاستثمار في الاسهم خاصة مع اضطرارها إلى توفير سيولة اضافية لمواجهة التزايد فى عمليات الإسترداد..

أما البنوك ورغم وجود ودائع لديها تزيد عن ١٥٠ مليار جنيه، فانها ما زالت تلعب في المضمون رغم اى اعلان تحسن مناخ الاستثمار .**وتقوم البنوك المحلية بتوظيف الودائع لدى بنوك الخارج وتحصل منها على فائدة مما تعطيه للمودعين وهى سياسة لم تتغير منذ زمن طويل.. وهى بنوك تفتقر للادارات الرشيدة.**

وتقول الخبيرة المصرفية الدكتورة **سلوى العنترى** آن البنوك المصرية تفضل توظيف اموالها في بنوك الدول الاجنبية وقد **ارتفعت نسبة هذه الودائع من٦٠٪ من جملة الودائع الموجودة بالعملات اللاجنبية لدى البنوك في يونيو ١٩٩٠ إلى ٨٥٪ في يونيو ١٩٩٣ بحيث لا يتجاوز ما يتم استخدامه داخل الاقتصاد المصرى نحو ١٥٪** . اما التوظيفات المصرية يذهب جزء كبير منها إلى الاستثمارات المأمونة وعلى رأسها.

اذون الخزانة- ديون على القومية المصرية مضمون سدادها -والتي اصبحت تشكل نحو ٣١٪ من جملة توظيفات البنوك داخل الاقتصاد المصرى،

***

الاجانب يمتنعون

ونأتى إلى الاستثمارات الاجنبية أو بالادق استثمارات الشركات متعددة الجنسية وهي شركات لا تأتى لمجرد ان الحكومة تعطي حوافز واعفاءات .. وبالمناسبة فان احدث دراسة عن الاعفاءات.. قدمها د. **حمدى عبد العظيم** عميد اكاديمية السادات بطنطا قد بينت ان حجم **الاعفاءات وصل إلى ١٠٠ مليار جنيه على مدار سنوات الانفتاح والخصخصة** ورغم **ذلك** فلم تأتى إلى مصر الا ارقام هزيلة من الاستثمارات الاجنبية اعترف بها رئيس الوزراء نفسه أمام ممثلى الاحزاب بانها **لا تزيد عن ٤٠٠ مليون دولار عام ٩٥ بينما ذهبت ٤٠ مليار دولار إلى اندونيسيا** فى السنة نفسها وقد سبق لنا معالجة اسباب عزوف الاستثمارات الاجنبية عن الاستثمار فى مصر وذلك في عدد اليسار قبل الماضي (الحكومة في انتظار مستثمر لن يأتى ابدا) وكانت أهم الاسباب هى اوضاع البنية الاساسية والقاعدة الصناعية والقوى الشرائية وعدم الاستقرار السياسي والفساد واحوال الادارات الحكومية والقوانين والتشريعات المتضاربة الخ.

ونضيف على ما قلناه ما اثبتته الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله فى دراسته عن الحقيقة المنسية فى التنمية الاقتصادية».

يقول الدكتور اسماعيل اننا نتكلم عن الاستثمار واهميته وضرورة تشجعيه بل وتدليله بينما ننسى جميعا أن أى استثمار محلى أو اجنبى هو فى الاصل ادخار وان هذا الادخار ووسائل تشجيعه وطرق تعبئة للاستثمار ضاعت تماما من الخطاب الاعلامى.

والامر المزعج فى اقتصادنا أكثر من أى شيء آخر هو تدنى معدل الادخار كنسبة من الناتج المحلى الاجمالى من ١٤٪ فى الستينات (وكان معدل متواضع من وجهة نظر د. اسماعيل إلى ٧٪ فى التسمينات).

وبالمقارنة مع بلدان اخرى بعضها افقر منا وتكتظ بالسكان اكثر منا نجد انها تحقق معدل ادخار ثلاثة اضعاف واحيانا خمسة اضعاف المعدل المصرى..

بل ان هذا الاخير متدن للغاية بالنسبة لمتوسط معدل الادخار فى أربعين دولة فقيرة وهو ٢٧٪ واذا اخذنا نموذج لبعض البلدان الان نجد معدلات الادخار بالنسبة للناتج المحلى الاجمالى تصل فى اندونيسيا إلى ٣٦٪ وفى الهند ١٩٪

وفى نيجريا ٢٢٪ وفى تونس١٨٪ والمغرب ١٧٪ وكوريا الجنوبية ٣٦٪ بينما لم ترد فى مصر عن نسبة الـ ١٧٪.

والغريب ان (المدخرات التى تتحول إلى استثمار وليست ودائع بنوك) فى مصر تأتى اغلبها من العاملين والاسر المتواضعة بفضل الادخار الاجبارى الذى تفرضه نظم التأمين والمعاشات ويلى ذلك صافى مبيعات شهادات الاستثمار ثم الزيادة فى ودائع صندوق توفير البريد وكانت بالارقام عام ٩١ بالترتيب: ٥٦٠٠ ، ٦٧٩ ، ١١٤ مليون جنيه)

ويؤكد د. اسماعيل انالدولة والقطاع العام والقطاع الخاص المنظم لا تسهم فى الادخار المحلى.

هذه هى الأرض التى تقيم عليها الحكومة مزاد البيع .. ولا نظن انها تجهل هذه الاوضاع فالحكومة أكثر من غيرها تعلم بان ظروف واوضاع القطاع الخاص المصرى لا تسمح له بشراء المطروح فى المزاد.. كما تعرف أكثر من غيرها ان سوق الاوراق المالية لا تحتمل اية عمليات طرح لاسهم جديدة..كما تعلم الحكومة أكثر منا ان الاستثمارات الاجنبية ضعيفة وان الاجانب محتمون منذ زمن طويل عن الاستثمار فى مصر .. كما تعلم الحكومة أن المصريين فى الخارج يفضلون الاستثمار فى الاسواق المضمونة وليس من بينها السوق المصرى ومع ذلك تحاول الحكومة ان تصرف الانظار عن المعنيين الحقيقيين بلعبة المزاد ونقصد بهم اللذين سيشترون الديون المصرية ويبادلونها بأصول القطاع العام .. وهؤلاء ما زالوا خلف الستار ولا يعرف أحد هويتهم أو جنسيتهم .

وعلينا الانتظار أو سؤال الحكومة عليهم لربما ترد علينا فى تحقيق آخر.

الشركات المطروحة للبيع

يبلغ عدد الشركات التى تنوى الحكومة طرحها للبيع كلياً أو جزئيا ٣١٤ شركة أتمت تقويم ومراجعة اصول ٢٧٨ شركة تبلغ القيمة الدفترية لها ٩٠ مليارا و ٩٠٧ مليونا من الجنيهات . يتبقى عدد ٣٦ شركة.

المطروح فعلياً فى المرحلة الأولى ١٤ شركة منها ٣ شركات طرحت عروض الشراء فيها من قبل اتحادات ملاك العاملين.

تتراوح نسب أسهم الشركات المطروحة للبيع ما بين ٤٠٪ ، ٦٠٪ ، ١٠٠٪.

انواع الشركات وقيمتها

عدد الشركات	القطاع	القيمة الدفترية بالمليون
٢١ شركة	الصناعات الهندسية	٤ر٦٥٣٥ مليون جنيه
٢٢ شركة	القطن والتجارة الدولية	٢ر٧٢٦٧ مليون جنيه
١٢ شركة	النقل البحرى	١ر٢٦٤٧ مليون جنيه
١٤ شركة	الصناعات الكيماوية	٤ر١٤٥٢ مليون جنيه
٧شركة	غزل ونسيج	٦ر٥٩٦٧ مليون جنيه
١٤ شركة	تصنيع المنسوجات	٧ر٤٥١١ مليون جنيه
١٦ شركة	توزيع الكهرباء	٣ر٧٨١٣ مليون جنيه
٩ شركة	القومية للأدوية	٤ر٢٣٨٨ مليون جنيه
٢٣ شركة	القومية للتشييد والتعمير	٣ر٧٢٢١ مليون جنيه
١٧ شركة	الصناعات المعدنية	٣ر١٤٨٢٦ مليون جنيه
١٣ شركة	الاشغال واستصلاح الاراضى	٨ر٤٣٢١ مليون جنيه
٢٢ شركة	الصناعات الغذائية	٤ر٦٩٦٧ مليون جنيه
٢١ شركة	الاسكان والسياحة والسينما	٣ر٣٢٨٣ مليون جنيه
١٣ شركة	التعدين والحراريات	٥ر٨٠٨٩ مليون جنيه
١٧شركة	المضارب والمطاحن	٢ر٣٣٠٣ مليون جنيه
١٣ شركة	النقل البحرى	٩ر٢٦٦٥ مليون جنيه
	التنمية الزراعية	٩ر٢٥٤٤ مليون جنيه

أسماء الشركات التى طرحت للبيع فى المرحلة الأولى

طرحت الحكومة عدد ٤٦ شركة من القطاع العام للبيع فى المرحلة الأولى . منها ٩ شركات فى قطاع الغزل والنسيج وثلاث شركات للأدوية و٦ شركات عاملة فى مجال الاسكان والمقاولات وعدداً آخر من الشركات المختلفة:

١- الدلتا للغزل
٢- المتحدة لتجارة المنسوجات بالجملة.
٣- العربية لتجارة المنسوجات
٤- دمياط للغزل
٥- بورسعيد لتصدير الاقطان
٦- النصر للمنسوجات
٧-نستيا
٨- مصر- شبين الكوم للغزل.
٩- المنسوجات الحديثة (بوليفار).
١٠- اطلس للمقاولات.
١١- النصر للمعدات والتركيبات.
١٢- المعادى للاسكان والتنمية.
١٣- القاهرة للاسكان.
١٤- مدينة نصر للاسكان والتنمية.
١٥- المتحدة للاسكان.
١٦- القناة للتوكيلات الملاحية.
١٧- بورسعيد للحاويات.
١٨- دمياط للحاويات.
١٩-المصرية لتمويل السفن.
٢٠- الاسكندرية للحاويات.
٢١- العربية للتوكيلات الملاحية.
٢٢- ممفيس للأدوية.
٢٣-العربية للأدوية.
٢٤- القاهرة للأدوية.
٢٥- النصر للتلفزيون.
٢٦- تليمصر.
٢٧-ايديال.
٢٨- مصر للألومنيوم.
٢٩- النصر للزجاج.
٣٠- النيل للكبريت.
٣١- كفر الزيات للمبيدات.
٣٢-مصر للزيوت والصابون.
٣٣- المصرية للصباغة والتجهيز.
٣٤- المصرية للنشا والجلوكوز.
٣٥-مطاحن مصر الوسطى.
٣٦- مطاحن غرب القاهرة.
٣٧- مطاحن شرق الدلتا.
٣٨- مضارب كفر الشيخ.
٣٩- العامة للصوامع والتخزين.
٤٠- النصر لوسائل النقل الخفيف.
٤١- الماكو للمحولات.
٤٢-فنادق مصر الكبرى.
٤٣- السويس للمناطق الحرة.
٤٤- ميتالكو.
٤٥- استيلكو.
٤٦- المالية- الصناعية للمبيدات والأسمدة.

مشروعات المحليات:

نظراً للبيانات المغلوطة والتصريحات الحكومية المتضاربة ، فإنه غير معروف على وجه الدقة عدد المشروعات المملوكة للمحافظات.

فقد ذكرت بعض التصريحات أن عدد مشروعات المحليات المطروحة للبيع يبلغ ١٧٨٧ مشروعا(الأهرام ٢٦/ ٩/ ٩٠).

منها ١٣١٥ مشروعا قيمتها الدفترية ٥٠ ألف جنيه.

٢١٢ مشروعا قيمتها الدفترية ما بين ١٠٠ - ٢٥٠ الف جنيه.

١٥٣ مشروعا قيمتها الدفترية أكبر من ٢٥٠ الف جنيه.

فى حين ذكرت تصريحات أخرى لبعض المسئولين أن اجمالى عدد المشروعات المحليات ٣١١٥ مشروعاً.

منها ١٨٠٠ مشروع لا تتعدى قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه.

١٣١٥ مشروعا قيمتها الاجمالية ٢١ مليون جنيه.

(الأهرام ٣٠/ ١١/ ٩٠).

فى تصريح ثالث للحكومة أكدت أن مشروعات المحليات عددها

٢٤٠٠ مشروع قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه.

(روزاليوسف ٣٠/ ٤/ ٩٠).

هذا عن عدد المشروعات وقيمتها أما البيع فعلا فهو أيضا مثار للتناقض والاختلاف.

فمن مؤكد ان ما تم بيعه من مشروعات المحليات . يبلغ :

٥٣ مشروعاً تزيد قيمتها الدفترية عن ١٠٠ ألف جنيه(الاهرام ١/٤/١٩٩٦).

وتصريح آخر يؤكد أن المبيع ٣٨٥ مشروعا بمبلغ ١٠ مليون جنيه(الاهرام ٣٠/١١/٩٠).

فى حين يؤكد ثالث أنه تم بيع ٨٥٠ مشروعاً للمحليات بمبلغ ١٦ مليون جنيه. (الأخبار٦/٢/٩١).

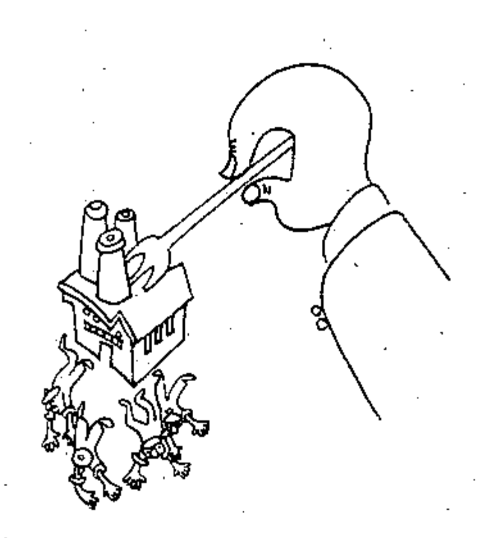
السبيل الحقيقى لتوسيع الملكية

الدكتور فؤاد هاشم عوض وزير الاقتصاد الاسبق رجل لا يمكن اتهامه بالشيوعية أو الاشتباه فيه بتهمة اليسارية ومع ذلك طالب الحكومة برد ممتلكات الشعب الممثلة فى القطاع العام إلى الشعب ليديرها بنفسه بعد أن اعلنت الحكومة عن نيتها فى البيع.

وقال فؤاد هاشم ان هذا ليس اقتراحا خياليا ولكنه رد الأمور إلى نصابها الصحيح فالحكومة لا تعدو أن تكون مالكة ملكية اعتبارية لقطاع الاعمال العام وهى تنوب عن الشعب فى ادارة شئونه مثلما تنوب عنه فى اداء وظائفها السيادية ومن ثم فلا غرابة فى ان يسترد المالك الحقيقى ملكيته .. والاقتراح ليس خياليا ايضا بعد تطبيقه فعلا فى بعض الدول وفى تجارب اشرف عليها البنك الدولى وساندها.

وهذا هو السبيل الحقيقى نحو تطبيق مبدأ توسيع الملكية الذى تعلنه الدولة ويرعاه البنك الدولى بدلا من شراء قلة من الناس هم عدة آلاف فى أفضل الاحوال وليسوا مصريين بالضرورة ما كان عشرات الملايين خلال حقب عدة من الزمان لتكوينه ونمائه والتعديل عليه.

من هو صاحب قرار بيع القطاع العام؟



محمود الحضري

ما من مناسبة تثار فيها قضية ما يسمى بـ«**الإصلاح الاقتصادي**» أو تحرير الأسواق وإخضاع السلع للعرض والطلب ، أو الحديث عن بيع القطاع العام إلا وتخرج علينا الحكومة بصياح لا حدود له على لسان الجميع من أكبر مسئول حتى أصغر خفير وكل من يسير في ركاب الحكومة .. ليقول عليكم أن تعلموا أو «تفهموا» **أن كل ما يتم هو صناعة مصرية ١٠٠٪ .ولا خضوع فيه لأي ضغط خارجي سواء كان من المؤسسات المالية الدولية أو الدول الكبرى الدائنة**.

بل يصل الأمر إلى تلقين كل من يقول غير ذلك درس في الاخلاق والوطنية متضمنا ان **السيادة الوطنية هي الأساس وليس هناك من يملك التأثير على مصر**،ولا يحق لأن يقول أحد أن هناك ضغطاً من هنا أو هناك. فالضغط الوحيد المقبول للمواطن المصري وفقط.

ثم يخرج علينا أخيرا د.**كمال الجنزوري** رئيس الوزراء ليقول إن المصلحة العامة هي التي تحكم مسيرة أداء الاقتصاد القومي ،وأن قدسية المال العام لا يمكن أن يمسها أحد لأن الاضرار بها إضرار بحق المجتمع .. بل أن البعد الاجتماعي في أي قرار اقتصادي ومالي مرتبط بأمن المواطنين وبالتالي فان القرارات لابد أن تكون منضبطة.

رغم كل هذا علينا أن نعود قليلا للوراء لنتعرف على حقيقة الوضع بتفاصيله،وهل قرار بيع القطاع العام محلي أم خارجي.

ففي عام **١٩٨٩** توصلت الحكومة لاتفاق من خلال مذكرات متبادلة مع صندوق النقد والبنك الدولي، لتنفيذ برنامج للاصلاح الاقتصادي وتحرير الأسعار وإعادة هيكلة القطاع العام .واقترح الصندوق والبنك عدة إجراءات محددة على الحكومة الالتزام بها.

وشملت **إلغاء التسعير الجبري تدريجيا لأسعار المنتجات المحلية خاصة التي ينتجها القطاع العام وإلغاء تدريجي للدعم بالاضافة إلى تنفيذ برنامج لإعادة هيكلة إنتاج الشركات العامة، وإعادة النظر في أسعار الفائدة، وتوحيد سعر الصرف ،والتوقف عن مساهمات الشركات العامة في المشروعات المشتركة** ،بالاضافة إلى مطالب أخرى تتعلق بمراجعة الموازنة العامة والنفقات والايرادات كل فترة في حدود ٣ إلى ٦ أشهر.

وواجه هذا البرنامج صعوبات في التنفيذ ،واشتد الخلاف بين الحكومة وصندوق النقد لدرجة أن **المؤسسات المالية بدأت في رفض تحويل واردات مصر من القمح وتوقفت أمريكا عن بيع القمح بالأجل**،وطلبت شركاتها السداد نقداً. وخشيت الحكومة تنفيذ مجموعات السياسات الاقتصادية دفعة واحدة .وتجمد البرنامج لفترة.

وتحمس د. **عاطف صدقي** رئيس الوزراء السابق فيما بعد، وتوصلت حكومته إلى اتفاق جديد أطلق عليه **برنامج المرحلة الأولى للاصلاح الاقتصادي** ،وتركز هذا البرنامج وفق الوثائق المتبادلة بين الحكومة والبنك والصندوق على الاصلاح المالي والنقدي وبمقتضاه بدأت الحكومة مع السنوات الأولى للتسعينات في برنامجها المسمى بالاصلاح المالي والهيكلي ..**وخلال أقل من عام تم توحيد أسعار الصرف** ،الأمر الذي أدى إلى **الوصول بسعر الدولار أمام الجنيه إلى ما يقرب من جنيهين وزاد تدريجيا ليصل إلى ٣٤٠ قرشا مع مرور السنوات**.ودخلت مصر لأول مرحلة نظام العمل بشركات الصرافة لتحل محل تجار العملة ولكن بشكل قانوني..

وخشية الحكومة إرتفاع سعر الدولار وانخفاض الجنيه ثم صياغة نظام يتم وفقاً له تدخل البنك المركزي بشكل ثابت في سوق الصرف كبائع للدولار ليحد من خفض قيمة الجنيه في الأسواق مشتريا ليحد من الارتفاعات المفاجئة. **وبلغ ما اشتراه**

تاريخ المفاوضات الحكومية مع المؤسسات الدولية يكشف أسرار عملية البيع

البنك المركزى على مدى السنوات الأربع الأخيرة أكثر من ١٣٠٠ مليون دولار،وهى سابقة لم تشهدها الأسواق المصرفية.. بل تم وضع حساب خاص لاحتياطى نقدى بلغ حتى الآن ١٨ مليار دولار بالبنك المركزى لمواجهة أية أزمة.. وتوقع البعض وقتها أن هذا «الاصلاح» المصرفى سيساهم فى رفع سعر الدولار ليتجاوز الجنيهات الأربعة .. إلا أن **الحكومة بتدخلاتها -غير الاقتصادية-** حالت دون ذلك.

وبالاتفاق بين الحكومة والبنك والصندوق تم إعادة توزيع الموازنة العامة **لينخفض الدعم بشكل ملحوظ بنسب لا تقل عن ٨٠٪**. وخضعت الأسعار للعرض والطلب **ليرتفع التضخم بنسب وصلت فى السنوات من ٩١ حتى ٩٤ إلى ٢٨٪ سنوياً**.

وشملت «روشتة» الصندوق إصلاح أوضاع الشركات العامة وكان نتيجة ذلك صدور **القانون ٢٠٣ لسنة ١٩٩٢ المعروف** بالشركات القابضة ، وتم بمقتضاه تجميع الشركات العامة تحت اشراف وزارة واحدة «**قطاع الأعمال العام**».

وكان ذلك هو البداية العملية لمحاولات بيع القطاع العام الفاشلة **وتوقفت الدولة عن تقديم أي شكل من أشكال الدعم للشركات العامة التى تحملت طوال سنوات الأعباء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منذ ٥ يونيه ١٩٦٧ حتى الانفتاح الاقتصادى وما تبعه**.

وكان من بين الاتفاقيات مع الصندوق والبنك إعادة جدولة الديون وإسقاط ٥٠٪ من أصل الدين العام الخارجي، والتنازل من جانب أمريكا ودول الخليج عن حوالى ١٢ مليار دولار- ديون عسكرية ومدنية.. وذلك عقب حرب الخليج الثانية.

عام البيع

ومع حلول عام ١٩٩٣ بدأت رحلة مفاوضات جديدة لبيع القطاع العام ..جرى بمقتضاها الاتفاق على بيع **جميع أنصبة الدولة فى الشركات المشتركة تصل قيمتها الدفترية لنحو ١١٠ مليار جنيه**وتتراوح .نسبة مساهمة الشركات العامة والبنوك وشركات [illegible] ٪٩٣ **وبيع ٦٨ شركة عامة إما كلياً أو جزئياً.**

وشملت الاتفاقيات حسب ما ورد فى الوثائق المتبادلة بين الحكومة والبنك والصندوق ، **بيع إحدى شركات التأمين وأحد بنوك القطاع العام الأربعة الكبرى**.

وخضوعا من الحكومة لهذه الالتزامات الخارجية طرحت خلال الفترة الماضية من أواخر عام ١٩٩٣ حوالى ١٢ شركة عامة للبيع للقطاع الخاص دون تحديد جنسيته.ولم يتقدم أحد لشراء كل تلك الشركات بل اقتصر العرض على شراء ٣ شركات فقط **هى الكوكاكولا والبيبسى كولا والمراجل البخارية**. وتركز سبب قبول شراء الأولى والثانية لكونهما شركات تلقى منتجاتها رواجاً بالأسواق ،وتكلفة الانتاج فيها منخفضة جدا.. **ورغم ذلك استغنت عنهما الحكومة وقبلت بيعهما لنظام الممارسة والتفاوض** المباشر.أما المراجل البخارية فقد تم بيعها **لاستفادة المشترى من الأرض التى تقع عليها على نيل مصر العظيم بهدف استخدامها مستقبلا** استخداما تجاريا.

وفى مقابل ذلك لم يتقدم مشترون حقيقيون لشراء شركات أخرى مثل **النصر للسيارات وكولدير وإيديال والفنادق والبواخر السياحية**.. بل وصل الأمر لعروض لشراء خطوط انتاج فقط وبذلك تعثر تنفيذ برنامج البيع..

وعلى الجانب الآخر تم **طرح أسهم ١٦ شركة للبيع من خلال بورصة الأوراق المالية**، حيث تم طرح نسب تتراوح بين ١٠٪ و ٢٠٪ للبيع للجمهور والعاملين. واستمر هذا البرنامج حتى نهاية ١٩٩٥.

(أما بالنسبة لبيع أحد البنوك العامة وإحدى شركات التأمين فلم تتمكن الحكومة من تنفيذه نظراً لضغوط ومواقف متباينة داخل مجلس الوزراء .ولم يشمله التنفيذ.

ولأسباب متعددة لم تنفذ الحكومة مطلباً للصندوق والبنك خاصاً بخفض قيمة الجنيه أمام الدولار ، خاصة بعد اعتراض العديد من الشركات العامة والخاصة على ارتفاع أسعار الواردات وانخفاض حجم الصادرات، وبعد جدل شديد حسم **الرئيس مبارك** الموقف ورفض التنفيذ الحالى لخفض سعر الجنيه .. ولكن لم يتم حسم هذا المطلب من جانب الصندوق والبنك ومازلا يطالبان به.

فى ظل تلك الأوضاع وهذه الترتيبات بين الحكومة والمؤسسات الدولية ، بدأ ما يسمى بالمرحلة الثانية للإصلاح الاقتصادى لبيع القطاع العام.. وذلك تنفيذا لاتفاق وتعهد سابق واستجابة لمطالب البنك والصندوق، بالاضافة لمطالب جديدة منهما.

فعلى مدى أكثر من عام جرت اتصالات بين الحكومة وكبار مسئولى الصندوق والبنك، انتهت إلى البرنامج العاجل للخصخصة حيث **اشترط البنك ضرورة إصلاح نظام التداول فى سوق الأوراق المالية، حتى يتمكن من استيعاب أسهم الشركات المطروحة للبيع**.

وتداولت المناقشات عدة اقتراحات للاسراع فى البرنامج ، جاء على رأسها فكرة **مبادلة الديون الخارجية بأصول الشركات** .حيث اقترح مسئولو المؤسستين الماليتين ، التوسع فى بيع الديون الخارجية لأشخاص عاديين واعتباريين، على أن يتم عرض الشركات على مشترى الديون، بدلاً من



عاطف صدقى — الجنزورى

بدأت الخصخصة عام ١٩٨٩ ثم امتدت لتصل لأخطر مراحلها عام ١٩٩٦

استثمار عائد بيع الدين فى مشروعات جديدة.. خاصة أن شروط البيع للديون تشترط أن يتم إستثمار العائد محلياً. وباعمال هذا النظام سيتم منح مشترى الديون ميزات أخرى فى شراء أصول ووحدات انتاجية بسعر أقل من سعرها الحقيقى.

وكشفت المفاوضات الأخيرة أن الحكومة لا تملك تقييماً حقيقياً للقيمة السوقية لمؤسسات وشركات القطاع العام وتعتمد فى توضيح ذلك والوصول إليه على عمليات التقييم التى ستتم خلال عملية البيع لكل وحدة انتاجية منفصلة على حده.

واتضح من عمليات التفاوض الأخيرة أن جميع الأصول العامة «شركات- مؤسسات- خدمات» مطروحة للبيع ..وليس الهدف البيع فى حد ذاته بل الوصول إلى ما يسمى بـ «الوصول لنقطة البيع» .. ومن هنا عرضت الحكومة تقريراً حول كافة الأصول وقيمتها الدفترية.

وشملت هذه الأصول قائمة طويلة من الشركات تجاوزت قيمتها الاسمية ٨٠٠ مليار جنيه وتتضمن ٣١٤ شركة عامة تخضع للقانون ٢٠٣ لسنة ١٩٩٢ «قطاع الأعمال العام» قيمتها الدفترية ٨٨ مليار جنيه. و٢٢ هيئة تنمية تبلغ قيمتها ٢٤٠ مليار جنيه . بالاضافة إلى ٤ بنوك وحصص الدولة ومؤسساتها وشركاتها فى البنوك المشتركة وتصل إلى ١٢٠ مليار جنيه و ٨٣ هيئة خدمية تبلغ قيمتها الدفترية ٨٥ مليار جنيه. وهناك مساهمات من الشركات العامة وشركات التأمين والبنوك بالشركات المشتركة بنسب تتراوح بين ٤٪ و ٩٣٪ تصل حقوق الدولة فيها إلى ١٢٥ مليار جنيه.

وفى آخر جولة من المفاوضات تم التوصل لصياغة مشتركة حول مرحلة البيع الأولى وتشمل طرح نسبة من أسهم ١٦ شركة سبق عرض أسهمها للبيع وتصل قيمتها الدفترية إلى مليارين و ٢٤٢ مليون جنيه بينما قيمتها السوقية ٦ مليار و ٤٤٩ مليون جنيه. علاوة على طرح أسهم عدد آخر من الشركات للمرة الأولى قيمتها الدفترية ٤ مليار و٢٤٣ مليون جنيه وقيمتها السوقية ١٦ مليار و١٨١ مليون جنيه.

كما تم التوصل لتحديد قيمة ١٤ شركة سيتم عرضها للبيع الكامل وهى شركات غذائية وهندسية قيمتها السوقية مليار و ٣٩٩ مليون جنيه بينما قيمتها الدفترية ١٧٩ مليون جنيه.

(وحددت المفاوضات طرق التصرف فى العائد فسوف يتم توجيه ٧ر٩ مليار إلى سداد الديون. والباقى سيخصص لتحديث شركات أخرى أو لتحديث الشركات المباعة نفسها خاصة المطروحة بنظام بيع الأسهم).

وكشفت المباحثات عن وجود ١٤٠ شركة تحتاج إلى ١٤ مليار لاصلاح هياكلها المالية منها ١٠٤ شركة تحتاج لتطوير عاجل.

ورفض الصندوق والبنك أى دخول مسئول فى عمليات الطرح الأولى لبيع الأسهم فى الشركات المطروحة للمرة الثانية أو لأول مرة.

والتزمت الحكومة بمبدأ عام وهو البيع لكل الأصول العامة من خلال برنامج زمنى طويل المدى، خاصة أن رؤية المؤسسات الدولية تتركز فى أن التطوير للمنتجات لن يتم إلا من خلال شركاء جدد ، ولابد من البحث عن هؤلاء الشركاء سواء بالداخل أو الخارج. وأن يتم ذلك إما عن طريق البيع الجزئى وضخ أموال للاستعانة بهؤلاء الشركاء أو بنظام نقل الملكية بالكامل لمالك آخر قادر على التطوير الانتاجى.

وهكذا يتضح أن عملية البيع ليست نبتاً مصرياً حكومياً بل هى صناعة إما خالصة من المفاوض الخارجى أو أنها صناعة مشتركة. لتحقيق هدف واحد وهو تخلى الدولة عن ادارة آليات الانتاج.

أسباب أزمة القطاع العام والتنمية فى مصر

تظهر مشكلات القطاع العام أول ما تظهر فى ضعف قدرته على الإنتاج رغم ما يمتلكه من أصول وطاقات إنتاجية ضخمة. وتقدر إحدى الدراسات أن معدل النمو فى إنتاج القطاع العام (غالبا باستبعاد النفط وقناة السويس) خلال الفترة ١٩٧٥- ١٩٨٥ بالأسعار الثابتة لم يزد على ٣ بالمائة وأن العائد على المال المستثمر قد انخفض من ٧٫٥ بالمائة عام ١٩٧٥ إلى ٤٫٨ بالمائة عام ١٩٨٥سنويا، وأن الطاقات المعطلة فى هذا القطاع قد بلغت نحو ٢٥ بالمائة من إجمالى الطاقة المتاحة فى أوائل أو منتصف الثمانينات(١). وتظهر هذه الطاقات المعطلة فى قطاع الصناعة بشكل بارز. وهى ترجع فى جانب منها إلى قلة الاهتمام بالصيانة مع تقادم الأصول أو عدم توافر قطع الغيار أو مستلزمات الإنتاج لنقص النقد الأجنبى، أو إلى كثرة انقطاع التيار الكهربائى أو تغيب العاملين وقلة انضباطهم فى العمل، أو إلى نقص الطلب على المنتجات أو الخدمات فى الداخل والخارج(لانخفاض مستوى جودتها أو عدم قدرتها على المنافسة أو ضعف مستوى القدرات التسويقية أو التواطؤ على حجبها عن السوق لإتاحة فرصة أكبر أمام منتوجات الشركات الانفتاحية). ويترتب على نقص الطلب على المنتجات ليس انخفاض الطاقة المستخدمة عن الطاقة المتاحة فقط، بل قد يترتب عليها أيضا تكدس المخزون السلعى لدى الشركات المنتجة أو لدى قنوات التوزيع، الأمر الذى يعنى تعطل جزء من رأس مال المشروع(٢). وترتبط مشكلات تغيب العاملين وقلة انضباطهم فى العمل بانخفاض مستويات أجورهم، وعملهم فى ظروف صعبة لا تتوافر فيها الاشتراطات الصحية ومتطلبات الأمن الصناعى. وبطبيعة الحال فإن مشكلة الأجور جزء من مشكلة أعم هى تحديد الأجور على المستوى القومى. ولكن النتيجة المباشرة لانخفاض الأجور هى الاشتغال بأكثر من عمل وإعطاء أقل الجهد للوظيفة ذات الأجر الأدنى، وهى غالبا الوظيفة فى القطاع العام لتعويض الجهد الأكبر المبذول فى الوظيفة ذات الأجر الأعلى فى القطاع الخاص التقليدى أو شركات ...

ولاتقتصر الطاقات المعطلة على الطاقات المادية، بل تنسحب أيضا على القوى العاملة. وهذا مرتبط بسياسة التوظيف، بغض النظر عن حاجة العمل لأغراض اجتماعية خالصة. وقد استمرت هذه السياسة لسنوات طويلة، وإن كان قد بدأ التوقف عن تطبيقها، ولم يعد القطاع العام مجالا لامتصاص العمالة المتاحة فى السوق، و تم الاستعاضة عن تعيين عمالة جديدة بإعادة تدريب العمالة الزائدة على أعمال جديدة تحتاج إليها الشركات الصناعية(٣). وبطبيعة الحال، تؤدى العمالة الزائدة إلى الارتفاع فى تكلفة الانتاج لتضخم بند الأجور. وتشير دراسة تطور عناصر التكاليف المختلفة للعامين ١٩٨٣/١٩٨٤ و١٩٨٤/١٩٨٥، إلى أن نسبة زيادة الأجور كانت أعلى من نسبة الزيادة فى أى عنصر آخر من عناصر التكاليف(٤).

ومن جهة أخرى، تعانى شركات القطاع العام اختلال الهياكل المالية، حيث ترتفع نسبة القروض إلى رأس المال، وتعانى تدنى نسبة السيولة وانخفاض معدل دوران رأس المال. وهذه المشكلات مرتبطة فى جانب منها بتقصير الدولة فى مد شركات القطاع العام بالتمويل اللازم للتجديدات والتوسعات، بخاصة فى السبعينات، الأمر الذى اضطر الكثير منها إلى استخدام الاقتراض المصرفى قصير الأجل والمكلف عادة لهذه الغاية. وقد انعكس ذلك على تزايد مديونياتها للجهاز المصرفى فيما بعد. كما أن هذه المشكلات مرتبطة بمشكلة تراكم المخزون السلعى والعجز عن تصريف الإنتاج التى سبقت الإشارة إليها، وقد لوحظ انخفاض نسبة رأس المال الذاتى إلى جملة الأموال المستثمرة فى القطاع العام ككل، إذ بلغت ٢٨ بالمائة، كما بلغت نسبة المديونية الكلية نحو ٢٥٠ بالمائة على مستوى القطاع العام، وذلك فى أوائل أو منتصف الثمانينات(٥).

وترتبط مشكلات نقص السيولة والاعتماد على الاقتراض فى تمويل الاستثمارات، وكذلك مشكلات نقص العائد على المال المستثمر بمشكلة ضعف الفائض القابل للتوزيع، وهو مرتبط بسياسة التسعير والأجور والعمالة المفروضة على شركات القطاع العام من جهة، والفوائد [illegible] لتوزيع الفائض الأمر الذى لايترك مبالغ كافية لحوافز زيادة الإنتاج ولإعادة الاستثمار من جهة أخرى (فى الوقت الذى لا توفر فيه الدولة مخصصات كافية للتمويل طويل الأجل للاستثمارات)(٦).

وما زاد من حدة المشكلات التى يعانيها القطاع العام أن بعض شركاته قد ساهمت فى مشروعات مشتركة تحت مظلة قانون الانفتاح (أى القانون ٤٣ لسنة ١٩٧٤) ، رغم أن مراكزها المالية لم تكن تسمح بذلك، الأمر الذى اضطرها إلى تغطية التزاماتها عن طريق الاقتراض، بل إن بعض وحدات القطاع العام والهيئات العامة قد ساهمت فى مشروعات مشتركة، فى الوقت الذى كانت تواجه فيه مراقف شديدة الحرج فيما يتعلق بمديونياتها للبنوك التجارية. كما قامت بعض الشركات التى كانت تمول جانبا من استثماراتها الثابتة عن طريق قروض قصيرة الأجل بالمساهمة فى شركات مشتركة، الأمر الذى زاد من مشاكل المديونية والسيولة النقدية لديها، ومن جهة أخرى أقدمت على الدخول فى المشروعات المشتركة شركات صناعية عامة تعانى وجود أصول إنتاجية معطلة لديها. وكان الأجدى استخدام الأموال التى ساهمت بها فى المشروعات المشتركة فى تنشيط الأصول المعطلة لديها. ومن الغريب أيضا أن بعض شركات القطاع العام قد أسهمت فى قيام مشروعات مشتركة تعمل فى نشاط مماثل لأنشطتها الأساسية، الأمر الذى أوقع فيها غير قليل من الضرر الذى تمثل- ضمن أمور أخرى- فى تزايد المخزون السلعى الراكد وأبطء حركته. وإذا كان العائد على المال المستثمر فى شركات القطاع العام قد قدر بنحو ٥ بالمائة عام ١٩٨٥ كما سبق ذكره، فإن العائد على مساهمات شركات القطاع فى المشروعات المشتركة لم يتجاوز ٢٫٥ بالمائة فى العام نفسه بحسب تقدير الجهاز المركزى للمحاسبات(٧) أى أنه حتى من منظور العائد المالى البحت، كان من الأجدى توجيه الأموال لتحسين الطاقات الإنتاجية وزيادتها فى القطاع العام، بدلا من المساهمة فى مشروعات مشتركة ثبت فشلها. ولكن هذا الحكم يفترض ما هو غير قائم، وهو وجوب تغليب المصلحة العامة

على المصالح الخاصة للمسؤولين عن اتخاذ قرارات المشاركة وللمستفيدين بشكل أو بآخر من قيامها.

٢- أسباب الأزمة وصلتها بالأزمة العامة للتنمية.

إن الأزمة التي يمر بها القطاع العام في مصر اليوم ليست منفصلة عن الأزمة التي يمر بها الاقتصاد المصري، أي أزمة التنمية. ذلك أن الظروف العامة التي أحاطت بالاقتصاد المصري وطبيعة السياسات العامة التي حكمت سير هذا الاقتصاد، بوجه خاص منذ أوائل السبعينات، قد تركت بصمات واضحة على أداء القطاع العام ومساره. فمن الطبيعي ألا تتوقع آثاراً إيجابية في نشاط القطاع العام وكفاءة الأداء فيه عندما تسود سياسة عامة مؤداها تخلي الدولة عن كثير من مهامها السابقة في ضبط إيقاع الاقتصاد وتوجيه حركته، وعندما يسود الاعتقاد بأنه في الإمكان إحداث تنمية جادة للاقتصاد المصري بجهود الرأسمالية المحليةوالاستثمارات الأجنبية المباشرة والمعونات الأجنبية. أي بمزيد من الإندماج في الاقتصاد الرأسمالي العالمي والتبعية له. فهذه السياسة العامة التي أدخلت البلاد في أزمة تنمية، هي التي تسببت أيضا فيما يعانيه القطاع العام من مشكلات وفي تزايد حدة هذه المشكلات بمرور الزمن، حتى بلغت مبلغ الأزمة. ونظرا إلى أن القطاع العام يمثل كتلة كبيرة من الكتل التي يتكون منها الاقتصاد المصري، فإن ما يحدث فيه سرعان ما ينعكس، بصورة أو بأخرى، على مجمل أداء الاقتصاد في مجموعه. وهكذا يدخل القطاع العام والاقتصاد القومي في مجموعة من التأثيرات المتبادلة التي تشكل حلقة مفرغة. فضعف أداء القطاع العام سرعان ما ينعكس في صورة خسائر تتحملها الموازنة العامة، وهي أصلا تنوء بعجز كبير، جانبا منها، كما ينعكس الأداء الضعيف أيضا في قلة الفوائض المحولة من القطاع العام إلى الموازنة العامة، ومن جهة أخرى ينعكس التراخي في معدلات نمو الانتاج بالقطاع العام على بقية القطاعات التي تعتمد على القطاع العام في الحصول على حاجاتها من مستلزمات الانتاج أو من السلع النهائية وعلى الاستيراد الذي تبدأ معدلاته في التزايد، وعلى الصادرات التي تأخذ معدلاتها في التناقص وعلى معدلات ارتفاع الأسعار، وعلى معدلات استيعاب العمالة.

وبطبيعة الحال، فإن أداء القطاع العام [illegible] المتصلة بالسياسات الاقتصادية، فإلى جانب تأثير هذه السياسات، تمارس الأوضاع السياسية والاجتماعية تأثيرات مهمة أخرى. فانكماش رقعة المشاركة الشعبية والممارسة الديمقراطية لها انعكاسات مهمة على طبيعة السياسات العامة التي ترسم للقطاع العام، وعلى الفرص المتاحة للعمال للمشاركة الفعلية في إدارة القطاع العام ومراقبة أعماله، وعلى أسلوب اختيار القيادات في وحدات القطاع العام، وكذلك على أساليب محاصرة الفساد ومحاسبة المنحرفين في القطاع العام وخارجه.

وقد تداخلت ظروف انفتاح أبواب العمل في الخارج مع ظروف انفتاح الاقتصاد المصري، الأمر الذي ألقى بأعباء إضافية على القطاع العام. وقد تجلى ذلك، ضمن تجليات أخرى في نزيف العمالة المدربة والخبرات الفنية والإدارية من القطاع العام، سواء للعمل في البلدان العربية النفطية أو للعمل في شركات القطاع الخاص الانفتاحية وغير الانفتاحية.

غير أنه إلى جانب الظروف العامة التي أثرت في أداء القطاع العام منذ الانفتاح، كانت هناك أخطاء في السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بالقطاع العام، سابقة على الانفتاح واستمرت بعده، ومن أهم هذه السياسات السياسة السعرية وسياسة التشغيل في وحدات القطاع العام التي ألقت بعبء تحقيق أهداف اجتماعية مهمة على عاتق القطاع العام، بينما كان في الإمكان بلوغ الغايات الاجتماعية نفسها من خلال سياسات وأدوات تنفيذ بديلة على ما سيأتي بيانه عند التعرض للحلول المقترحة لمشكلات القطاع العام.

ويمكن بيان أسباب تعثر القطاع العام الراجعة إلى السياسات العامة على النحو التالي:

أ- التمييز بين القطاعين العام والخاص لمصلحة الأخير، وذلك بإغداق الامتيازات والاعفاءات على القطاع الخاص، تركه يفلت من كثير من الالتزامات العامة، بما في ذلك دفع الضرائب المستحقة عليه، فضلا عن عدم تقيده بقوانين العمل والأجور ومشاركة العمال في الإدارة والأرباح كما في القطاع العام. وفي الوقت الذي تحررت فيه أسواق العديد من السلع التي تواجه القطاع الخاص، ظل القطاع محكوما بسياسات سعرية لاتراعي التغير في التكاليف وقد كان ذلك التمييز لمصلحة القطاع الخاص (أو ضد القطاع العام) من أهم جوانب سياسة الانفتاح الاقتصادي التي اتبعتها الدولة في أوائل السبعينات.

ب- الإهمال المتعمد للقطاع العام طوال معظم الفترة التي مضت منذ إعلان سياسة الانفتاح. فقد أهملت متطلبات تجديد الطاقات الانتاجية وتوسيعها أو حتى صيانتها والمحافظة عليها، وحدث تقاعس عن تزويد القطاع العام بالاستثمارات اللازمة، الأمر الذي أدى إلى مشكلات نقص السيولة والاعتماد على القروض قصيرة الأجل في تمويل الاستثمارات وتراكم المديونيات وغيرها مما سبق التعرض له، وإن كان الاهتمام بالأحلال والتجديد قد نال القسط الأكبر من استثمارات الخطة الخمسية الأخيرة.

ج- ضعف التخطيط والتنسيق والمتابعة والرقابة على القطاع العام. وذلك بعد تفكيك الهيئات المركزية التي كانت تتولى هذه المهام (المؤسسات العامة) وقيام مؤسسات هزيلة لا تقدر - ويبدو أنه لم يرد لها أن تقدر - على الاضطلاع بهذه المهام. هذا فضلا عن انحسار نفوذ التخطيط بوجه عام منذ إعلان الانفتاح والاتجاه لإفساح أوسع مجال ممكن لعمل قوى العرض والطلب.

د- الخلط بين مفهوم قطاع الأعمال العام ومفهوم قطاع الخدمات الاجتماعية العامة فقد دأبت الحكومة على النظر إلى القطاع العام كمؤسسة لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين، وكوسيلة لتوفير الدعم بطريقة مستترة في مرحلة الانتاج. ومن هنا جرى تحميل وحدات القطاع العام بتكاليف إضافية (العمالة الزائدة مثلا) أو حرمانه من إيرادات ممكنة (بالتسعير الاجتماعي مثلا)، فضلا عن أيلولة معظم الفائض المتحقق إلى الخزانة العامة أو إلى هيئات أخرى (مثل بنك ناصر الاجتماعي الذي لم يعد نشاطه مقصورا على الأعمال الخيرية كما كان مخططا عند إنشائه). وهكذا اختلطت الاعتبارات الاقتصادية بالاعتبارات الاجتماعية في إدارة القطاع العام، وأصبحت الاعتبارات الاجتماعية أسهل وسيلة للتستر على انخفاض الكفاءة في المشروعات العامة.

هـ-اندماج كثير من شركات القطاع العام للدخول في مشروعات خاضعة لقانون المال العربي والاجنبي، رغم تعارض مجالات عمل هذه المشروعات مع مجالات عمل الشركات الأصلية، وذلك بدعوى تشجيع الاستثمارات والثقافة الاجنبية كجزء من التشجيع العام بمقتضى سياسة

الانفتاح.

و- **انعدام التناسب بين حقوق العمال وحقوق الإدارة** : فالأخيرة لها اليد الطولى، في الوقت الذي تفرض فيه الوصاية من جانب الحكومة على النقابات العمالية، ويحرم العمال من حق الإضراب وحق التفاوض الجماعي على الأجور وساعات وظروف العمل مع الإدارة، وتحولت مشاركة العمال في مجالس إدارات شركات القطاع العام إلى مشاركة شكلية.

ز- **فقدان القطاع العام لأفضل عناصره الإدارية وخيرة عمالته المنتجة** وذلك نتيجة تثبيت أو انخفاض مستوى الأجور في القطاع العام، مع السماح بإطلاقها في القطاع الخاص التقليدي والانفتاحي، والسماح في الوقت نفسه بالهجرة إلى الخارج دون قيود تذكر، بل في الوقت الذي ظهر فيه بجلاء، أن الهجرة قد تسببت في إحداث نقص ملموس في المعروض من بعض نوعيات العمالة.

ح- **غياب الديمقراطية والمشاركة والرقابة الشعبية وفساد المناخ العام** : الذي يعمل في ظله القطاع العام، الأمر الذي أدى إلى استنزاف هذا القطاع، وتراكم مشكلاته، مع التستر عليها أو التهوين من أمرها، وتحوله إلى أداة التربيح من جانب بعض العاملين فيه ومن بعض المتصلين به من القطاع الخاص.

لقد ركزنا فيما تقدم على أسباب الخلل في أداء القطاع العام المصري المتصلة بالسياسات والظروف العامة. وفي رأينا أن هذه الأسباب هي المفسر الأساسي للأزمة الحالية للقطاع العام(٨) ولكن هذا لاينفي بالطبع أن هناك أسبابا أخرى لضعف أداء القطاع العام. فإذا كانت الأمور المتعلقة بالسياسات والظروف العامة التي يعمل فيها القطاع العام تخرج عن نطاق تصرفه، فلا شك في أن هناك عددا من المجالات التي تدخل في حدود التصرفات الممكنة للإدارة المسؤولة عن وحدات القطاع العام، ويؤدي قصور أداء الإدارة فيها إلى قصور في الأداء العام لهذه الوحدات. ونذكر من بين الأسباب المتصلة بهذه المجالات ما يلي :

(١) عدم كفاية الدراسات المتعلقة بجدوى المشروعات، بما في ذلك مشروعات الإحلال والتجديد والتوسعات.

(٢) قصور التخطيط المالي ومتابعة الأداء المالي.

(٣) ضعف الاهتمام بدراسة السوق وجهود

[illegible]

منه على الأقل إلى أن اشتغال القطاع العام في ظروف ندرة شديدة وعجز عام في المعروض من كثير من المنتجات التي ينتجها (والتي قد ينتجها القطاع الخاص أيضا) بالنسبة إلى الطلب ، لايدفع إلى الاهتمام ببحث السوق والتغيرات في أذواق المستهلكين وما إلى ذلك.

(٤) ضعف نظم الصيانة .

(٥) عدم كفاية الطرق المتبعة في مجال مراقبة حركة المخزون من مستلزمات الانتاج والسلع النهائية .

(٦) ضعف نظم تخطيط وجدولة الانتاج .

(٧) غياب الاهتمام الكافي بدراسات التكاليف، ومتابعة التطورات في التكاليف الفعلية وتقصي أسباب انحرافها عن التكاليف المعيارية .

(٨) عدم إيلاء اهتمام كاف لقضية البحوث والتطوير على مستوى الشركة (أو على مستوى القطاع)

(٩) غياب الاهتمام بجمع المعلومات عن أوضاع العمالة والتطورات في إنتاجية العمل وفي الإنتاجية الكلية وعدم تبلور مؤشرات لتقويم الأداء بشكل جدي في هذا الشأن، ولربط الحوافز بالأداء الفعلي، وتصميم برامج التدريب في ضوء الحاجات الفعلية كما تسفر عنها متابعة وتقويم الأداء.

وعلى الرغم من الاعتراف بأن المسؤولية الأولى في ضعف أداء القطاع العام تقع على السياسات والظروف العامة التي يعمل في ظلها، فقد أظهرت تقارير الخبراء أن ثمة مجالا لا بأس به لرفع كفاءة وأداء وحدات القطاع العام من خلال الارتفاع بمستوى الإدارة وفنيها وتعديل نظم العمل وتطوير أساليب تخطيط أنشطة هذه الوحدات وتنفيذها ومتابعتها. ومن هنا أهمية العناية بتشخيص المشكلات على مستوى الوحدة أو الشركة العامة ووضع الاقتراحات الكفيلة بعلاجها .

د. **ابراهيم سعد الدين**
د. **ابراهيم العيسوي**

(١) هذه المعلومات مستقاة من : جامعة القاهرة، كلية التجارة، مركز البحوث والدراسات التجارية وأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، عرض موجز لنتائج الدراسة الشاملة للقطاع العام في مصر (القاهرة، ١٩٨٦)، ص١٢ و٥٠، والتقدير الأخير بناء على دراسة فعلية لأوضاع ١٥٦ شركة من شركات القطاع العام.

(٢)يقدر حجم المخزون من المنتجات النهائية في الشركات الصناعية بحوالي ٣٦ بالمائة من الانتاج بسعر التكلفة. انظر : المصدر نفسه، ص٥٢.

(٣) من حديث لوزير الصناعة مع جريدة : الأهرام، ١٩٨٨/٩/٢٠.

(٤) جامعة القاهرة، كلية التجارة، مركز البحوث والدراسات التجارية وأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ، المصدر نفسه، ص١٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٣- ٥٤ . وليس من الواضح ما إذا كانت نسبة المديونية الكلية تعبر عن رصيد الديون المتراكمة إلى رأس المال أو المال المستثمر أو الإنتاج.

(٦) حول قواعد التعامل على الفائض، انظر: هبة حندوسة، «مستقبل القطاع العام في مصر» ورقة قدمت إلى : الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، نحو اقتصاد مصري يعتمد على الذات: أعمال المؤتمر السادس للاقتصاديين المصريين، مارس ١٩٨١، (القاهرة: الجمعية، ١٩٨٤)، ومحمد رضا العدل، «نحو تنظيم أفضل للقطاع العام في مصر»، ورقة قدمت إلى : الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع، بحوث المؤتمر العلمي السابع للاقتصاديين المصريين، ٦-٨ مايو ١٩٨٢ (القاهرة: الجمعية، ١٩٨٢)، ص١٢. ومن الملاحظ أن الشركات لاتحتفظ بأكثر من ١٠ بالمائة من الأرباح بعد الضريبة لتدعيم موقفها المالي. أما المخصصات الإجبارية الأخرى فهي لاتعدو أن تكون ضرائب إضافية على القطاع العام ولا يخضع لها القطاع الخاص بالطبع، مثل: ٢ بالمائة لبنك ناصر؛ ٥ بالمائة احتياطي شراء سندات حكومية؛ ١٠ بالمائة مقابل الإشراف والإدارة؛ ١٥ بالمائة من نصيب العمال في الربح الذي يذهب للخدمات المحلية والمركزية، فضلا عن ٥ بالمائة احتياطي زيادة التكاليف الرأسمالية.

(٧) اعتمدنا في هذه الفقرة على نتائج الدراسة التي أجراها الجهاز المركزي للمحاسبات عن الشركات المشتركة: «تقرير عن مساهمة وحدات القطاع العام والهيئات العامة في المشروعات المشتركة حتى ١٩٨٦/٦/٣٠».

(٨) يقول علي الجريتلي: «إن الأحكام القاسية التي صدرت على القطاع العام «المفترى عليه» تتسم بالمغالاة، ولاتستند إلى دراسة موضوعية منزهة عن الهوى للظروف والملابسات التي مر بها». وفي اعتقاده أن جانبا كبيرا من مشكلات القطاع العام إنما يرجع إلى «أخطاء المسؤولين عن السياسات العامة وعن التنسيق، وإلى أسباب تدخل في عداد ما يسميه رجال القانون «القوة القاهرة»». انظر: علي الجريتلي، خمسة وعشرون عاما: دراسة تحليلية للسياسات الاقتصادية في مصر، ١٩٥٢ - ١٩٧٧ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧) ، ص٢٠٧، ٢١٨.

النمور الآسيوية.. نموذج غير قابل للنقل

منذ اعلان الرئيس الراحل أنور السادات عن سياسة الانفتاح الاقتصادى،فى أوائل السبعينات ونحن ننتظر ونحلم مع المسئولين بيوم الرخاء .. ولأننا مواطنون صالحون ندفع الضرائب ونصدق ما تقوله الحكومة وصحافتها القومية فقد انتظرنا أيضا أن نلحق بركب الدول المتقدمة فى أوروبا وأمريكا.

يومها كان نشازا أن يتحدث البعض عن اختلاف الظروف التاريخية بيننا وبين الغرب، لكننا رفضنا أن نستمع إليهم.. وتحملنا الغلاء وسكن الشوارع،ولم نتمرد على حرماننا من حق العلاج المجانى والتعليم المجانى ولم نغضب حتى عند حرمان الشباب من حق العمل، فكله يهون من **أجل يوم الرخاء الموعود عندما تصبح القاهرة مثل واشنطن ولندن وباريس.**

لكن اليوم الموعود لم يأت وبعد أكثر من عشرين عاما، من تطبيق سياسة الانفتاح تراضعت أحلام الحكومة وقررت أن تتنازل عن حلم اللحاق بدول الغرب واتجهت انظارها نحو دول الشرق وبدلا من واشنطن وباريس ولندن رضيت الحكومة **بكوريا الجنوبية وتايوان وماليزيا وسنغافورة «وهونج كونج»** وهذه المرة قالت الحكومة إن علينا بيع القطاع العام بالكامل حتى نلحق **بنمور شرق آسيا** ورضينا بـ«الهم» لكن يبدو أن «الهم» لم يرض بنا..

وعلينا أن نستمع هذه المرة لرأى الخبراء.. فنموذج النمور الاسيوية غير قابل للنقل أو التعميم .وحتى لو افترضنا انه .قابل للنقل فالجوانب السلبية التى صاحبته تجعله غير مرغوب فيه.

وكانت ابرزها: **الاستغلال البشع للطبقة العاملة خاصة النساء والأطفال إلى جانب مختلف مظاهر الكبت السياسى والقهر البوليسى وبقية ممارسات نظم الحكم العسكرية ،الديكتاتورية والوجود الاجنبى وهيمنة قوى خارجية على مقدرات البلاد..**

والأهم أن قصة النجاح للنمور لم تكتمل بعد وما زال كتابها مفتوحا بعد تآكل الميزة النسبية لصادراتها من السلع الصناعية نظرا لارتفاع الاجور فيها وظهور منافسين جدد أو نمور آسيوية جديدة ما زالت مستويات الاجور لديهم منخفضة إلى جانب العديد من التحديات الآخرى.

هذا الكلام هو خلاصة دراسات خبراء **معهد التخطيط*** ونحن نقدمه للحكومة قبل فوات الآوان وحتى لا تأتى لنا حكومة جديدة بعد عدة سنوات تقتدى بتجربة السودان بعد فشلنا فى اللحاق بالغرب أو الشرق.

أهم ما قالته الدراسة هو الدروس التسعة التى يمكن لبلدان العالم الثالث عامة ومصر خاصة الاستفادة منها من خلال تجربة النمور الآسيوية مع الاخذ فى الاعتبار أن دروس خبرات التنمية الاسيوية لا تصنع قالبا جاهزا على قد مصر أو غيرها كما أنها لا تقدم وصفة أو روشتة قابلة للتطبيق الفورى.

الدروس التسعة هى : أنه ليس هناك طريق وحيد أو سهل للتنمية. وان المال وحده لا يصنع التنمية مهما تدفق بغزارة ،ولا يمكن التعويل على رأس المال الأجنبى فى تحقيق التنمية المتواصلة ،وضرورة الاستقرار النقدى والمالى والاجتماعى والسياسى للتنمية، وان تحسين توزيع الدخل امر ممكن مع النمو الاقتصادى السريع،وان التنمية هى أفضل سبيل لضبط النمو السكانى، وأن تضامن دول العالم الثالث ضرورى لمواجهة الكبار، وانه ليس هناك سبب او مفتاح وحيد للتنمية.

وكان أهم الدروس ما وضعته الدراسة تحت عنوان «الدور القوى للدولة أساسى وحاسم ولا غنى عنه للتنمية».

وهنا يقول خبراء معهد التخطيط إن تدخل الدولة قد بلغ فى دول شرق آسيا حدا من القوة جعل بعض الباحثين يصفونه بأنه العامل الأكثر أهمية من غيره فى صنع النجاح التنموى لهذه الدولة ويصفون التنمية التى تحققت فى هذه الدولة بأنها كانت تنمية بقيادة الدولة لا بقيادة السوق أو القطاع الخاص.

وحتى تلك الدول التى جرت فيها التنمية فى اطار حرية اقتصادية كبيرة نسبيا وبالاعتماد بدرجة ملحوظة على آليات السوق كما كان الشأن فى **هونج كونج وسنغافورة** قامت الدولة بدور لا يمكن التهوين من شأنه ،وعلى كل فهاتان الدولتان صغيرتان للغاية وهما من الجزر التى تحولت إلى مناطق حرة لخدمة التجارة العابرة وهى دول تفتقر للقطاع الزراعى مما يجعل القياس على ما تحقق صعبا.

أما فى حالة **كوريا وتايوان** وهما الدولتان ذاتا الكيان الاجتماعى والاقتصادى المعقول فقد كان دور الدولة أكثر بروزا وتخطى مرحلة التدخل غير المباشر بالسياسات والحوافز الى **التدخل المباشر فى آليات السوق وإعادة تشكيل نظم الاسعار ووضع الخطط واستخدام اساليب التدخل الادارى فى ادارة جوانب الحياة الاقتصادية (مثل الاستيراد والنقد الأجنبى) بل والتدخل عن طريق اقامة بعض الصناعات الاساسية فى إطار القطاع العام** وسعت الدولة **إلى السيطرة على السوق أو حكم السوق وتوجيهه** بما يساعد على إنجاز الاهداف التى كانت تسعى إلى تحقيقها. وتخلت الدولة عن الوصايا المعروفة وعمدت حكومات النمور الآسيوية إلى خرق هذه الوصايا من خلال **كبت اسعار الفائدة وفصل الأسعار المحلية عن الأسعار العالمية** بغرض دفع الاستثمار والانتاج والصادرات فى المسارات المرغوبة ومن خلال التدخلات الانتقائية التى تركز على صناعة بعينها أو قطاع بذاته ومن خلال **تقييد المنافسة** كلما وجدت مصلحة فى ذلك التقييد.

وضمن ما يذكره خبراء معهد التخطيط

مقارنات الباحثين الامريكان بين تايوان والصين.

(ملاحظة: حكومتنا ورجال إعلامها يستبعدون الصين عند اي حديث عن نمور آسيا رغم أن الخبراء يضعونها على رأس قائمة نمور آسيا).

يقول الكاتبان الامريكيان (كا وسلون) ان هناك أوجه شبه كثيرة بين سياسات الدولتين فى المرحلة الأولى للتنمية ويذكران أن من أهم هذه التشابهات.

١-البدء بتصفية **ملاك الأراضى وكبار الحائزين وإعادة هيكلة العلاقات الاجتماعية فى الريف** على نحو يساعد بقوة على تنفيذ عملية التراكم الرأسمالى بقيادة الدولة.

٢-**وضع أسس التصنيع بتوجيه الدولة وقيادتها.**

٣- كبح جماح الأنشطة السوقية.

٤-ضغط الاستهلاك فى الريف.

ويلخص الكاتبان مدخل كل من تايوان والصين للتنمية بعد الحرب العالمية الثانية بأنه مدخل «الدولنه» أى سيطرة الدولة على انتزاع الفائض الزراعى وتحقيق التراكم الرأسمالى اللازم للتصنيع وتقييد السوق ووضع الدولة لأسس الهيكل الصناعى المستهدف تحقيقه.

وفى مقارنة لدور الدولة فى كل من تايوان وكوريا الجنوبية-انتهى الكاتب الأمريكى بارك إلى أن الحكومة قد قامت في هاتين الدولتين بدور نشط فى المجال الاقتصادى وان هذا الدور تجاوز مجرد تدخل الدولة من أجل تصحيح فشل السوق.. وكانت جرعة التدخل الحكومي أكبر فى كوريا بالمقارنة بتايوان. ووصل بها الأمر إلى حد **فرض بعض السياسات بالقوة على القطاع الخاص**.. وعموما يرى بارك أنه من الصعب تصور أن القطاع الخاص وحده كان سيقدر على بدء سياسة التصنيع الموجه للتصدير وغزو الاسواق الخارجية والمحافظة على النجاح فى هذا الصدد فى غياب التدخل الحكومى المباشر فى الستينات. كما يؤكد كاتب آخر «انه لا يمكن فهم خبرة تايوان التنموية ولا استخراج دلالاتها بالنسبة للدول الأخرى اذا تم تجاهل التصرفات المباشرة بل والمتطرفة من جانب الحكومة».

وقد تميزت خبرة تايوان التنموية بارتفاع معدل الادخار والاستثمار واسهمت المدخرات الحكومية ومدخرات القطاع العام بنسبة كبيرة فى تمويل الاستثمار من **١٣٪ فى الفترة (٥٢-١٩٦٠) إلى ٢٥٪ فى الفترة (٦١-١٩٧٠) ثم إلى ٣٨٪ فى الفترة (٧١-١٩٨٠)** وفى **الثمانينات** وصلت [illegible] **نسبة ٥٣٪ من اجمالى الاستثمارات.**

وعلى عكس ما قد يتصور كانت نسبة مساهمة الاستثمارات الاجنبية المباشرة فى الاستثمار المحلى الاجمالى بتايوان متواضعة للغاية فهى لم تزد عن ٢٪ فى المتوسط خلال الفترة (٥٢-١٩٨٧) ولم تزد جملة التدفقات للاستثمارات الاجنبية المباشرة خلال تلك الفترة عن ٧ر٣ مليار دولار أمريكى وقد أسهم الصينيون المقيمون بالخارج بنسبة ٢٠٪ فى هذه الاستثمارات بينما أسهم الاجانب بنسبة ٨٠٪وشكلت الاستثمارات الامريكية واليابانية معا ٥ر٦٨٪ أما الاستثمارات الأوربية فلم تزد عن ١٦٪.

وطبقا لأرقام خبراء معهد التخطيط فإن نصيب الدولة من الاستثمارات الثابتة كان ٥٠٪ فى الخمسينات و٣٨٪ فى الستينات و ٤٥٪ فى السبعينات و ٤١٪ فى الثمانينات.

وكان **٥٧٪ من الانتاج الصناعى يتم فى منشآت تملكها أو تسيطر عليها الحكومة فى ١٩٥٢ وظلت هذه النسبة فى حدود ٥٠٪ طوال الخمسينات وهى فترة التكوين التى لا يتحدث عنها أحد** بينما يركز الكل فى الحديث على الفترات الحديثة التى انخفضت فيها نسبة مساهمة الاستثمارات الانتاجية العامة حتى وصلت إلى ١٩٪ فى الثمانينات نتيجة لبيع شركات القطاع العام وخفض الاستثمارات العامة.

وفى التجربة التايوانية كان لسياسات التعليم والتدريب والبحث والتطوير دورا كبيرا وحظى التعليم والتدريب بعناية فائقة من الحكومة واتجهت إلى الاستثمار فيهما بكثافة ملحوظة.. **فقد ارتفعت نسبة الانفاق على التعليم من٧ر١٪ من الناتج القومى الاجمالى فى ٥١- ١٩٥٣ إلى ٣ر٤٪ فى ٧٧-١٩٧٩- ثم إلى ١ر٥٪ فى ١٩٨٦.**

كما انفقت الحكومة بسخاء لدفع عجلة البحوث العلمية والتطوير التكنولوجى حتى وصلت إلى ٢٪ عام ١٩٩٥ من الناتج القومى الاجمالى.

وترجع أهمية قيام الحكومة بهذا الدور النشط إلى أمرين : أولهما، الوعى العميق بأهمية البحث والتطوير والتوليد المحلى للتكنولوجيا فى ترسيخ دعائم الصناعة وكسب المزايا التنافسية فى أسواق التصدير. وثانيهما الصغر النسبى للحجم المتوسط للمنشأة الصناعية فى تايوان مما يجعل معظم المنشآت غير قادرة على تحمل نفقات البحث والتطوير وانشاء وحدات خاصة بها لهذا الغرض.

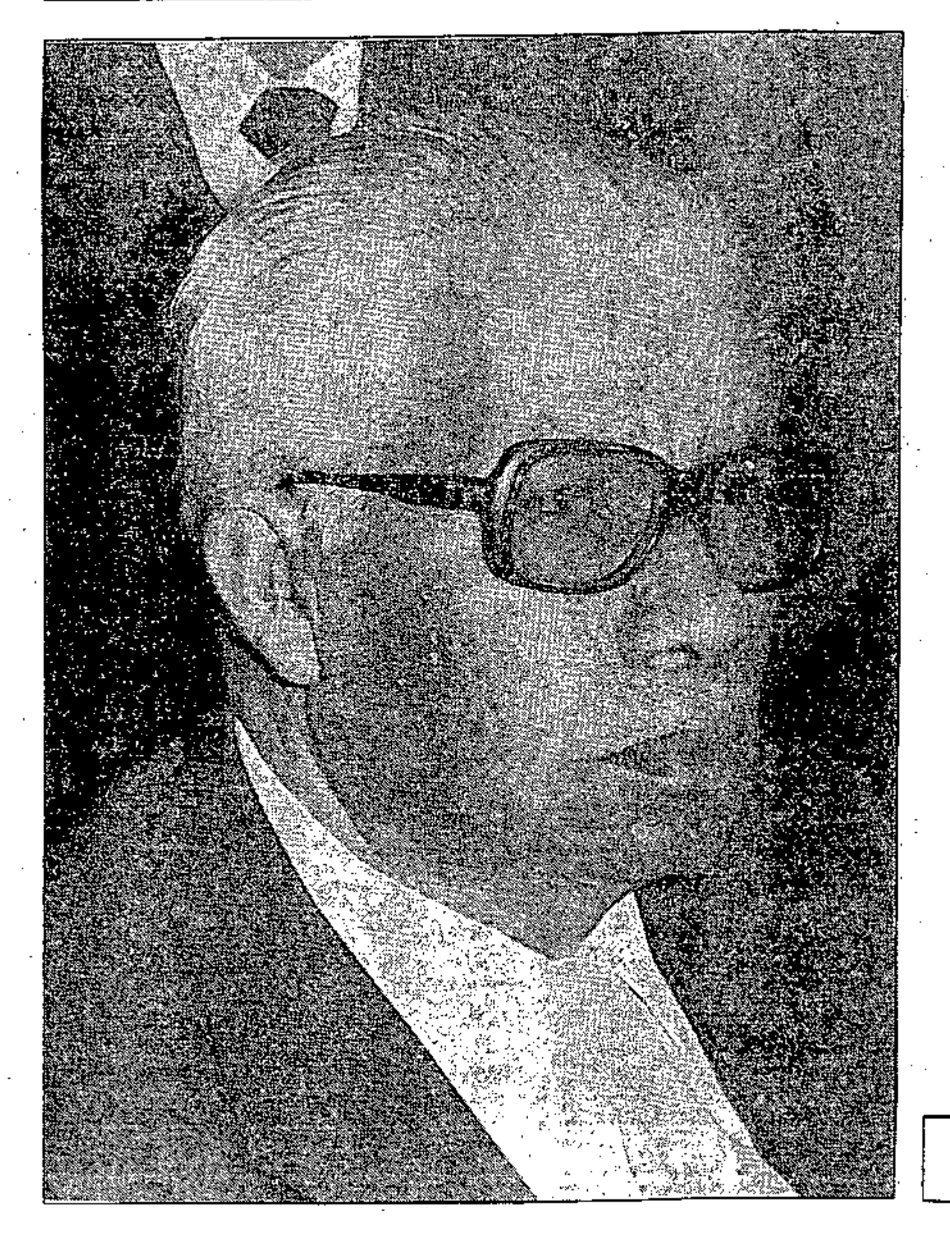
ويؤكد د. ابراهيم العيسوى ان حالة [illegible] بجغرافيرها فهى دولة صغيرة ولكنها تتمتع او ظلت تتمتع لوقت طويل بموقع استراتيجى مما جعلها محل اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة فى ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية التى احتدم فيها الصراع بين الرأسمالية والشيوعية سواء بصورة ساخنة أو بصورة باردة وقد أدى احتضان الولايات المتحدة لها إلى تدفق الموارد المالية بغزارة وفى صورة غير مكلفة اقتصاديا (منح لا ترد) **فضلا عن رفع جانب من عبء الدفاع عن كاهل ميزانيتها**وقد ساعد ذلك تايوان على عبور فجوة الموارد المحلية وفجوة التمويل الخارجى بسهولة ويسر دون أن تقع فى مشكلة مديونية خارجية مثلما وقعت غالبية دول العالم الثالث ومن جهة أخرى ساعدت العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة فضلا عن وجود جالية كبيرة من المهاجرين الصينيين على فتح أسواق الولايات المتحدة أمام صادرات تايوان بالاضافة إلى ذلك فقد كان الارث الاستعمارى اليابانى لتايوان مختلفا بدرجة كبيرة عن نظيره فى معظم دول العالم الثالث وكانت محصلته ايجابية بدرجة كبيرة على النحو الاقتصادى فى المدى الطويل لتايوان.

***

ويأتى السؤال : **هل يمكن لمصر أن تكرر تجربة النمور؟!**

الاجابة بنعم لو استطاعت وزارة الجنزورى أن تعيد الزمن وتنقل مصر إلى المحيط الهندى وتأتى لنا باليابانيين ليستعمرونا بدلا من الانجليز **وبالمرة تأتى لنا بحكومة تؤمن بدور الدولة فى قيادة التنمية.**

* الدراسة صدرت بعنوان «الخبرة التنموية للدول الاسيوية حديثة التصنيع والدروس المستفادة منها لمصر» واشترك فيها ثلاثة من كبار خبرائنا الاقتصاديين وتولى د. رمزى زكى بحث حالة هونج كونج وسنغافورة ود. حسين القفيه حالة كوريا الجنوبية ود. ابراهيم العيسوى حالة تايوان كما تولى الاشراف على إعداد الدراسة وتحرير التقرير النهائى حولها الذى صدر ضمن سلسلة قضايا التخطيط والتنمية فى مصر (العدد ٧٣ يوليو ٩٢) .. كما اصدرت دار الثقافة الجديدة(حالة تايوان) للدكتور ابراهيم العيسوى تحت عنوان «نموذج النمور الآسيوية والبحث عن طريق للتنمية فى مصر».



وداعا محامى الشعب

عصمت سيف الدولة

فريدة النقاش

رحل عن عالمنا المفكر القومى ،ورجل القانون، والمناضل السياسى ،والكاتب الفنان الصديق الدكتور عصمت سيف الدولة، بعد أن قدم إسهاما متفردا فى كل ميدان من هذه الميادين ليستحق وصف «المثقف الموسوعى» .. وهو نوع من المثقفين لا يتكرر كثيرا خاصة فى هذا العصر،وبرحيله يبقى عدد محدود من هؤلاء، الفرسان المولعين بكلية المعرفة وشمولها.

ومن الآن فصاعدا سوف يفتقد المناضلون التقدميون صوتا شريفا ذكيا طالما ساندهم فى ساحات المحاكم ،وكتب مرافعاته عنهم كنماذج من الأدب الرفيع، والعلم القانونى الغزير مفعمة بروح الانتصار للشعب والدفاع عن المظلومين ،حتى لو كانوا يخالفونه فى الرأى بل أو يقفون على طرف نقيض لرؤيته الفلسفية المثالية التى رأت فى الأمة العربية جوهرا ثابتا.

وسوف تبقى مرافعاته دفاعا عن المتهمين فى قضية هبة يناير الشعبية سنة ١٩٧٧-وكان جلهم من اليساريين والشيوعيين -والتى أصدرها فى كتابه الوثيقة «دفاع عن الشعب»،ومرافعاته عن المتهمين بتأسيس وعضوية الحزب الشيوعى المصرى فى القضايا المختلفة على امتداد السبعينات والثمانينات،وثائق قانونية-بل وأدبية -تجلو لنا صورته الحقة كمدافع أصيل عن الديمقراطية يستبسل لتبرئة خصومه الفكريين إن فى العقيدة الفكرية أو الموقف السياسى،

فلم يمنعه هذا كله من التفانى فى العمل ،والاجتهاد فى العلم ،والسعى الدءوب لنسج علاقات شخصية حميمة وحقيقية مع هؤلاء الذين يختلف معهم.

وقد أتاحت له الحبسة الجماعية فى سبتمبر ١٩٨١ حين اعتقل **السادات** معارضيه السياسيين من كل التيارات والأحزاب، أن يتعرف عن قرب على بعض هؤلاء، ويدخل معهم فى مناقشات مستفيضة حول فكرته المحورية عن الوحدة العربية كضرورة عاجلة،وعن الفكرة القومية كمرتكز أولى وليس نهائيا لاختياره السياسى، الذى طالما استكمله بالدفاع عن العدالة الاجتماعية وحقوق الكادحين ودافع عن تصوراته للنضال من أجل إتمام هذه الوحدة عن طريق بناء تنظيم قومى جامع كانت دعوته له سببا فى إلقاء القبض عليه ومحاكمته والحكم عليه بعشر سنوات فى بداية السبعينات ثم جرى إلغاء الحكم بعد ذلك.

كانت **الثورة العربية الشاملة** التى تقلب الأرض وتحرثها من جديد هى حلم حياته وهدف سعيه.وأذكر أننى تحدثت إليه ليلة ١٩ نوفمبر ١٩٧٩ حين كان **السادات** يعد العدة لزيارة القدس المحتلة بعد شهور قليلة من هبة يناير الشعبية وكنت غاضبة وحزينة ولا أعرف طريقة للتعبير العاصف عن رفضى واحتجاجى .. ووجدته رابط الجأش يتحدث بعقلانية مستفزة وقال لى:

-أنتم الماركسيون تؤمنون بالحل السلمى، أى تقرون بصورة ما بحق اسرائيل فى الوجود، وما يقوم به **السادات** الآن يهدر حتى هذه الامكانية فتتألمون . أما أنا فالحل الذى لا أرتضى أقل منه لقضية فلسطين فهو تحرير كامل ترابها بعد إنجاز الوحدة العربية الشاملة ولاامكان هناك لدولة اسرائيل حتى وهى واقع جغرافى وبشرى الآن يعترف به العالم كله.

ورغم اختلافه الجذرى بل وحتى معاداته فى بعض الأحيان للماركسية التى خصص جزءا غير هين من كتاباته لانتقادها ، فإنه لم يخف أبدا إعجابه بالقادة الشيوعيين الكبار وبالمناضلين الشباب فى مصر ،الذين التقاهم فى ساحات المحاكم، أو حاورهم على صفحات المجلات والصحف أو التقاهم فى

الشباب القومى فى الوطن العربى، وإدراكا منه لهذه الحقيقة خصص بعض كتبه للشباب.

وطالما حلم بأن يكون هو قائدا لجماعة من المناضلين من هذا النوع ، الصلب القادر على الحركة والتنظيم شرط أن يتبنوا أفكاره هو، ويكتب عن «لينين» : وهو يخاطب الشباب العربى.

فى الجنة قد تقابل ذلك الرجل الذى تمنيت دائما لو كان عربيا». لينين

كانوا نفرا لا يزيدون عن أصابع اليدين عددا، يتحاورون اختلفوا انشقوا .. أغلبية **بلشفيك** .. وأقلية **منشفيك** لماذا انشقوا ؟ ماذا كان الموضوع؟ .. انهم يواجهون دولة القياصرة هيل وهيلمان.. وجند بالملايين وشرطة عاتية سجون ومشانق.. وحلفاء كثيرين من أوروبا .. يريدون أن **يسقطوها** وهم نفر لا يزيدون عن أصابع اليدين عددا، لم يختلفوا ولم ينشقوا حول كيف يسقطون دولة القياصرة.. كانوا أكبر من هذا .. كانوا ثوريين حقا .. الثوريون حقا لا يتهيبون قوى الأعداء، اعتبروا إسقاط القيصرية بكل هيلها وهيلمانها وجندها وشرطتها وحلفائها مسألة مفروغا منها .. مسلمة..»

واعترف دائما بأن أى فكرة مهما كانت ثورية وتستجيب للاحتياجات الموضوعية لفترة تاريخية لابد لها من إطار تنظيمى ، بل إن مثل هذا الاطار التنظيمى يتسع نفوذه من وجهة نظره ليشمل حتى المدى الذى يمكن أن يصل إليه الكتاب والمفكرون فى قدرتهم على التأثير والانتشار والوصول إلى الجماهير الواسعة وتحقيق الشهرة .. فيقول:

«.. أول من استخدم **السفود** عنوانا المرحوم **مصطفى صادق الرافعى** .. ألف كتابا أسماه«**على السفود**» خصصه لشوى المرحوم **عباس محمود العقاد** .. رحمهما الله كانا عملاقين . أحدهما يعرفه الجيل العربى الجديد، كان وراء العقاد حزب فعرف الشعب «العقاد» .وكان الرافعى فردا فرديا مفردا فضاع. الفردية ضياع حتى فى الأدب . **الفعل الخالد هو ما تفعله الجماعة المنظمة**».

ثم يضيف «**الفردية فقر.. الفرق بين العمد والجماعية هى قسمة العمل.. العمد الفردى تكرار عمل.. والجماعة تكامل خلاق..**».

ومع ذلك فهو لم يجد نفسه فى أى من الاحزاب القائمة فى ظل التعددية الجديدة التى بدأت فى مصر منذ عشرين عاما ،ولذلك بعد

تجربة الشباب فى عضوية **الحزب الوطنى** الذى كان يرأسه المفكر والمحامى الراحل **فتحى رضوان**- وسوف تبين لنا الدراسة المتأنية أوجه التشابه بينهما- ويخبرنا الكاتب «**سعد كامل**» رفيق نضاله فى الحزب الوطنى «كان يصلنى عتاب منه عبر أصدقاء بأننى أشتد فى الهجوم على مبادئ الحزب الوطنى ، كنت أقول للأصدقاء المشتركين انه لم يستطع أن يقنع إبنته الدكتورة **عايدة سيف الدولة** التى أصبحت واحدة من ألمع الاشتراكيين المصريين المتشددين ، ولم توافق على السير فى نفس طريقه ،فلماذا يغضب لممارستى لهذا الحق؟ (حق الاختلاف معه)». ولم يكن إحجام المفكر الراحل عن الانضمام للأحزاب السياسية القائمة مجرد رفض لبعض ممارساتها ومواقفها أو خلاف فكرى معها أو تكرار لموقف شائع بين قطاعات واسعة من المثقفين يتعالون على العمل السياسى ، بل لأن **عصمت سيف الدولة** لم يكن ليرضى بأقل من حزب ينشئه هو على الفرازة وبالمسطرة ليحقق بالضبط تصوراته عن الحزب القومى الثورى ،وكان يتوقف كثيرا أمام هذا الرقم.

«**وإن عدد الشباب العربى وحده هو ٤٢ مليونا ونصف المليون، أى أنه يبلغ خمسة عشر ضعف عدد الصهاينة فى فلسطين المحتلة شيوخا وكهولا وشبابا وأطفالا..**».

ورغم أنه كان قد قال إن «العبرة حتى فى النشر هى دائما بالكيف وليس بالكم».. إلا أنه طالما رأى فى هذه الملايين جنودا محتملين لحزبه الذى لم ينشأ أبداً.لأن الاقليمية تقف لافى وجه التحرر القومى وحده، بل فى وجه بناء مثل هذا الحزب أيضا ، فالاقليمية حليف للأمبريالية»..وهؤلاء الشباب المرجوون.

«.. من الذى يعلمهم؟ماذا يتعلمون؟ بأية لغة يتعلمون؟

كيف يرعون صحتهم؟ من يتحمل نفقة تعليمهم؟ أين باقى الناشئة من أطفالنا ؟ كم منهم شريد؟ كم منهم لا يجد مكانا فى مدارسهم ؟ كم منهم يضطره الفقر إلى العمل فى سنه الغض»

صحيح أنه يقفز بعد ذلك إلى سؤاله

المحب.. «.. اختصارا .. كيف تكون التربية والتعليم في الفكر القومي التقدمي ،وهل ترفي الاقليمية بمتطلباته؟ إن الاقليمية تحرم أبناء أمتنا من إمكانيات هائلة تقدمها لهم الوحدة..».

أما شروط الوحدويين الثوريين لهذه الوحدة «أن تتم الوحدة لحساب الجماهير العربية بحيث تحل تناقضاتها مع حكامها لا مصالحة وسطية،ولكن لمصلحة الجماهير وانتصارا لها..».

ولأن الواقع عاكسه بضراوة فلم ينشئ منظمته، كرس الجانب الرئيسي من جهده للدفاع عن المناضلين الذين اختاروا العمل في ظل التجزئة،وتحولت مرافعاته إلى بيانات سياسية بليغة إضافة إلى اتقانها الفني من الناحية القانونية ،ولغتها الجميلة من الناحية الأدبية.

يقول في دفاعه عن الحزب الشيوعي المصري.. «جاءت أغلب الأوراق المقدمة متضمنة ملحمة رائعة من النضال البطولي بالرأي الصائب والكلمة الصادقة ضد مقومات ونتائج «معاهدة السلام»،وفيها وصفت الاتفاقيات مع اسرائيل بأنها خيانة،وبأنها تفريط في السيادة الوطنية،وبأنها استسلام للعدو، وبأنها تحالف مع الصهيونية ضد الشعب العربي الفلسطيني ،وبأنها تبعية للولايات المتحدة الأمريكية ،وبأنها إفساد لثقافة الشعب وإضرار بمصالحه .وفي الأوراق دعوة حارة منه ١٩٧٨ إلى مقاومة كل هذا تحت شعار..

لتسقط المؤامرة الأمريكية الاسرائيلية ولترتفع رايات الوطنية المصرية».

ويسأل القضاء..

في أية خصومة تحكمون،وبين أي خصوم تحكمون ،ليس بين النيابة والمتهمين، ولكن بين مصر والحلف الاسرائيلي الأمريكي ،فقد رأينا كيف أن دور محرري الأوراق كان مقصورا على الدفاع عن مصر وسيادتها ،أو-بصيغة أصح- أن **ما جاء في الأوراق كان دفاعا عن مصر ضد الحلف الأمريكي الاسرائيلي، دفاعا عن سيادة مصر ضد الانتقاص منها، دفاعا عن أرض مصر ضد** ... منها ... ونحن



د. عصمت عبد المجيد مع حسين عبد الرازق وصلاح عيسى

ندعوكم إلى أن تأخذوا بالدفاع عن مصر وأن تحكموا ببراءتها من خلال حكمكم ببراءة المتهمين».

وفي مرافعة أخرى يحكي بلغته الخاصة الساخرة حكاية **«دون كيشوت»**.

«عن مغامرة شخص خلقه دي سرفانتس وأسماهدون كيشوت . ودون كيشوت هذا إنسان عاقل ، فيلسوف، سوى السلوك في كل شئ إلا في قضية واحدة هو فيها لا عاقل ولا فيلسوف ولا سوى السلوك. هذه القضية هي النجدة والدفاع عن المظلومين من البشر. يقاتل في سبيلهم بدون تردد. وبشجاعة غير معقولة. على حصان أعجف وبسيف مثلوم ورمح خرع ومهارة معدومة، انطلق دون كيشوت في رحلة طويلة طاف فيها أسبانيا يبحث عن المظلومين والضعفاء ،ويحارب متحديا كل ظالم قوي لأن تلك هي رسالته..».

ثم يساند بحرارة وإخلاص الدعوة المتضمنة في الأوراق أو «المضبوطات» بلغة القانون«دعوة كل القوى الوطنية والديمقراطية المعارضة على اختلاف انتماءاتها الحزبية والعقائدية لتكون جبهة واحدة شاملة لاسقاط الحكم القائم وإقامة حكم وطني ديمقراطي يرد للشعب المصري حرياته الديمقراطية السليبة ويؤمن تقدمه الاجتماعي»

ويدافع المحامي الفذ عن هذا المطلب قائلا: إنه حق دستوري تكفله المواد التي تنص على حرية العقيدة وحرية الرأي والنشر إن ما قام المتهمون بممارسته هو «ممارسة لحقوق دستورية مشروعة» وإن إدارة مباحث أمن الدولة «قد تجاوزت اختصاصها واعترفت بهذا التجاوز غير المشروع ، حين سخرت ضباطها لحماية شخص أو اشخاص أو حزب حاكم أسمته نظاما ، فخلطت بين الشخص والدستور بأن أسمت كلا منهما نظاما».

ولأن مواهبه كانت دائما أكبر من كل الأطر التي عمل فيها فقد تفنن في نسف كل الأدلة التي قدمتها الشرطة والنيابة ضد المتهمين في قضية ١٨ و١٩ يناير الشعبية سنة ١٩٧٧ وقدم للمحكمة في عرض فني واسع تسجيلات لأقوال ضباط مباحث أمن الدولة أمام المحكمة بنفس الأصوات ،تقول كلاما مناقضا تماما للكلام موضوع الاتهام ،وقدم صورا رائعة وقد جلس مرة عضوا لليمين ،ومرة عضوا لليسار ،وثالثة رئيسا للمحكمة.

واستخدم حاسته الساخرة العميقة- التي شابتها المرارة- في كتابات أدبية جميلة من المسرحية للمذكرات للحوارات والرسائل ،والتي لابد أنها ستصبح موضوعات للدراسة لأنها لا تخصه وحده وإنما تخص مرحلة بكاملها تطوى أوراقها على الخيبات والمرارات الكثيرة والانتصارات والأفراح القليلة فوداعا معالي القديس..

تعقيب على حوار هيكل مع رئيس تحرير اليسار (٢)



فى موضع ما من حواره مع رئيس تحرير اليسار (عدد مارس ١٩٩٦) يؤكد الأستاذ **هيكل** أنه: «ليس أمامنا فى هذه اللحظات إلا أن نتقدم باقتراحاتنا ونطرحها على رئيس الدولة.. ونظل نقول ونلح ،ونشجعه على ممارسة مسئولياته قدر ما يستطيع» وأنه «ليست هناك البدائل ولا إمكانيات التغيير وتسيير الأمور خارج ما هو قائم» وأى محاولة للعلاج خارج رئيس الجمهورية غير واردة إطلاقا».

أصدر الاستاذ **هيكل** هذا الحكم القاطع رغم سبق إقامته الدليل على أن «ما هو قائم» قد اصطحب وبشكل متزايد بأفدح الكوارث فى كافة مجالات العمل الوطنى، واستند فى حكمه على حيثيات متعددة، يقف على رأسها اليأس-**يأس الاستاذ هيكل- من الأحزاب الموجودة الذى يمتد أيضا إلى اليأس من الحركة الشعبية.**

إن هذه الاحزاب جميعا ، فى اعتقاد الأستاذ **هيكل** «غير قادرة على قيادة عملية الاصلاح والتغيير»، و«للأسف لا توجد فكرة فى الظروف الراهنة قادرة على تحريك الناس وحشدهم وراءها . كل الأفكار المطروحة عاجزة».

د. فوزى منصور

دفاعا عن أحزاب المعارضة

وبالنسبة للأحزاب، يبنى الأستاذ **هيكل** رأيه على مجموعتين من الأسباب، إحداهما موضوعية متصلة بالظروف الخارجية المفروضة على نشاط الأحزاب أو التى تحبط به، والأخرى ذاتية ترجع إلى الكيفية التى تمارس بها الأحزاب نشاطها.

المجموعة الأولى -الموضوعية -هى أنه «أولا : **لا توجد وسيلة لتداول السلطة سلميا، ثانيا: لا يوجد حزب قادر على فرض هذا التداول ، ثالثا: لا توجد لدينا طبقة قادرة على شق طريق التغيير والتقدم».**

أما المجموعة الثانية الذاتية، المتصلة بأوجه القصور فى الأحزاب ذاتها، فتضم خليطا من الأسباب من نوع أن «**الأحزاب لا تملك بدائل أو رؤى**» أو «**أنها تطلب التداول (فى السلطة) بطريق الصدقة.. على طريقة حبيبى راح هاتهولى ياناس**».. «**إن كل التنظيمات السياسية الموجودة فى مصر الآن مفلسة من**

ذلك ترى اليسار «الذى ليس لديه شئ يطمح يقوله للناس» .. و«أقصى ما يطمح إليه أى حزب من أحزاب المعارضة هو التفاهم مع الحكومة».

ولقد يبدو أن السبب الأول مما سميته مجموعة الأسباب الموضوعية :«**عدم وجود وسيلة لتداول السلطة سلميا» يغنى فى حد ذاته عن متابعة الحديث فى الموضوع** ،وخاصة ما تعلق منه بأوجه القصور والنواقص الذاتية فى النشاط الحزبى . ذلك أنه إذا كان الوصول إلى السلطة بالطرق السلمية مستحيلا ، وما دام الأستاذ هيكل يرفض تماما كل محاولة للوصول إليها بالطرق غير السلمية ويحذر فى مواضع متعددة من الحوار من مخاطرها على الوطن(وأنا أتفق تماما معه فى هذا الرفض وذلك التحذير) . إذن فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب كما يقولون، وأصبح البحث عن أوجه القصور أو الكمال فى نشاط أحزاب المعارضة من قبيل الترف العقلى الخالى من المضمون السياسى العملى.

رغم ذلك فإننى أرجو أن يسمح لى بمناقشة الأسباب الذاتية التى أفاض الأستاذ هيكل فى بيانها قبل أن أعود لمناقشة أسبابه الموضوعية .

خلافات السجن

وبداءة فلست أقل من غيرى شعوراً بأوجه القصور المختلفة التى تنتاب الأداء السياسى لأحزابنا، وإن كنت أشعر بقدر كبير من الحرج فى الحديث عن نواقصها الداخلية نظرا لوقوفى خارج هذه الأحزاب.

وأنا أقف خارجها، رغم اقتناعى المطلق بالأهمية القصوى للعمل السياسى الحزبى لمستقبل مصر، لا خوفا من تحمل النتائج التى يمكن أن تترتب على معارضة السلطة(وأرجو أن يغفر لى القارئ ما فى هذا القول من مجاوزة لحدود التواضع الواجب) ، ولكن لأننى لا آنس فى نفس القدرة أو القوة على ممارسة الصراع الحزبى الداخلى الذى لا يمكن- فى مثل ظروف مصر بوجه خاص- أن يتقدم العمل السياسى الحزبى دون وجوده . ومن هنا فإن شعورى بتلك النواقص يكبت قدرتى على التعبير عنه إلى حد كبير شعور آخر أقوى منه: هو أن أولئك الاشداء من ممارسى العمل السياسى من داخل أحزاب المعارضة هم الأولى والأقوى والأقدر على التصدى لتلك النواقص ومحاولة علاجها.

وحيثما قلبت وجهى ، شطر هذا الحزب

الحياة السياسية «محشورة» فى سجن أكثر ضيقا من سجون الأفراد



من أحزاب المعارضة أو ذاك (وأستطيع دون خجل أو حرج القول أننى أجد فى كل منها شيئا عظم أو ضؤل من نفسى) ، فأننى أرى تلك الاحزاب جميعا- على البعد- غنية بمن يحاول اصلاحها من الداخل، ويبذل أثمن ما فى حياته وسنى عمره من أجل الاصلاح ،ويشارك فى هذه المحاولة العديد من قيادات هذه الأحزاب.

لماذا إذن تلك النتائج الهزيلة للعمل الحزبى التى يشير إليها الأستاذ هيكل ؟.

مرة أخرى أرجو أن يُغتفر لى الاستناد إلى دروس مستخلصة من ملاحظات ذات طابع شخصى ليست مع ذلك بعيدة كل البعد عما نناقشه الآن:

فيما بين ١٩٥٩ و١٩٦٤ ضمّت معتقلات مصر وسجونها عددا كبيرا من ألمع مفكرى [illegible] ومثقفيها وعلمائها وقياداتها النقابية [illegible]. وقد تميزت الفترة الأولى -مدة عام [illegible] على وجه التقريب- بالتعذيب المكثف الذى وصل فى بعض الأحوال إلى حد القتل والتهديد اليومى به، وبالحرمان الكامل من [illegible] الحقوق الإنسانية. وكان المسجونون [illegible] ينقسمون فى أغلبهم إلى فصائل متعددة تدور بينها صراعات فكرية وسياسية عميقة. ورغم ذلك فقد تميزت **تلك الفترة** بالصلابة المطلقة **الجماعية والفردية** فى مواجهة **سلطات التعذيب** والسجن **وبالبعد الكامل عن الصغائر والخلافات ذات الطابع الشخصى.**

[illegible]

المعتقلين والمسجونين مرسيين- وفقا للتعبير الشائع بين السجانة- وراء عين الشمس لا يكاد أحد فى مصر يشعر بهم سوى أهاليهم **وبعض القريبين منهم) نقل من كانوا فى«أوردى أبو زعبل» الرهيب إلى سجن المحاريق فى أعماق الصحراء الغربية** ،ولأسباب مختلفة استطاعوا أن ينتزعوا لأنفسهم عددا من الحقوق الأولية مثل إلغاء الأشغال الشاقة الإجبارية (وكانت النتيجة أنهم أقبلوا من تلقاء أنفسهم على ما هو أشق منها : استزراع الصحراء المحرقة للمحافظة على حياتهم من الموت جوعا ولتكملة غذاء السجانة أيضا!) ،وحق اختيار رفاق السكن فى الزنزانة الواحدة بدلا من عمليات التسكين الاجبارى التى كانت تفرضها إدارة السجن وتراعى فيها حشر أكثر العناصر تنافرا مع بعضها البعض فى المكان الواحد، وحق الخروج من الزنزانات إلى فناء السجن المشمس أثناء الشتاء القارس البرودة، وحق الاتصال والاجتماع بين نزلاء الزنزانات والعنابر المختلفة .. الخ.

وقد شهدت هذه الفترة ،وخاصة فى سنوات الانفراج الأخيرة أعمالا أدبية ومسرحية وشعرية وفنية مهمة ، واجتهادات نظرية غير مسبوقة ، على سبيل المثال عن أدوار **البرجوازية البيروقراطية** الشديدة التباين وفقا لطبيعة النظم السياسية الاجتماعية التى تحتضنها ، وحول طبيعة النظام الرأسمالى العالمى والأولوية التى ينبغى أن تعطى له فى تفسير الظواهر الاقتصادية فى مختلف أنحاء العالم ،وغير ذلك مما أشارت إلى القليل منه الكتب التى ظهرت عن هذه الفترة.

ولكن ما لم تعطه تلك الكتب عناية كافية أو ربما أهملت ذكره تماما هو **التصاعد المذهل -خصوصا بالمقارنة مع الفترة السابقة- للخلافات الصغيرة التى بلغت أحيانا حد التشرذم، لا حول المواقف السياسية فى السلطة فقط: سلطة الدولة أو حتى سلطة إدارة السجن، ولكن أيضا حول مسائل شخصية صغيرة من نوع**: أين يضع كل واحد «البرش» الذى ينام عليه عندما ينحشر ٤٢شخصاً فى غرفة واحدة لا تتجاوز ٥ × ٥ متر :تحت النافذة أم بجوار الباب، أو من نوع المشكلة الاقتصادية الأزلية الخاصة بالحوافز والمكافآت فى ظروف الندرة: هل يسمح -على سبيل المثال- للعاملين اختياريا فى استصلاح وزراعة صحراء السجن بمكافأة نصف سيجارة فى اليوم سحبا من صندوق خاص أنشأه النزلاء للانفاق على الحياة العامة، أم ينبغى أن يكون العمل من أجل الجماعة تطوعيا بحتاً؟ .. الخ الخ.

وفى الحقيقة كانت هذه المشاكل تحلها لجان الحياة العامة التى كونها النزلاء بقرارات تنظيمية يحترمها الجميع . لكن الحق أيضا أنه مهما بلغت عدالة هذه القرارات ومعقوليتها فقد كانت أحيانا تترك فى بعض النفوس آثارا يصعب سبر أغوارها.

يقولون إن السجن مدرسة الثوار، وأن الشدائد تصقل معادن الرجال . وبعض ذلك القول صحيح . لكن الصحيح أيضا هو أن **الحياة الضيقة المحاطة بالأسوار: أسوار السجانة أو أسوار الحرمان ، يمكن خصوصا لو طالت أن تقهر الإنسان السوى ، العالى الوعى أو الثقافة والغنى بالعواطف الإنسانية النبيلة ، بأقل من مقاسه الطبيعى.**

حدث ذلك لا فى سجن الواحات فقط، ولكن بين عرابى ورفاقه فى منفى **جزيرة سيلان** ، وبين **نابليون** ومن تبعوه اختيارا بدافع الولاء لشخصه إلى **سجن سانت هيلانه** . وستبقى هذه الظاهرة قائمة طالما بقيت أسوار السجن والحرمان، هذا ما لم يكن السجين أو المعتقل من «نوعية » خاصة جدا : نوعية **أحمد نبيل الهلالى أو محمد سيد أحمد** ، أو الراحل الأخير **عبد المنعم شعلة** وغيره ممن طواهم أو سيطويهم النسيان.

وعلى من يعجب لهذه الظاهرة أن يسأل نفسه : أين تنتشر الأعمال العدوانية الفجة البشعة ضد النفس والأقارب والجيران ورفاق

العمل والطريق: بين الفقراء ذوى الحياة الضيقة المحاصرة من كل جانب (ما لم يرفعهم فوق ظروف حياتهم وعى خاص أو قيم متأصلة)، أم بين الأغنياء الذين أضفت عليهم الثروة القديمة بعدا من الحرية والسماحة ، حتى ليكاد يقول غير العارف بالأصول التى تكونت منها هذه الثروات ، وبأعمال القسوة البشعة التى يمارسها الأغنياء ، لا فيما بينهم ، ولكن كطبقة على الطبقات الأدنى منهم، يكاد يقول: مباركون هم الأغنياء ، فهم الذين سيرثون ملكوت السماء، كما ورثوا ملكوت الأرض.

اعتقال الاحزاب

لكن أراني قد استطردت . فلنعد إذن من سجن الأفراد الضيق وأثره على بعض النفوس إلى **السجن الأكثر ضيقا الذى تحشر فيه الحياة السياسية فى مصر** ، والذى يشترط -على سبيل المثال- لتكوين حزب سياسى الحصول على رخصة تهون بالمقارنة مع صعوباتها صعوبات الحصول على رخص «المحلات الضارة بالصحة والمقلقة للراحة» .**هذه الرخصة أيضا محجوبة تماما عن بعض القوى السياسية الهامة كالإخوان المسلمين والشيوعيين.**

وبسبب هذه الصعوبات والموانع كثيرا ما تلجأ بعض القوى السياسية المتباينة الفكر- بدلا من محاولة كل منها الحصول على رخصة خاصة بها- إلى القيام بعمليات تسكين مشتركة شبيهة بعمليات التسكين الإجبارى التى تفرضها ادارات السجون على عناصر متنافرة من السياسيين الواقعين تحت سيطرتها ، بغية إذكاء الصراعات بينهم وإضعافهم. والمثل الواضح على ذلك هو **تجوال «الاخوان المسلمين» بين الاحزاب المختلفة ، حتى استقروا أخيرا -ولو إلى حين- إلى التحالف القلق مع حزب العمل.**

وحتى هذا المرور الضيق من «سم الخياط» **الذى يسمح به أحيانا للراغبين فى العمل السياسى أصبح يزداد ضيقا على ضيق.** [illegible] التعامل عن طريق [illegible] الشرطة والحبس الاحتياطى **تمهيدا للمحاكمة الجنائية مع عدد من الشخصيات العامة المرموقة مهنيا وادبيا،بتهم متعددة، تقف فى وسطها كتهمة محورية اتفاقهم مع آخرين من بينهم عدد من المواطنين المسيحيين على إنشاء حزب سياسى جديد باسم حزب الوسط ،واعتبار هذا العمل أساسا للمساءلة الجنائية،** رغم أن المؤسسين سلكوا الطريق القانونى القويم للحصول على الرخصة، وتقدموا ببرنامج سياسى يتفادى كل المحظورات القانونية وحتى السياسية التى يمكن ان توجه إليه، وبدا واضحا أن الجريمة الحقيقية المنسوبة للمتهمين فى هذا الخصوص هى محاولة إنشاء حزب الوسط بتكليف من الاخوان المسلمين وأن التمايز بين ذلك الحزب وبين الإخوان ليس سوى تمثيلية متفق عليها (ربما).

لكن الاخوان كجماعة ليسوا ملاحقين كتنظيم غير شرعى وعلى اساس هذه الصفة وحدها . فقادة هذه الجماعة والمتحدثون باسمها يصدرون البيانات ويكتبون فى الصحف نيابة عنها ويختارون مرشدا عاما بعد الآخر دون ملاحقة جنائية.

هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فحتى لو صح أن المقبوض عليهم تحركوا بالتنسيق مع جماعة الاخوان ، فقد كانت حركتهم الرامية إلى انشاء حزب جديد هى مجرد استخدام لرخصة قانونية أتاحها القانون لكل إنسان وبالمراعاة لأحكامه، هى رخصة التقدم لطلب الحصول على«رخصة» تكوين حزب قانونى. وقد كان من المؤكد أن لجنة الاحزاب التى تسيطر عليها الحكومة كانت سترفض هذا الطلب ،بقدر ما هو مؤكد أيضا أن القضاء كان سيرفض تظلم المؤسسين من ذلك الرفض لو كان فى إنشاء الحزب الجديد جريمة أو شبهة الإضرار بالمصلحة العامة كما يحددها القانون القائم. هذا لو كان بين يدى الحكومة الدليل الصحيح على ذلك.

والحقيقة أن مسارعة الحكومة بالملاحقة الجنائية عن فعل مشروع فى حد ذاته ، رغم اعتدال البرنامج المعلن للحزب المطلوب الترخيص به، ورغم علمها بالضجة الإعلامية الهائلة التى تثيرها هذه الملاحقة فى الداخل والخارج،وتقديم هذا الفعل المشروع على أنه **دليل على الاشتراك فى إقامة تنظيم هدفه** قلب أو تغيير نظام الحكومة، تبين بجلاء خوف الحكومة الشديد من الشعبية التى يمكن أن يكتسبها الحزب الجديد، **كما أن الحكومة تعتبر أى مزاحمة من خارج النظام على احتكار النظام المطلق للسلطة ترقى فى حد ذاتها إلى مستوى محاولة قلب نظام الحكم أو تغييره.**

الحصار..

وكما هو معروف فإن الرخصة وقيود الحصول عليها والملاحقة الأمنية لبعض من يحاول -حتى عن طريق طلب الرخصة- استخدام حقه فى العمل الحزبى ليست هى العوائق الوحيدة أمام العمل السياسى الحزبى . **فحتى الأحزاب المرخص بها** (وأنا لا أتحدث هنا عن أحزاب الأنابيب التى يستشهد بكبر عددها على ازدهار الديمقراطية فى مصر رغم عجز كبار مسئولى الحزب الوطنى عن تذكر اسمائها أو أسماء رؤسائها عندما تحداهم أحد أعضاء مجلس الشعب المعارضين فى ذلك أمام المجلس) ، **حتى هذه الأحزاب يكاد ينحصر نشاطها فى عقد الاجتماعات فى المقرات الحزبية، والترشيح للانتخابات التى يعرف الجميع كيف تجرى وكيف تتحدد نتائجها، وإصدار الصحف الحزبية التى لا يخضع ما ينشر فيها لرقابة خارجية** (وينبغى الاعتراف بهذه المنة الكبرى)، لكن لا يجوز إعادة طبع ما تنشر من مقالات وتوزيعها كمنشورات لأن الصحيفة الحزبية- كما قال أحد رجال الأمن المشهود لهم بالذكاء والصراحة الآسرة- لا يشتريها إلا القليلون القادرون على دفع ثمنها والمقتنعون فى الأغلب بخطها ،أما توزيع المقالة مجانا وبعشرات الآلاف على من لم يتعرضوا من قبل لهذا النوع من الكتابة فذلك أمر مختلف تماما شديد الخطورة!.

كذلك يحظر تماما عقد الاجتماعات العامة خارج المقرات أو النشاط الحزبى حيث توجد الجماهير ، فى أماكن العمل والنقابات والجامعات والنوادى ،وتنظيم المسيرات والدعوة إلى الاضرابات والاعتصامات المشروعة، وغير ذلك من وسائل إظهار **الاختلاف مع سياسات الحكم، وكل ذلك من**

صميم العمل السياسي الحزبي.

فكيف مع هذا الحصار المحكم الذي يزداد ضيقا سنة بعد الأخرى، ومع تتابع القوانين المعروفة بالقوانين سيئة السمعة وآخرها **قانون اغتيال** حرية **الصحافة**، يمكن الحديث عن «الافلاس الجماهيري للأحزاب» كما لو كان ذلك بالدرجة الأولى مسئوليتها هي؟.

ثم الا تفسر أسوار العزلة هذه التي أقامتها السلطة حول الأحزاب تفشي الظواهر المرضية داخل الاحزاب، تماما كما تتفشى هذه الظواهر داخل السجون والمعتقلات بين الافراد أيا كان مستواهم الفكري وقدراتهم السياسية؟.

إن الاحتكام إلى الجماهير فيما يحتدم حوله الخلاف من قضايا والتواصل الدائم معها وتلمس نبضها هو سبيل الحزب -أي حزب- لمنع الخلافات الداخلية أو على الأقل وضعها في حدودها الإنسانية الطبيعية. فكيف يعاب على الاحزاب قصورها ونواقصها الداخلية اذا كان التواصل مع الجماهير الذي يستطيع وحده تقديم العلاج الناجح لها محرما أصلا عليها بحكم الحصار المحكم المضروب حولها؟.

دعوى إفلاس الأحزاب الفكري!

على أن الاستاذ **هيكل** يستند إلى سبب ثان من اسباب العجز الذاتي لأحزاب المعارضة هو أنها «لا تملك بدائل أو رؤى.. إنها مفلسة في الأفكار .. ولا تجد لغة خطاب صحيحة يصدقها الناس». فيما إذن تضييق الحكومة الخانق عليها في كل مجال لو كانت أحزاب المعارضة الرئيسية مفلسة من الأفكار؟.

لقد كنت أتصور أنه اذا كان هناك نقد رئيسي يوجه إلى أحزاب المعارضة في مصر **فهو عجزها عن إزالة أو اختراق الموانع الضخمة التي تقيمها الحكومة في طريق توصيلها لأفكارها ورؤاها إلى جماهيرها** الطبيعية [illegible] لذلك فيما [illegible]

والرؤى.

إن حزب **التجمع** -على سبيل المثال- يملك رؤية وبرنامجا سياسيا متسقا شاملا لكل مناحي الحياة العامة، تضافرت على وضعهما مجموعة متكاملة من ذوي الخبرات السياسية والاقتصادية والثقافية الفريدة، تسندها دراسات علمية جادة ومناقشات ديمقراطية مستفيضة وتبقيها حية محاولات دءوبة متكررة للتطوير.

والحزب الناصري يملك رؤية وبرنامجا تفصيليا لا يقل- عند من يسلم بالمنطلقات الرئيسية التي يبني عليها- في مستواه عن رؤية وبرنامج حزب التجمع.

وبعد تردد طويل فإن **حزب العمل** الذي كان قد طال وقوفه عند الشعارات قد انتقل إلى مرحلة مماثلة.

واعتقد أن **حزب الوفد** أيضا قد جاوز منذ فترة ليست بالقصيرة مرحلة الشعارات العامة والوقوف عند الماضي وتحددت في نظر الجماهير لا عند المتخصصين فقط ملامح المستقبل الذي يريد أن يبنيه. ويسري ذلك أيضا على **«الاخوان المسلمون»** وعلى **الحزب - أو الاحزاب الشيوعية-** بقدر ما تسمح الظروف المفروضة عليها بتوصيل رسالتها إلى الناس.

صحيح أن هناك فوارق- ضخمة أحيانا- بين رؤى بعض الأحزاب المعارضة وبرامجها وبياناتها الرسمية، وبين ممارساتها السياسية اليومية تجاه السلطة. هذه المفارقات قد ينسبها البعض إلى «الانتهازية السياسية» أو حتى **الشخصية، لكنها يمكن أن تنسب أيضا، وبنفس القدر من الرجاحة، إلى عمليات الحصار المتزايدة التي تفرضها السلطة على الاحزاب**، والتي تضطرها إلى خيار مرير بين التمسك المصر والحازم برؤاها السياسية وجعلها الأساس الصلب لكل أوجه نشاط الحزب وخاصة عند المستويات القيادية، بما قد يؤدي إليه ذلك من تزايد إحكام الحصار حولها وطردها كلية إلى خارج العملية السياسية، وبين تقديم تنازلات تقدر القيادات خطأ أو صوابا أنها تسمح لها بقدر من حرية الحركة يفوق في عائده السياسي ما تخسره نتيجة فقدان الجماهير ثقتها فيها [illegible]

المسئولية الاولى عن كل ذلك، هي مسئوليه النظام القائم وحرصه على أن يئد من المهد كل ما من شأنه أن يهدد، لا سلطته فقط، **ولكن احتكاره المطلق لكل جوانب السلطة**.

التعبير عن القوى الاجتماعية

صحيح أيضا أن احزاب المعارضة، رغم رؤاها الشاملة المتكاملة، تميل في عملها السياسي اليومي إلى التركيز على جانب واحد أو جوانب محددة من هذه الرؤى دون الجوانب الأخرى. **فالوفد** على سبيل المثال ينحو إلى التركيز على الديمقراطية السياسية والليبرالية الاقتصادية.

وحزب العمل ينحو إلى التركيز على الجانب العقائدي والقيمي والثقافي، وبوجه خاص ما يتصل بإعمال أحكام الشريعة الاسلامية، مع بعض الغموض - المتعمد فيما أظن- فيما يتعلق بطبيعة النظام الاقتصادي المنشود، وبالموقف العام من الامبريالية كظاهرة عالمية إلا عندما يتصل الأمر بأعمال عدوان محددة ضد الشعوب الاسلامية.

والحزب الناصري ينحو إلى التركيز على حماية القطاع العام والاقتصاد المخطط والمكاسب الاقتصادية للطبقات الشعبية في العهد الناصري والاستقلال الوطني السياسي والاقتصادي ومناهضة السيطرة الامبريالية على المنطقة والمشروعات الصهيونية ومجمل القضايا المتفرعة عن إيمانه العميق بالقومية العربية كقضية حياة أو موت لمصر وللعرب أجمعين.

ويأخذ **البعض على حزب التجمع أنه رغم اتساع رؤاه بشكل متسق ومتوازن لهذه القضايا جميعا، فان حرصه الشديد على الوحدة الوطنية والاستنارة العقلية، وهو أمر يحمد تماما له، يدفعه إلى تغليب مناهضته للتيار الديني المنغلق على أي اعتبار آخر**، بل ويدفعه إلى ما يشبه التحالف غير المبدئي مع السلطة الذي يحمل بين ثناياه موقفا غير قاطع [illegible]

والجميع يهتمون، بدرجات شديدة التفاوت بموضوعات انتشار الفساد والبطالة

وبالعدالة الاجتماعية.

لكن هذه الاختلافات فى توزيع الاهتمامات لا تعيب الاحزاب بل هى من صميم طبيعة الحياة الحزبية. فالأصل فى الحزب السياسى ، اذا لم يكن يمثل طبقة اجتماعية أو تحالفا بين طبقات وقوى محددة ، أنه على الأقل يمثل مجموعة من الرؤى والتوجهات والمصالح لفئات معينة . ولو ادعى حزب ما ، ومن باب أولى لو تحقق لحزب ما ، تمثيل كافة الطبقات والقوى والرؤى الاجتماعية فى الأمة كلها وعلى نحو متكافئ بينها لأنتفى تماما معنى وجود الاحزاب ولأصبحت كلمة التحزب متناقضة مع نفسها.

والحاصل أن كلا من أحزاب المعارضة الرئيسية يعبر بدرجة أو أخرى عن قوى اجتماعية حية موجودة فى المجتمع حتى لو لم يكن قادرا على التواصل معها أو تحريكها ,وهو يعبر عن هذه القوى بشكل أقوى وأكثر اتساقا عما يعبر عنه الحزب الوطنى - الذى لو أفلتت السلطة من قبضته الحديدية، أو على الأصح قبضة الدولة التى أنشأته ورعاه، لما كان هناك شئ متماسك يقوله للناس ويجمعهم حوله.

هل هناك شك، بعد فواجع الممارسات الماضية التى أسهب الأستاذ هيكل، وبحق، فى تفصيلها ، فى أنه لو أطلقت الحريات السياسية والديمقراطية بشكل كامل، وأعطيت وقتا كافيا ، وتحققت سلامة العملية الانتخابية من كل الوجوه، فإن احزاب المعارضة القائمة«بعبلها » الحالى ، حتى اذا لم يحصل واحد منها على نسبة قد تفوق ما يحصل عليه الحزب الوطنى القائم وهو فى السلطة ، فإنها تستطيع فيما بينها أن تحصل على عدد من الأصوات والمقاعد يجاوز ما يحصل عليه الحزب **الوطنى** وحده؟.

ان غيبة البدائل والأفكار والرؤى هى آخر ما يمكن أن يوجه إلى أحزاب المعارضة من أوجه النقد (حتى ولو لم أتفق مع أى واحد منها بالذات فى كامل رؤاها كما قدمت) .وتكفى مقارنة [illegible] هذه الحقيقة . وقد أتيحت لى الفرصة لكى





حـزب التجمـع يمـلك رؤية وبرنـامجـا سـياسـيا لكل مناحى الحـياة العامـة



أراقب عن كثب على مدى عدة عقود أداء الاحزاب السياسية فى بلدين عريقين فى الديمقراطية السياسية هما **انجلترا والولايات المتحدة** ,واشهد أن المقارنة من هذه الناحية هى ، بما لا يقارن ، فى صالح الاحزاب المصرية ، ربما لأن الاحزاب المصرية المحرومة حقا من حريات العمل السياسى بين الجماهير تجد عزاءها ومنطلقها فى التركيز على الجانب الفكرى والنقدى ، أو ربما لأن التراتبات الاجتماعية الأساسية المرتكزة على الظاهرة الامبريالية فى كل من انجلترا وأمريكا لا تترك مجالاً واسعاً للاختلافات الجذرية فى الرؤى بين الاحزاب الرئيسية ، سواء كانت فى الحكم أو المعارضة. والا فكيف يفسر الانسان أن معارك الرئاسة بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى أمريكا- فى غير أوقات الأزمات الحادة المتصلة بدورات الكساد الاقتصادى العميق أو قضايا الحرب والسلام- تدور حول الصفات الشخصية الأكثر تفاهة للمرشحين للرئاسة، أو حول «قضايا مصيرية كبرى» من نوع حدود حق النساء فى الحصول على الاجهاض أو وجوب قيام تلاميذ [illegible] الصباح أو زيادة الانفاق على إنشاء السجون الجديدة ومضاعفة رجال الشرطة وأحيانا- لكن ذلك من قبيل ملاكمات خيال الظل التى يقصد بها إعطاء مسحة أكبر من الجدية للحياة السياسية -حول معدلات ووسائل تخفيض العجز الهائل فى الميزانية ومن يتحمل نفقات التأمين الطبى وما شابه ذلك؟.

كلا ,**ليس الفقر فى البدائل والرؤى هو ما يعيب الاحزاب المصرية**. إن ما يعيبها هو حصار السلطة لها، ذلك الحصار الذى يؤدى، ضمن ما يؤديه ، إلى تقوية عوامل التثبيط والتفكك التى تنخر فيها من داخلها.

ذلك يطرح على الفور عدداً آخر من التساؤلات الجادة المستوحاة من قول الاستاذ هيكل- بطريقته التصويرية الفريدة -«إن أحزابنا تطلب التداول بطريق الصدقة . تطالب الحاكم بهامش ديمقراطى فى النمو وتداول السلطة معه» ، **تساؤلات متصلة بالأسباب الموضوعية الداخلية والخارجية التى تحول دون وجود حزب قادر على فرض هذا التداول** أو **طبقة قادرة على شق طريق التغيير والتقدم**,أو باللحظة التاريخية التى نعيش فيها: «لحظة انهيار امبراطوريات ، وسقوط عقائد وتوجهات، وغياب أفكار كبيرة ومهمة» مما أرجو أن أعرض له تفصيلا فى تعقيب ثالث وأخير.

مصطفى نحاس آخر

على أننى قبل الانتقال إلى مناقشة هذه الأسباب الموضوعية أود أن أنهى حديثى الحالى بالاشارة إلى أنه حتى هذه الأسباب الموضوعية يخالطها قدر كبير من العوامل الذاتية.

فى أوائل الثلاثينات فضّت حكومة الأقلية المفروضة على الشعب البرلمان الشرعى المنتخب انتخابا حرا وعطلت الحياة النيابية، فلم يكتف حزب الوفد بالاجتماع فى مقره وتقديم احتجاج ,وانما ذهب **مصطفى النحاس** على رأس جمع من رفاقه لتحطيم السلاسل التى أحاطت بها **الحكومة مبنى البرلمان وتلقى سينوت بك حنا** بصدره طعنة السونكى التى وجهتها شرطة الحكومة إلى صدر «مصطفى النحاس». وانطلق **مصطفى النحاس** بعد

ذلك وحده بجرب القرى والدساكر دون أن تجرؤ الحكومة على التعرض البدنى له . وكان نصارى جهد صدقى، أنه فصل عربة القطار التى كان يركبها النحاس ووجهها إلى خط فرعى ينتهى إلى لا شئ . ونام مصطفى النحاس على دكة محطة السكة الحديد فى انتظار مواصلة تعود به إلى العاصمة.

لم تسقط الحكومة فورا إثر هذه الأحداث ، لكن عادت الحركة السياسية الشعبية إلى التصاعد تدريجيا وامتدت إلى كافة المجالات حتى جرفت أمامها حكومات الأقلية المتعاقبة وانتهت بعودة حزب الاغلبية إلى الحكم.

وقد عرضت لمصر فى السنوات الأخيرة أحداث كبرى كلها أعظم خطرا من تقييد البرلمان الشرعى بالسلاسل الحديدية، بعضها يتصل اتصالا وثيقا بمستوى معيشة أوسع الجماهير الشعبية ، والبعض الآخر يتصل بصميم الاستقلال الوطنى ومصير -بل وبقاء- الوطن والأمة ،مثل العلاقة مع اسرائيل وحرب الخليج الثانية والمشروع الشرق أوسطى . وقد وجدت بعض هذه الاحداث أصداء واسعة وردود فعل شعبية بالغة الخطورة (أحداث ١٨، ١٩ يناير مجرد مثال على ذلك) ، **لكن لم يوجد على رأس ردود الفعل الشعبية العلقانية هذه مصطفى نحاس آخر ورموز الحزب الذى يقوده.**

ولست أدعى بأية حال أن قادة احزاب المعارضة الحاليين أقل شجاعة واستعدادا للتضحية من **مصطفى النحاس** ورفاقه. لكن الزمن هو الذى تغير .وهو قد تغير من عدة نواح أكتفى الآن بأن أعرض لواحدة منها انتظارا لمناقشة الظروف الموضوعية التى سبق أن حددها بدقة وصفاء ذهن بالغ الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل.

مساحة العمل السياسى

يقول الاستاذ هيكل فى تعبير عبقرى الايجاز والدلالة ، لكنه يمثل خلاصة ما انتهى إليه العلم السياسى : « ان **القوات المسلحة فى كل بلاد الدنيا هى** ... [illegible] المسافة بين هذه المؤسسة والنخبة بمقدار قوة العمل **السياسى وتنكمش بمقدار ضعفه** وضيقه .. **القوات المسلحة** -فى **الأساس- هى أداة الدولة لفرض إرادتها فى الخارج ، ووجودها فى حد ذاته يغنى عن استخدامها فى الداخل إلا فى حالة ضعف الدولة».**

ويؤكد مرة أخرى :

«القوات المسلحة فى النهاية أداة الاجبار فى الدولة . والمسافة بين السلطة السياسية وقوة الاجبار تتسع كلما كان العمل السياسى قويا ويحتل مساحة واسعة ،وتضيق كلما انكمش العمل السياسى .ونحن الآن فى مرحلة يضيق فيها العمل السياسى ومن ثم يزداد اعتماد الدولة على القوات المسلحة».

وقد اتي حديث رئيس الدولة في افتتاح **مجمع القضاء العسكرى** فى ٤ ابريل ١٩٩٦ لكى يصادق- بسرعة وصدق وصراحة تفوق أي تصور- علي هذا التحليل . يقول رئيس الدولة . **«إننى يسعدنى أن أوجد فى صرح من صروح القوات المسلحة التى تقوم بدورها فى حماية السيادة ،وحماية مقدرات الوطن وحماية الدستور ، فالقوات المسلحة هى الضمان الرئيسى لأمن مصر والحفاظ عليه (وهى قد) قامت بدور رئيسى فى مواجهة عمليات الارهاب من خلال القضاء العسكرى للتصدى لهذا المرض الخطير.. إن ما نظر من قضايا أمام القضاء العسكرى من أجل تخفيف الأعباء عن القضاء المدنى هو جزء من واجبات ومسئوليات القوات المسلحة باعتبارها ركيزة الاستقرار لهذا الوطن».**

وأظن أن المقارنة بين تصريحات السيد الرئيس وعبارات الاستاذ هيكل تبين دون حاجة إلى تعليق مدى اتساع- أو ضيق- مساحة العمل السياسى فى مصر، وخاصة فى الظروف الأخيرة ، كما تفصح أيضا عن الأسباب الحقيقية التى تحول دون قيادة الاحزاب للحركات الجماهيرية التى تسعى إلى التغيير.

فاذا كانت الأوضاع الحالية **«فى بر مصر»** تزداد جهامة ،و«النار تقترب أكثر فأكثر من الحطب»..وأسباب اشتعال الحريق كامنة.. وهناك مساس بالتوازن الطبقى المطلوب فى المجتمع وعدوان على القانون .. ومشكلة مصداقية» .. مما يدعو الاستاذ هيكل إلى الشعور بالقلق، بل إن قلقه يشتد ، فلن يكون السبب فى عجز الاحزاب عن الحركة فى الشارع هو افتقاد هذه الاحزاب -كما قال- لفكرة مركزية تتكلم عنها وتجمع الناس حولها ،وتدعوهم للحركة من أجلها وتحشدهم معها، ولكن **السبب الحقيقى هو «انكماش مساحة العمل السياسى»** بما فى ذلك العمل السياسى الذى تكفله نصوص الدستور ،والتداعيات الطبيعية-التى أشار إليها الاستاذ هيكل -التى تترتب على ذلك، وأهمها أن تتقدم «الوسائل الأخرى» التى تملكها السلطة إلى الصدارة كبديل عن العمل السياسى، ومخاوف الجميع من المخاطر القصرى التى يتعرض لها الوطن- لا مجرد أشخاص النشطين سياسيا- نتيجة لذلك.

ذلك هو المأزق الحقيقى وتلك هى أسبابه !

ويبقى أن نناقش فى الجزء الثالث والأخير من هذا التحليل ما اذا كانت «الظروف الموضوعية» الداخلية والخارجية تساعد على استحكام هذا المأزق وتدعو إلى الترقب وانتظار الفرج الذى قد يأتى عندما تتغير هذه الظروف ، هذا اذا تغيرت فى الاتجاه الصحيح ، أم -على العكس- فإن تلك الظروف ،وفي الأوقات الراهنة لا فى مستقبل بعيد قد يأتى وقد لا يأتى ، هى نفسها التى تعجل بتقديم الحلول السليمة غير المتعارضة مع أمان الوطن وسلامته لمن يحسن قراءتها والاستفادة منها.

السبب الحقيقى للأزمة

انكماش مساحة

العمل السياسى

مصر

وجاء الدور على دنيانا التأمينية التى فيها معاشنا

خصخصة التأمينات الاجتماعية

أعلن فجأة عن تشكيل لجنة فى اتحاد العمال لإعداد مشروع قانون جديد للتأمينات الاجتماعية ولأننا نعلم أن الحكومة (وزارة التأمينات) تعد هذا المشروع منذ زمن بعيد، وضمن تشريعات «تحرير» الوطن (منا) طبقا لبرنامج الإصلاح الاقتصادى، فقد ظهر جليا أن الحكومة وهى تخشى ردود الفعل المنتظرة، خاصة فى التعديلات التى ستسهل الخروج إلى المعاش المبكر وستزيد عبء التأمين على المرض وأعباء تأمينات البطالة والمصريين فى الخارج.

الحكومة وهى تخشى ذلك، وأيضا تريد أن تتملص من البنك الدولى خاصة فيما يطلبه من مطالب تحد من هيمنة البيروقراطية السياسية والتنفيذية على أموال الغلابة (مشتركى التأمينات) أوعزت إلى الاتحاد ليعد قانونا، لتستخدمه كورقة تستر عرضها، كما فعلت على مدار ثلاثين سنة مضت وستفعل.. ومع أن الاتحاد كالحكومة «المستفطى به عريان».

هذا الخبر فرصة لتقديم باقة من المعلومات الطازجة، والناطقة بالصوت والصورة.. عن الأحوال فى المحروسة وما آلت إليه، وعن إمكانيات للتأثير والتغيير لم يطأها اليسار بعد. وبصفة شخصية فإننى مدين للأستاذ د. **سامى نجيب**، استاذ ورئيس قسم التأمين والرياضيات بتجارة القاهرة ووكيل فرع بنى سويف للدراسات

حظور هذا المرصد الفلكى.. أى **تليسكوب التأمينات** الذى يمكن به أن

مصباح قطب

ترى البلد «عريانة» كما ولدتها أمها.. وتسترها بأجمل الثياب أن شئت .. وتجرسها إذا.. لكن خلينا مع الستر فهذا ما اتخذناه شعارا وطموحا.

البنك المصرى الأمريكى وميدان الصواريخ

أن تعلم أن احتياطى أموال صناديق التأمينات الاجتماعية المختلفة، والمتراكم لدى بنك الاستثمار القومى، بلغ فى ١٩٩٥/٦/٣٠ أكثر من **٥٧ مليار جنيه.**

وأن تعلم أن هذا المبلغ يفوق صافى رءوس أموال الشركات التى ستطرحها الحكومة للبيع ضمن برنامة الخصخصة، وأن بنك الاستثمار لا يملك من هذه الأموال «تعريفة» تحت يده، لأنه اقرضها بالكامل للدولة (وزارة المالية).

وأنه فى عام ١٩٩٥/٩٤ وحده حصلت الحكومة من البنك على **١٣ مليار جنيه** أغلبها أموال تأمينية تم توجيهها لتغطى ٦٢٪ من استثمارات الخطة فى هذا العام.

وأن تعلم أن صراعا يدور حول جبل الثلج المالى العائم هذا حيث يريد طرف أن يبقيه [illegible] بيروقراطيتها [illegible] آخران «يحرر» الجزء الأعظم منه لتستثمره صنادق التأمين والمعاشات بنفسها، أو عبر

شركات خاصة ويريد ثالث اتخاذ طريق وسط. وبالقطع وكما يبدو سيبرز طريق ثالث له إطار خاص. إطار يحفظ للدولة هيمنتها ويدعم اتجاه القادرين إلى عمل أنظمة بديلة والانسلاخ من نظام التأمينات القومى، الذى يفترض أنه تكافلى، وقد يحتوى هذا الإطار أيضا على «تحرير» نسبة ٢٥٪ من الأموال الجديدة تستثمر بمعرفة اتحاد العمال وفى إنشاء مشاريع سكنية.

وأن تعلم أن اشتراكات المعاشات والتى بلغت ٣٥٪ من الأجر (+٥٪ من الأساس اشتراك نظام المكافأة) هى بالورقة والقلم ضعف مايجب أن يكون حسبما قال عميد تجارة القاهرة السابق **د. صلاح صدقى.** كانت رسالة دكتوراه قد أكدت عام ١٩٧٨ أن الاشتراكات يجب ألا تزيد عن ٧٪ ، لكن لجنة المناقشة ثارت يومها ، لا لاعتراضات فنية اكتوارية، ولكن لأن «**دة حايهيج الدنيا**» . وأن تعرف أن الجنيه المعاشى انخفض بمقدار ٦٢٪ فى الفترة من ٨٧/٨٦ إلى ١٩٩٣/٩٢.

برغم زيادة المعاشات بسبب التضخم. أن تعلم مافات وغيره مما ستقدمه ليس كافيا.. إذ بالإمكان أن تعرف من خلال التأمينات كل شىء عن الأساسى (تذكر عبارة الموظفين الشهيرة : أنت أساسيك كام؟) والمتغير والاستبدال وتعويض الدفعة الواحدة وتعديل بعض أحكام نظام التأمين الاجتماعى الخاص للعاملين بالبنك المصرى الأمريكى (الحد الأقصى لأجر الاشتراك الأساسى ٣٥٠٠ جنيه ولأجر المتغير ٧٠٠ جنيه) وشراء المدد

والصور الحيابتة.

وإليكم بعض التفاصيل الإحصائية، وأترك لكم بعدها اقتراح مشروع قانون حتيقي للتأمينات بأولويات حقيقية بديلا لما يدور الآن في كواليس اتحاد العمال والحكومة.

النسبة بين أقل معاش وأعلى معاش ١ إلى ٢٠ وكانت ١ : ٩ في الستينيات

والصناديق الخاصة الجديدة (بلغ العدد نحو ٥٠٠ الآن وهي غير الصناديق البديلة إذا لاترجب التخارج من النظام القومي وإنما تسير معه)، وضم المدد وعدد الذين حصلوا على معاشات لإنهاء الخدمة، وعدد الورثة وشرائح معاشاتهم، وقرار رئيس الوزراء بالاحتفاظ للعاملين المنقولين من قطاع الميادين المركزية واختبارات الذخيرة والصواريخ التابع لشركة هليوبوليس للصناعات الكيماوية (مصنع ٨١ الحربي) بمتوسط ما كانوا يتقاضونه من بدلات في السنتين الأخيرتين (لم نعرف أين ذهبوا).

أن تعلم قواعد زيادة فئات دخول اشتراك أصحاب الأعمال ومن في حكمهم ، وتعرف حجم تهرب القطاع الخاص من التأمينات،وتعليمات حساب مدة الفصل لمن يعاد للخدمة من السياسيين بعد صدور قرارات العفو عنهم، وخبر إنشاء مكتب تأميني لصندوق العاملين بالقطاع الحكومي.. وذلك بمدينة ههيا، وعنوانه عزبة العساكرة بلوك رقم ١ بالمساكن (من يا ترى من أعضاء البرلمان استعمل هذا الخبر كإنجاز من نتيجة مساعيه؟).

إن تعرف الأوزان العمرية في البد ونسبة من هم في سن أصحاب المعاشات، بعد الستين (تدور حول ٧٪) واحتمالات المستقبل. أن تعرف أنك لو كنت في بلد ديمقراطي حقا تنبع قوانينه من الناس لنص قانون التأمينات على أن المستفيدين من المعاش من الورثة يجب أن يكونوا فقط أولئك الذين كانوا يجلسون مع المرحوم على طبلية واحدة.. أما تفتيت المعاش حاليا والذي يورث الضغائن ويهري بالجميع فهو عمل بيروقراطي جاء خبط عشواء، وتحت ستار أخلاقي زائف اسمه البر بالأقربين.

أن ترى أن النسبة بين أقل معاش وأعلى معاش تصل إلى ١ : [illegible] ٩ [illegible] **الجميع لأن** ، **وأن الدولة حتى**

١٩٧٥ كانت تضع حدا أقصى للمعاش وتترك أجر الاشتراك دون حد أقصى ليكون النظام تكافليا بحق ،و أنها بعد ذلك رفعت أجر الاشتراك وأزالت الحد الأقصى للمعاش وكأنها لتقرب التأمين القومي من نظم التأمين الخاصة.

أن تعلم أن النظم البديلة بدأت منذ ١٩٨٦ . (قبل الإصلاح كنا إصلاحيين) وهي الآن ٨ صناديق لبنوك: مصر الدولي **التجاري الدولي، قناة السويس، المهندس، العربي الأفريقي، مصر إيران، المصري الأمريكي، وشركة الاتحاد العربي للنقل البحري وقد** بلغت حصيلة هذه الصناديق في ١٩٩٥/٢/٣١ نحو مائة وخمسين مليون جنيه كما تؤكد تقارير بنك الاستثمار.

والمعروف أن القانون يلزمها بإيداع ٥٠٪ من أموالها في البنك والظن أن هذه النسبة ستقل في القانون الجديد. أن تعرف عدد حالا استبدال المعاش وطلبات صرف منحة الزواج، وأنه رغم حكم المحكمة الدستورية بصرف ٥٠٪ كمعاش عن الأجر المتغير لمن أحيلوا إلى المعاش قبل ١٩٨٧/٧/١ شأنهم في ذلك شأن من أحيلوا بعد هذا التاريخ.. أنه رغم هذا الحكم فإنه لن يطبق إلا على من يحال للمعاش في سن نهاية الخدمة (الستين) ، أما قبلها بيوم واحد فلن تحصل إلا على ملاليم في المعاش عن أجرك المتغير.

أنت تستطيع من خلال هذا العالم أن تعرف بدقة معاش الرئيس **حسني مبارك** وأنصبة أهله في المعاش بعد عمر طويل (الرئيس يحتل رقم ١٤ في نظام التسجيل القرصي وقد حالت الظروف دون نشر التفاصيل حين حصلت على هذه المعلومة عام ٨٩، وتم نقل الموظفة الجالسة على الكومبيوتر والتي اشتبه في أنها سربت البيان!!)

إنه إذن عالم زاخر ومثير وعجيب فيه والأوضاع... كما فيه الأرامل والبتامى والشيوخ والقصاير [illegible] والعجزة والعوانس والمرضى والمتبطلين. فيه الفلوس وفيه القيم

الفائدة وباب النقاش

بالفطرة أدركت الحكومة أن فتح باب **الحوار حول التأمينات وأموالها عمل خطر، فمنعت عمل مؤتمرات قومية حول هذه القضية أكثر من ٢٢ عاما،** وظل الحديث عن التأمينات يدور في غرف مغلقة، أو في دوائر نقاش محدودة على ترابيزات اتحاد العمال. **كان الخوف الأساسي عند الحكومة هو أن تستغل المعارضة أن الفائدة على أموال التأمينات كانت حتى ١٩٨٧/٧/١ أقل من نصف سعر الفائدة السائد.** أي أن الحكومة كانت تقترض من الفقراء بفائدة ٦.٥٪ وتقترض من الأغنياء ، خلال شهادات الاستثمار (وأذون الخزانة فيما بعد) بـ ١٩٪ تفعل ذلك ولاتريد لأحد أن يتفوه بكلمة، فضلا عن أن يتعرض للهيكل التأميني المصري برمته والتفاوتات داخله والضغوط التسلطية من خارجه، وأوجه قصوره التي يتورط فيها أيضا عاملون وموظفون وأصحاب أعمال.

وقد حدث في الشهر الماضي أن رفع الحظر عن الحوار حول التأمينات، فأقامت كلية التجارة بالقاهرة مؤتمرا عن **«مشاكل نظام التأمين الاجتماعي المصري»** صحيح أن الوزيرة لم تحضر الافتتاح كما كان مقررا)أوفدت مندوبا عنها) وصحيح أن الناس لم تكن لتصدق أن الحوار سيكون حرا. وصحيح أن كبت الحوار لمدة طويلة أدى إلى تغييب وجهات النظر المتبلورة والاختيارات الأيديولوجية المحددة. صحيح ذلك كله لكن المؤتمر قدم خدمة تجلت في كم المعلومات المثير في الأبحاث المقدمة ولذلك نمنه، ومن حوارات خاصة، ومن نشرة فريدة يقدمها مكتب **د. سامي نجيب** ، تدمت المعلومات السابقة، وأقدم ..

* من ١٩٩٢/٧/١ أصبح سعر الفائدة [illegible] التأمينات المماثلة [illegible] ٪ ولأن سعر الفائدة التجاري قد هبط الآن

وتقاربت النسب ، فقد بدا للحكومة انه لا حرج فى أن توارب باب النقاش حول التأمينات . غير أن المناقشات فى مؤتمر تجارة القاهرة أكدت ان ٨٪ من أموال التأمينات يبلغ سعر الفائدة عليها ٦٪ ، و١٠٪ سعر فائدتها ٨٪ ،و٢٠٪ من الأموال فائدتها ٩٪ ، والباقى ١١٪ و ١٣٪ . المفاجأة المثيرة أن مندوبة بنك الاستثمار أقسمت بأغلظ الايمان ان متوسط سعر الفائدة ١١٪ ، بينما قال اثنان من كبار موظفى ادارة الحسابات الاكتوارية بوزارة التأمينات ان المتوسط ٥ر٩٪.

* حتى ١٩٩٣/٦/٣٠ ، ظهر أنه ٥٧٪ من الحاصلين على المعاش بسبب التقاعد ، و٣٦٪ للوفاة، و٢٪ للاستقالة والفصل .. ومعنى هذه النسب ، فى ظل ان القوانين لا تعطى كامل الميزات إلا لمن بلغ سن التقاعد ، وأن هناك حاجة لاعادة الحسابات الاكتوارية لتوسيع نطاق الاستفادة من كامل المزايا.

ظهر أن لجنة مكونة من الاساتذة د. **رشدى حمام ،د. فتحى ابراهيم ود. كريم الضعيف** و د. **أحمد محرم،** ود. **محمود عبد الحميد** وهم من كبار خبراء الاكتواريات تعيد الآن تقييم «مزايا» التأمين المصرى لكن لم يعرف فى أي اتجاه وان كان من المقطوع به انها تبحث جعل أجر الاشتراك كتلة واحدة بعيدا عن اساسى ومتغير).

* **بلغت ديون القطاع الخاص للتأمينات (اشتراكات** ومبالغ **أخرى) ٣٨٩ر١ جنيه) وفى المدة من ٩٠ إلى ٩١ إلى ٩٥/٩٤ ضاع على التأمينات ٣ر١٨٣ مليون جنيه** نتيجة عدم متابعة حالات الافلاس فى **هذا القطاع ، كما ضاع عليها ٣ر٦٧١ مليون جنيه فى نفس الفترة نتيجة عدم متابعة حالات** انهاء **النشاط** أعلن هذا **عبد الحليم القاضى** مستشار اتحاد العمال للتأمينات وتوقع أن يكون **مستقبل التأمينات مظلماً** فى ظل الاقتصاد الحر وآليات السوق.

لكن وجهات نظر أخرى قدرت أن جزءا من تهرب القطاع الخاص هو «تجنب» بسبب ارتفاع عبء الاشتراكات ،وبسبب رغبة العاملين فى عدم سداد اشتراكات عن أجرهم الحقيقى ، أو حتى غير الحقيقى أحيانا

هل يحقق النظام الجديد المقترح تحقيق التكافل الاجتماعى؟

.والقنبلة ان **المشتركين بالحد الادنى للاجور فى القطاع الخاص النمطى حتى ٣٠ / ٦ / ١٩٩٤ بلغ عددهم ٧٣١ الف مواطن بنسبة ٥٢٪ من المشتركين من هذا القطاع ، كما بلغت نسبة المشتركين بالحد الادنى أيضا (هو بالمناسبة ٥٢٠ جنيه) من المصريين العاملين بالخارج ٤٠٪ من مشتركى هذه الفئة** .والمعنى ان معاش هؤلاء سيكون ملاليم فى زمن لا تنفع فيه المئات . أيضا فان مستحقى المعاشات (أحياء وورثة) من العاملين بالحكومة، والذين يقبضون أقل من ٥٠ جنيه تصل نسبتهم إلى ٧١٪ من مستحقى هذه الفئة . ويظهر من جداول تقارير هيئة التأمينات ان هناك من يحصل على أقل من ٣٥ جنيه(نسبتهم ٩ر٢٪) ،وان **من يحصلون على أكثر من ٥٠٠ جنيه نسبتهم واحد فى الألف ويوجد ٢٦ ألف طن (وريث) يتقاضى كل منهم أقل من عشرة جنيهات شهريا كمعاش)** كما يوجد من ورثة موظفى الحكومة بضعة آلاف يتقاضى كل منهم خمسة جنيهات فأقل . ازاء هذه الفسيفساء اقترح البنك الدولى ثلاث مكونات لـ «اصلاح» نظام التأمينات.

الأول: تأمين اجتماعى أساسى واجبارى تديره الحكومة ويمول من مصادر غير الايرادات العامة، ووظيفته ضمان معاش للحد الادنى اللازم للمعيشة (اقترح البنك ٧٥ جنيها للفرد) ،ويسير بنظام الموازنة السنوية ، أى بلا احتياطات كبيرة.

الثانى: نظام معاشات مهنى واجبارى يدار بمعرفة القطاع الخاص وترتبط فيه المزايا بالاشتراكات.

الثالث: نظام خاص فردي واختيارى (تكميلى) يخضع لادارة خاصة وتحت الاشراف الحكومى.

وقد رفضت السلطات المصرية هذا النظام وان كان المرء يدعو اليساريين بالذات إلى عدم اعتبار هذا الرفض بطولة، مع ضرورة قراءته قراءة نقدية، وفى ضوء أن نظم التأمينات فى دول العالم الصناعى المتقدم وهى نظم تنافسية أكثر كفاءة بالفعل وأقدر على تعبئة المدخرات الوطنية من بيروقراطية الدولة.

* عندما طرحت فكرة أن العالم المتقدم لم يعد- ومنذ الكساد العظيم -يأخذ بنظام الاحتياطات الكبيرة فى التأمينات ، على اساس ان النظام يمكن أن يمول نفسه من الاشتراكات الجديدة دائما ، وان التأمينات هى المنظومة الوحيدة الغير قابلة للتصفية أو التوقف أو الالغاء وبحكم اجباريتها واستمراريتها يمكن تخفيض الاشتراكات لتقليل الاحتياطات، أو زيادة المزايا وقيل **هنا أن الاحتياطات فى التأمين القومى فى الولايات المتحدة تغطى معاشات ثلاثة شهور فقط(فى مصر تغطى معاش سنوات وسنوات)** عندما طرحت هذه الافكار لم تلق استجابة من اغلب الحاضرين وقد قدرت ان السبب ثقافى لا اقتصادى سياسى بالأصل ذلك أننا لا نرتاح الا اذا دخلنا المجال المأمون ،وعملنا فيه لزوميات لا تلزم لزيادة الامان (لاحظ كيف يضع الناس ضعف كمية حديد التسليح المطلوبة فى مبانيهم الخاصة) .ويتصور الناس ان الاحتياطات لو قلت فانهم سيصبحون عرايا فى شارع عام،وقد يأتى يوم قريب لا يجدون ما يقبضون منه معاشاتهم .

طبعا توجد اسباب اخرى لرفض مثل هذا الاقتراح بعضها «دولتى» -من رجال السلطة- وبعضها له ارتكازات اجتماعية اقتصادية مختلفة عن المنظور الليبرالى للتأمينات.

* حتى الآن فان من يخرج إلى المعاش مبكرا يقل معاشه عن الاجر الاساسى بنسبة ١٠٪، وعن المتغير بنسبة ٥٠٪ عن زميله الذى يحال إلى التقاعد فى السن . واذ تسعى الدولة لتغيير هذا الوضع (وضع سياسى كان يهدف لربط العامل بالشركة والآن الحكومة عايزة تطفّش العمال) اعلنت ان التكلفة ستتجاوز ٢ مليار جنيه . بالطبع

ظاهريا يبدو ان المالية تقدم ميزة للناس وتدفع من جيبها والواقع انها تصحح خطأ قال، كما أنها تدفع النزر اليسير قياسا إلى الأموال الرهيبة التي اقترضتها من اصحاب الاشتراكات عبر بنك الاستثمار منذ ١٩٦٤ وحتى الآن.

* في ٩٣ / ١٩٩٤ بلغت قيمة عمليات استبدال المعاش ١٧٧ مليون جنيه، وهي عمليات معقدة بيروقراطيا وقليلة الجدوى لكن ليس أمام المهدودين سواها لمواجهة طوارئ حياتهم.

* حتى ٣٠/ ٦/ ١٩٩٤ بلغ عدد المؤمن عليهم من الجهاز الاداري للدولة والهيئات العامة (**١٣٫٦٢ مليون فرد**) ومن القطاعين العام والخاص **٥٫٣٥ مليون فرد** (كل من سبقوا يشملهم القانون ٧٩ لسنة ١٩٧٥) ويبلغ عدد المؤمن عليهم من اصحاب الأعمال ومن في حكمهم **١٫٥٠٢ مليون مواطن** (قانون ١٠٨ لسنة ٧٦) والمؤمن عليهم من المصريين بالخارج **٥٦ ألف** (قانون ٥٠ لسنة ٧١) والمؤمن عليهم بالقانون ١١٢ لسنة ١٩٨٠+ الفئات الآخرى أصحاب معاش السادات وغيرها **٥٫٣٥٥ مليون مواطن**، والجملة **١٥٫٨٨٩ مليون مواطن**، والمعنى ان اعدادا هائلة من المصريين لا زالت خارج التأمينات وقدر د. محمد المهدي محمد علي أن أكثر من نصف السكان في سن العمل غير مؤمن عليهم واعتبر د. المهدي ان سن العمل هو ١٥ سنة وقد أثبت أيضا بصفة خاصة أن نحو ٧٥٪ ممن يخضعوا لقانون ١١٢ ، قانون صغار الفلاحين والسريحة غير مؤمن عليهم وان حوالي ٦٨٪ من اصحاب الاعمال أيضا غير مؤمن عليهم.

* عدد الصناديق الخاصة في ٣٠/ ٦/ ١٩٩٤ بلغ ٤٧١ صندوق، وكان العدد ٣٠٠ في ٨٩/ ٩٠ . وخلال هذه المدة تم شطب ١٩ صندوق بمعرفة الهيئة العامة للرقابة على التأمين التي يتم تسجيل الصناديق لديها . المهم ان مصادر تمويل الصناديق في ٩٣ / ٩٤ كانت كالتالي : ٤٠١٫٦ مليون جنيه من الاشتراكات ، و١٨٣٫٧ مليون جنيه مساهمة من جهات ، و٣٧ مليون جنيه ريع استثمار ، و٥٫٦ مليون من مصادر أخرى .وما أريد قوله ان حالة شعور بالغبن تسود في أوساط شركات وهيئات وجهات كثيرة ، تريد أن تقيم صناديق ، أو هي اقامت بالفعل ، لكنها لا تجد مساهمات بقدر كاف ، أو لا تجد اصلاً ، من الجهات التي يعمل فيه راغبوا اقامة الصندوق .. قد يكون لأن هذه الجهات خاسرة أو مخسرة أو تم بظروف طارئة أولها طبيعة خاصة .ومثل هذا الأمر يوجب ايجاد آلية للتكافل داخل هذه الآلية (الصناديق الخاصة) بحيث لا يحرم الناس من مميزات دون اسباب جنوها. ولا ننسى ان المساهمات التي تقدمها جهات عامة هي في الأصل مال عام مملوك لكل المصريين.

تساءل د. علي محمد حسن: ماذا بعد ان تنتهي مهلة السنوات الثلاث الممنوحة للشركات المخصصة للتخلص من العمالة التي ترى أنها زائدة.. ما تأثير ذلك على نظام التأمين الاجتماعي؟ وأيضا : في اطار الجات والشراكة مع الاتحاد الأوروبي هل هناك امكانية لخروج أموال التأمين الاجتماعي لاستثمارها في الخارج بالمشاركة مع شركات أموال دولية؟ ما هي محاذير هذا الخروج ؟ ماذا عن وقوع المؤمن عليهم والمزايا المكفولة لهم تحت سيطرة رأس المال الدولي وعدوانيته؟ **هل البنك الدولي يستهدف بالدعوة إلى خصخصة النظام التأميني وفصل امواله عن الدولة إلى مساعدة الفقراء من اصحاب المعاشات والمستحقين عنهم ام يهدف إلى ضرب مصدر من مصادر الدخل القومي؟.**

اسئلة بلا اجابات ، لكن د. **علي محمد** اقترح خصخصة نظام التأمين على اصحاب الأعمال ومن في حكمهم والمصريون في الخارج مثلا لأنهم غير مقتنعين بجدوى النظام القائم الاجباري حاليا وقد انعكس هذا على اشتراكهم فيه بالحد الادنى فقط درءا للمسئولية ، فضلا عن ان هذا هو النظام الذي - يجب ان يكون فيه الاشتراك اختياريا فهنا اجدى لهم وأفضل. عند هذا الحد رفعت الاقلام .. وجفت الصحف.. والمجلات وظهرت إلى حد بعيد ملامح صورة المجتمع التأميني ،وبقى ان نقول : ما هو النظام المقترح هنا ليحقق الاهداف الثلاث الرئيسية لأي نظام تأمين قومي وهي **:تعويض الدخل ، تعويض الخطر، اعادة توزيع الدخول وتحقيق التكافل الاجتماعي.**

الاجابة عندكم.

ملحوظة: عنوان الموضوع مأخوذ من دعوة لخطباء مساجد الأرياف يوم الجمعة تقول: وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا



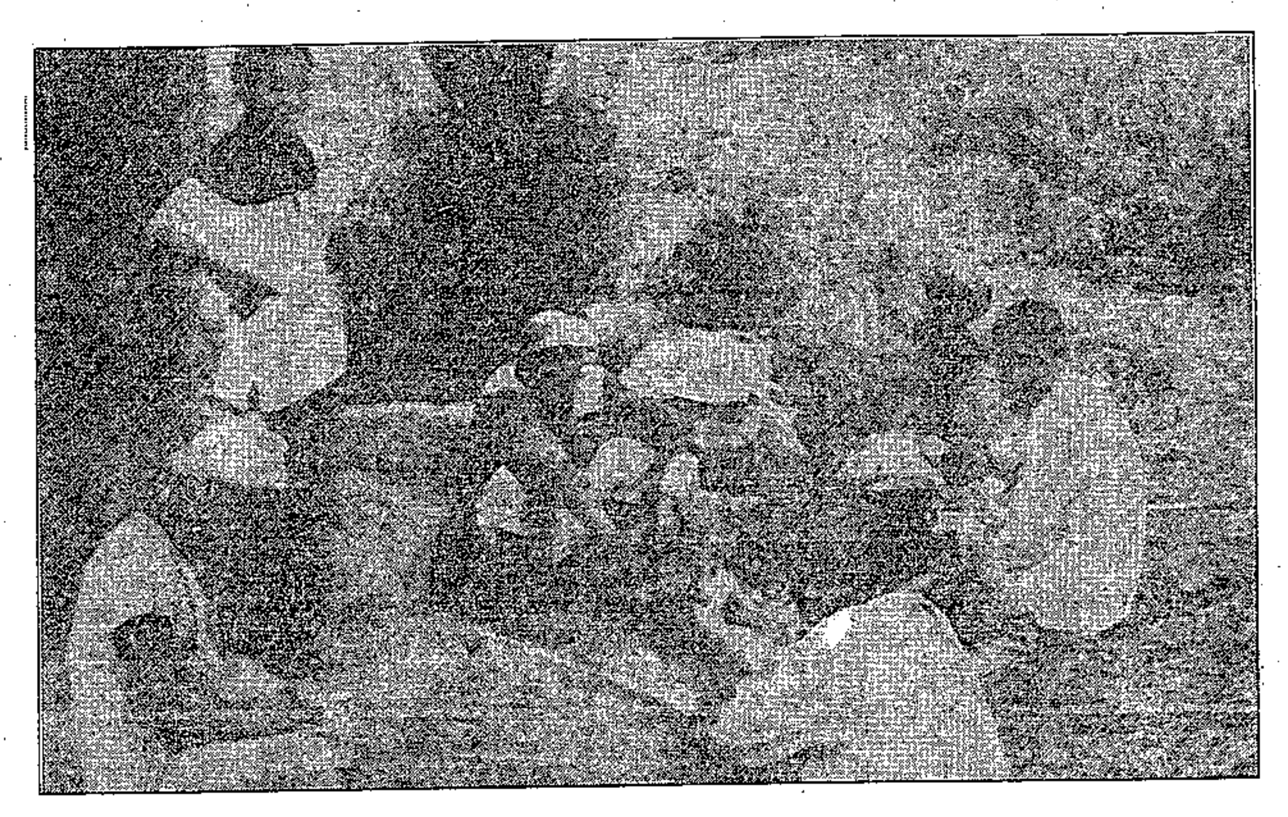
خالد محمد خالد

«إن هذه العقود التى تبرم بين المالكين والمستأجرين لتحمل بين سطورها أشنع مأساة.

فهى صكوك موت يوقعها الفلاح وهو كاره صاغر»

خالد محمد خالد كتاب «من هنا نبدأ» -عام ١٩٥٠.

ليس دفاعا عن المستأجرين .. بل حرصا على مصر



عريان نصيف

لم يكن المفكر خالد محمد خالد يتخيل- حين سطر هذه الكلمات / المرقف فى عهد الملكية وكبار ملاك الأراضى- أنه سيأتى بعد ما يقرب من النصف قرن على انتهاء ذلك العهد، وقت يصبح فيه أمل الفلاحين ينحصر فى مجرد أن تستمر عقود الايجار- أياما كان ما تحمله من صور الاستغلال- بدلا من طردهم من الأرض التى خصبت وأعطت نماءها لمصر كلها -على مدى التاريخ- بدمهم وعرقهم [illegible]

قانون الاصلاح الزراعى والعلاقة المتوازنة

كان قانون الاصلاح الزراعى المصرى (المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢) شديد المرونة فيما يتعلق بقضية العلاقة الايجارية. فلم يقم بتصفية ملكية الملاك الغائبين (الذين لا يبذلون أى جهد فى العملية الانتاجية الزراعية بأنفسهم أو بالاستثمار)، كما فعلت الكثير من الدول -مع اختلاف أنظمتها الاقتصادية والسياسية- ومنها اليابان الرأسمالية فى ظل الاحتلال الأمريكى، ولكنه اقتصر على ضمان حق المستأجر فى البناء بالأرض، مقابل حق المالك فى الحصول على ريع ملكيته.


جمال عبد الناصر

٦ مليون مواطن ينضمون إلى جيش البطالة
بعد تنفيذ قانون طرد المستأجرين

- ولم يكتف القانون بذلك، بل قرر بنصوص صريحة حق المالك فى طرد المستأجر من الأرض فى الحالات التالية:

١- تأجير المستأجر للأرض من الباطن أو التنازل عن الايجارة للغير أو مشاركته فيها (م/٣٢).

٢- الاخلال بأى التزام جوهرى يقضى به القانون أو العقد (م / ٣٥).

٣- التخلف عن الوفاء بالأجرة كلها أو بعضها عن السنة الزراعية بأكملها أو بأى جزء منها (م/ ٣٥).

٤- اذا زادت حيازة المستأجر أو ملكيته - هو وزوجته وأولاده القصر- عن خمسة أفدنة بخلاف المساحة المطلوب انهاء عقد ايجارها ، فى الوقت الذى لا تزيد فيه حيازة المؤجر أو ملكيته- هو وزوجته وأولاده القصر- عن خمسة أفدنة أو عن نصف ما بحوزة المستأجر. (م/ ٣٥ مكرر).

ولقد ترتب على ذلك الوضع المرن- والعلاقة المتوازنة -أن حظى الريف المصرى بقدر كبير من الاستقرار النسبى ،كان له انعكاسه إيجابا ليس فقط على حياة الفلاحين والناتج الزراعى، بل وأيضا على واقع المجتمع المصرى بأسره .

التعديل كان ضرورة اجتماعية ، ولكن..

بعد مرور عشرات السنين على صدور [illegible] التى لحقت بالمجتمع المصرى- قامت مشاكل حقيقية جادة وحادة بين الملاك والمستأجرين تستوجب ضرورة إجراء بعض التعديلات على قانون العلاقة الايجارية.

* فالملاك -وخاصة صغارهم- يشكون من ضآلة القيمة الايجارية ،ومن حرمانهم -فعليا- من التصرف فى أرضهم بالبيع.

* والمستأجرون يعانون من تحايل الملاك على طردهم من الأرض- مصدر دخلهم الوحيد- بوسائل مختلفة يشوب أغلبها التدليس وعدم المشروعية.

وبدلا من محاولة الاستبيان الحقيقى للواقع الفلاحى والزراعى فى هذه المرحلة، وإجراء التعديلات على ضوء الموازنة بين مصالح كل من الملاك والمستأجرين من ناحية، والحرص على الانتاج الزراعى والاقتصاد القومى من ناحية أخرى، بدلا من ذلك، صدر القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٢.

ولعل أهم ما تضمنه هذا القانون ، يتمثل فيما يلى:

١- رفع القيمة الايجارية من ٧ أمثال الضريبة العقارية إلى ٢٢ مثل هذه الضريبة.

٢- إقرار حق المالك المؤجر- بارادته المنفردة- فى اخلاء المستأجر من الأرض، اعتبارا من العام الزراعى ٩٦ / ١٩٩٧.

ومع معاناة المستأجرين- وتحفظاتنا -على رفع القيمة الايجارية بهذه الصورة الكبيرة والمباغتة، وخاصة مع اقتران ذلك بالارتفاع الرهيب والمتوالى لقيمة مستلزمات الانتاج الزراعى وفقاً لسياسات ما يسمى بتحرير الزراعة ورفع الدعم عن هذه المستلزمات وتركها -بالكامل- للتحكم الشرس من قبل آليات السوق السوداء ، بعد التصفية [illegible] الخطر الكبير إنما يتمثل فى إقرار طرد المستأجرين من الأرض، بكل ما يعنيه من اهدار لحياة المستأجرين ،ومن مخاطر مستقبلية على صغار الملاك،ومن تدهور متوقع للانتاج الزراعى والدخل القومى.

أولا: بالنسبة للمستأجرين

وفقا للأرقام المستقاة من مصادر الاحصاء الرسمية،والواردة بمشروع الحزب الوطنى الحاكم لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأرض الزراعية، والمنشور بملحق مجلة«الأهرام الاقتصادى» فى ٢٤ فبراير ١٩٨٦.

يتبين ما يلى:

ومع مراعاة أنه فى خلال العشر سنوات الأخيرة:

-زاد عدد العقود والمستأجرين ، بفعل عامل الوراثة لكل من الملاك والمستأجرين.

-فقدت الأرض الزراعية- وفق الاحصاءات الرسمية- ما بين ٦٠٠- ٧٥٠ ألف فدان، بالتجريف والبناء.

- أصبح المستأجر- بعد انتشار البطالة وعدم تعيين الخريجين -يعول من قيمة العملية الايجارية ، أربعة افراد على الأقل.

فإنه يجب أن ندرك جيدا، أنه من خلال نفاذ هذا القانون ، سوف يقذف بأكثر من ٦ مليون مواطن منتج- يزرعون حوالى ٣٣٪ من الأرض الزراعية المصرية -إلى الظلام، حيث أنهم -بخلاف الأغلبية الساحقة من الملاك- ليس لهم أى مهنة أخرى سوى الزراعة ولا يملكون أى دخل سوى من عملهم بها، بما سيزيد -بنسبة هائلة من تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ليس فى الريف فحسب، بل فى مصر كلها .

ثانيا: بالنسبة لصغار الملاك

بصغار الملاك الزراعيين ، ويجعل من الحرص على مصالحهم المهدرة مبررا لعملية الطرد ، فان الواقع -الاحصائى والاجتماعى- يكذب هذه المقولات، بل يؤكد أن هذا القانون-فى جوهره- يضر بالمصالح الحقيقية لصغار الملاك.

فوفقا لآخر الاحصاءات المتاحة ، يتبين ما يلى:

- جملة الملاك الزراعيين فى مصر حوالى ٣ مليون ، ٣٩١٠ ألف مالك.

-عدد صغار الملاك (٥ أفدنة فأقل) منهم ، يبلغ ٣ مليون ، ٢٢ ألف مالك.

-نسبة من يؤجرون أرضهم من صغار الملاك تتراوح وفق الاحصاءات المتباينة - بين ٦٪ -٧٨٪ ، من جملتهم.

- نسبة من لا يستطيعون من صغار الملاك المؤجرين لأرضهم، زراعتها بأنفسهم أو بالاستثمار ، أكثر من ٩٥٪ (وفقا لدراسات ميدانية تم القيام بها فى العديد من القرى سواء بوجه بحرى أو الصعيد).

.. ومعنى ذلك

أن هذا القانون ، وان كان بالرؤية السطحية -وعلى المدى القريب - يمكّن صغار الملاك- بعد طرد المستأجرين -من التصرف فى أرضهم والمزيد من التكسب منها، إلا أن واقع الأمر على خلاف ذلك.

* فالغالبية الساحقة منهم- كما سبق- لا يمكنهم زراعة أرضهم بيدهم أو باستغلالها رأسماليا ، لامتهانهم لأعمال أخرى، ولاقامة أكثرهم خارج القرى ، بالاضافة إلى الارتفاع الكبير فى نفقات الانتاج الزراعى.

* والمضاربة الحالية على سعر الأرض الزراعية- اغراء لهؤلاء الملاك لبيع أرضهم الخالية من المستأجرين انما هى عملية مؤقتة تم تمريرها بذكاء خبيث تمهيدا لصدور القانون - ثم نفاذه - وتنسحب بعد ذلك الأرقام الفلكية التى وصل إليها سعر الأرض ، لتعود -وفق القواعد الاقتصادية إلى معدلاتها الطبيعية ، إن لم تنخفض عنها.

.. ولا يملك المالك الصغير ، حيال هذه الأوضاع شديدة التركيب سوى بيع الأرض وبسعر منخفض خاسرا بذلك موردا للدخل كان يساعده على مواجهة أعباء الحياة.

ثالثا: بالنسبة للانتاج الزراعى والاقتصاد القومى

عندما تصبح الأرض الزراعية خالية من المستأجرين -وفق هذا القانون- وبعد أن ينخفض سعرها- كما سبق- سيتم شراؤها وتجميعها لحساب الشركات الاستثمارية الكبيرة، التى لن تراعى -بطبيعة الحال- زراعتها بالمحاصيل التقليدية والاستراتيجية الضرورية لغذاء الشعب أو اللازمة للصناعات الوطنية، ولكن سيتم استثمارها بالمحاصيل التصديرية وغير التقليدية ذات الربحية الأعلى ، بما سيضاعف من حجم الفجوة الغذائية ، **بكل ما يعنيه ذلك من مخاطر على الأمن** القومى المصرى ،اقتصاديا وسياسيا أيضا.

.. والحل موجود

طالما أن القضية -كما تبين- ليست قضية انحياز لفئة المستأجرين فى مواجهة الملاك الزراعيين،وليست أيضا قضية مواجهة من المعارضة للسياسات الحكومية، ولكنها -بالأساس- قضية وطنية تمس فى الجوهر مصالح الوطن والمجتمع ،. فإننا : *نأمل -ونثق- فى أن المؤسسات الفلاحية(كالاتحاد التعاونى الزراعى ،واتحاد الفلاحين) وكذلك قوى اليسار(التجمع والناصريين والشيوعيين) ، سوف يكثفون من حركتهم السياسية والجماهيرية والبرلمانية والاعلامية ، لايقاف هذه الكارثة المحدقة.

* ونأمل -ونثق- أيضا فى أن كافة القوى والمؤسسات والشخصيات الحريصة على مستقبل مصر وأمنها الاقتصادى والسياسى -أيا كان تباين رؤاهم الفكرية أو انتماءاتهم السياسية والحزبية أو معارضتهم أو تأييدهم للحكم- سوف يحولون دون أن تتحول هذه المخاطر ، إلى واقع اجتماعى مظلم.

* والحل -البديل- قابل للتحقيق بسهولة ، وهو:

انشاء صندوق حكومى ، يقوم -حال رغبة المالك فى بيع أرضه المؤجرة - باقراض المستأجر بقيمتها، بما يمكنه من شرائها ، على أن يقوم- هو أو ورثته بسداد قيمة هذا القرض على أقساط طويلة الأجل، وبفوائد ميسرة.

إن هذا الحل/ البديل ، ليس كفيلا فقط بتجنيب المستأجرين وصغار الملاك والناتج الزراعى المخاطر التى سبق ايضاحها ، ولكنه كفيل أيضا بتقديم فوائد محققة لكل الأطراف:

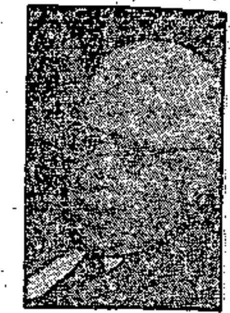
* فالمستأجر -وفقا لهذا الاقتراح -ليس فقط لن يطرد من الأرض،ولكنه أيضا سيصبح مالكا.

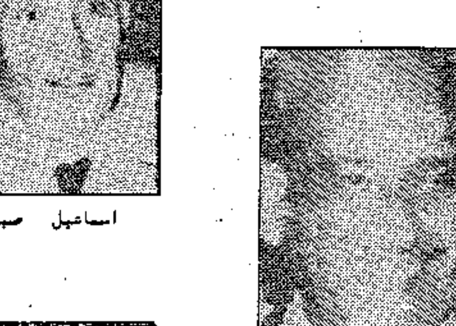
* والمالك سيتمكن -دون أى عوائق- من بيع المساحة المؤجرة التى يرغب فى التصرف فيها وبسعر السوق.

* والمال العام- من خلال هذا الصندوق -سوف يتزايد ،بفوائد القروض وبدورة رأس المال.

ولعلنا جميعا- فى الشهور القليلة الباقية -نكون قادرين على تجنيب فلاحى مصر ومجتمعها كله من الترديات المتوقعة فى الوقت الذى لم نعد فيه نستطيع تحمل المزيد من المعاناة.

الايجار	المساحة المؤجرة	النسبة للمساحة المنزرعة	عدد العقود
النقدى	١٣٣و٤٦٩ر١ فدان	٢٤.٠٤٪	٧٣٣و١٨٨و١ عقدا
المزارعة	٩٦٦و٢٧٤ فدان	٤٫٤٩٪	٢١١و١٠٩ عقدا
الجملة	٩٩.ر٧٤٤ر١ فدان	٢٨٫٥٣ ٪	٩٤٤و٢٩٧و١ عقدا


عصمت عبد المجيد


اسماعيل صبري


عبد المجيد فريد


جيرمان دنيس



يوسف والي

عبد السلام جمعة

هوامش على ندوة :

الحبوب والماء .. والقرار السياسي

استمرارا للدور الفكري المهم الذي يقوم به مركز الدراسات العربية بلندن -برئاسة الأستاذ **عبد المجيد فريد**- منذ تأسيسه عام ١٩٧٩ ، فقد أقام ندوة دولية بالقاهرة يومي ٣٠ و٣١ مارس ١٩٩٦ حول قضية الحبوب الغذائية والمياه وارتباطها بالقرار السياسي.

ولأنه من العسير تقديم تلخيص لمثل هذه الندوة المهمة، نستكتفي «**اليسار**» بعرض بعض ملامحها وتوجهاتها الرئيسية.

أولا: أهمية هذه الندوة:

١- من حيث التوقيت: مع الاعداد للمؤتمر الدولي الخاص «**بتأمين الغذاء للجميع**» المقرر عقده في مدينة روما في شهر نوفمبر من هذا العام ، فكان من المهم عقد مثل هذه الندوة، أملا في الوصول- من خلالها- إلى توجه عربي مشترك قبل المؤتمر.

٢- من حيث الأوراق المقدمة: فقد تضمنت رؤى علمية واقتصادية لقيادات نظرية وتنفيذية - محلية واقليمية ودولية- على أعلى المستويات في هذا المجال.

٣- تقديم دراسات حالة- في قضايا المياه والحبوب وارتباطهما بالقرار السياسي- من أربع دول عربية : مصر، سوريا، المغرب، والسعودية.

٤- حرص المركز على دعوة وحضور عدد كبير من الخبراء -نظريا وتطبيقيا- في هذا الموضوع من مصر وكافة الأقطار العربية والدول الخارجية.

ثانيا:- رؤى مختلفة لقضايا مهمة:

* الفجوة الغذائية

* في الوقت الذي يرى فيه السيد **جيرمان دنيس**- المدير التنفيذي لمجلس الحبوب الدولي- في الورقة المقدمة منه في الندوة، أن هنالك ثلاثة عوامل كفيلة بالحل الجذري لمشكلة الأمن الغذائي للدول النامية، هي :

١- تدبير العملات الأجنبية الكافية لشراء ما تحتاجه من الغذاء.

٢- العمل على أن نتمكن من التعامل بالأسعار العالمية.

٣- إعطاء أولوية لزيادة المخزون من الحبوب.

* فالدكتور عبد السلام جمعه- المشرف

على برنامج تنمية القمح بمصر- ينتقد هذه الرؤية للدكتور دنيس ، من المنطلقات التالية:

١- إن هذا التوجه يعنى تكريس الاعتماد على الخارج.

٢- تجاهل هذه الرؤية لواقع أن سوق الحبوب الدولى- وخاصة القمح- لا يتحدد وفق تدبير العملات الأجنبية، بقدر ما تتحكم فيه الاهداف السياسية التى تبتغيها الدول البائعة من الأخرى المشترية.

٣- على الدول النامية- بدلا من ذلك- توجيه اهتمامها لزيادة القدرة الوطنية على إحداث تنمية زراعية تؤدى إلى زيادة إنتاج الحبوب وخفض الواردات منها.

* تجارة المياه

* البروفيسير أنتونى آلن- استاذ ورئيس مجموعة المياه بجامعة لندن، يذكر - بانتقاد- فى ورقته العلمية / السياسية أن «مستخدمى المياه والمسئولين عن إدارتها فى الشرق الأوسط وشمال افريقيا ، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة- لم يسترعبوا بعد القيمة الاقتصادية للمياه، فلا توجد نظم أو مؤسسات تقدر فيها قيمة المياه بالنسبة للمستهلك وخاصة فى مجال الزراعة الذى يعتبر أكثر القطاعات استخداما للمياه ، وأن هناك عددا قليلا جدا من اسواق المياه فى هذه المنطقة.

* بينما يقرر د. اسماعيل الروبى- الخبير المصرى فى المياه والمستشار بهيئة الأمم المتحدة- فى مداخلته على هذا الرأى:«لقد تسللت إلى لغتنا المائية فى المنطقة العربية فى السنوات الأخيرة تعبيرات دخيلة علينا وتحمل توجهات ضارة بنا، مثل«تجارة المياه، خصخصة المياه، تسعير المياه... الخ»«فالمياه من عند الله ولجميع أبناء الوطن ،وليست للبيع فى السوق الداخلى لمن يملك ثمنها . بالاضافة إلى أن هذا التوجه- بالتقييم الاقتصادى للمياه وقيام أسواق لها- قد يكون مستهدفا- كما يلاحظ من الالحاح على ذلك فى الكثير من البحوث والدراسات والتحركات الواردة من احدى الدول الكبرى -إلى التجارة الدولية للمياه بما فى ذلك تحكم دول المنبع للأنهار فى مياهها».

ثالثا: كلمات .. ذات دلالة:

* «الأمن الغذائى والمائى العربى محور رئيسى للأمن القومى العربى، بما يفترض معه

د. عبد السلام جمعة ينتقد رؤية مجلس الحبوب الدولى لمشكلة الأمن الغذائى فى البلاد النامية

الأمن الغذائى والمائى محور رئيسى للأمن القومى برغم كل الخلافات العربية

ضرورة الموقف العربى المشترك ، مهما كانت الخلافات العربية / العربية ، سواء بالنسبة لوضع سياسات الاعتماد على الذات فى توفير الغذاء، درءاً لمخاطر استخدام الغذاء، كأداة لممارسة الضغوط السياسية أو الاقتصادية ، أو بالنسبة لتمسكنا بحقنا المائى -المتفق مع قواعد القانون الدولى ومقررات هلسنكى -فى مواجهة خطة الاستيلاء على مصادر المياه».

- من كلمة د. عصمت عبد المجيد- الأمين العام لجامعة الدول العربية

* «إن التطور الكبير فى الانتاج الزراعى فى مصر، فى الخمس عشرة سنة الأخيرة ، يرجع -بعد الله سبحانه وتعالى-إلى الولايات المتحدة الأمريكية التى تتعامل مع مصر كدولة «توأم» لها ، بخلاف تعاملها مع باقى الدول، سواء بتقديم المعونة الأمريكية المباشرة بالملايين ، أو بتقديم أرقى تكنولوجيا متقدمة للزراعة المصرية ، وكانت النتيجة هى المعجزة التى حدثت فى الانتاج الزراعى فى مصر».

- من كلمة د. يوسف والى -نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الزراعة

« إن أكثر من ٤٤٪ من جملة الاحتياجات الغذائية من القمح، ونحو ٢٩٪ من جملة احتياجات الأرز، وحوالى ٤٣٪ من جملة الاحتياجات الغذائية من الحبوب الخشنة الأخرى ، رهن بما يحدث فى السوق الدولية للحبوب ، الأمر الذى يمثل مهددا اقتصاديا خطيرا فضلا عن كونه مهددا أمنيا، لتركز تجارة الصادرات فى عدد من الدول المتقدمة اقتصاديا والقادرة على استخدام تجارة الحبوب -وبخاصة القمح- كأحد عناصر الضغط السياسى عندما تقتضى مصالحها ذلك».

-من ورقة د.محمد حمدى سالم -المستشار الاقتصادى لوزارة التموين المصرية.

* «الموضوع الرئيسى الذى يشغل وسائل الاعلام الآن ، هو التكامل الشرق أوسطى والذى يشمل إيران واسرائيل وتركيا ويستبعد السودان الذى كان مرشحا ذات يوم لأن يكون سلة الغلال للعرب. غير أن ما يبعث على القلق بوجه خاص هو حقيقة انه ليس باستطاعة بلد عربى واحد أن يحقق بمفرده أمنا غذائيا حقيقياً، على حين أن هذا الهدف يمكن بلوغه اذا ما تصدى أعضاء جامعة الدول العربية معا لهذه المهمة».

-من ورقة د. اسماعيل صبرى عبد الله- رئيس منتدى العالم الثالث.

*« إن المحور الرئيسى الذى يجب ألا يغيب عنا فى مصر- ونحن بصدد وضع الأسس التى تمكننا من تقليل فجوة الحبوب ، وخاصة القمح- هو العنصر البشرى .. الفلاح المنتج. بما يعنيه ذلك من:

- دعم الحركة التعاونية الزراعية بما يمكنها من حماية الفلاح من شراسة آليات السوق التى تتحكم فى العملية الانتاجية الزراعية فى كل مراحلها.

- خلق آليات قانونية ومصرفية قادرة على الموازنة بين حصول الملاك على ريع الأرض- رغم غيابهم عن الانتاج- وتمكينهم من التصرف فى أرضهم، وبين حق المستأجرين المنتجين فى الاستمرار فى الأرض.

-الرعاية الاجتماعية- الحقيقية والجادة- للفلاحين .. صحيا وتعليميا وتموينيا وضريبيا وثقافياً».

- من مداخلة عريان نصيف- مستشار اتحاد الفلاحين المصريين.



الهرولة نحو الثيوقراطية

خليل عبد الكريم

بادئ ذي بدء نعني بالثيوقراطية : الحكم الذي تكون فيه مقاليد السلطة والقوة بيد رجال الدين الذين يحكمون بالحق الالهى المقدس بادعاء أن روح القدس قد حل فيهم وان المرجعية الاولى والاخيرة إليهم وحدهم لانهم دون سواهم يعبرون عن إرادة الله .

كانت مصر حتى قرابة عقدين من الزمان مضيا تعيش مجتمعا مدنيا أو قديبا منه، كان للدين فيه مكان محسوب بدقة .كانت لأصحاب العمائم البيض والسود على السواء وضعية معينة لدى القاعدة العريضة تصورها الامثال الشعبية وتظهر في خيال الظل والاراجوز والمسرحيات والافلام.

ومن دلائل مدنية ذلك المجتمع ان ماكان يهزه هو موت زعيم سياسي (مصطفى كامل/ محمد فريد/ سعد زغلول/ مصطفى النحاس/ جمال عبد الناصر) أو مفكر أو أديب أو شاعر (حافظ/ شوقى/المنفلوطى/ العقاد/ طه حسين/بيرم التونسى) أو فنان (سيد درويش/ نجيب الريحانى/ يوسف وهبى/ اسماعيل ياسين/ أم كلثوم/ عبد الوهاب/ عبد الحليم).

ولكن وفاة الشيخ جاد الحق - رئيس شئون التقديس - السابق الى رحمة الله في منتصف مارس الماضى كانت مؤشرا صارخا لا يخفى عن عين المراقب يثبت أن تغيرا خطيرا حدث في المجتمع المصرى.

فقد بادر رئيس الجمهورية باصدار بيان عدد فيه مناقب الفقيد وصور قدره لديه ،تحدث فيه عن المرجعية التى يمثلها، ولم يكتف بذلك بل أناب ناظر نظاره ليتقدم مقدم المشيعين لجنازة الشيخ ومعه الوزراء والمحافظون والضباط العظام والمديرون والمستشارون والمتنفذون والسفراء والعمداء والنقباء....

وفى المساء سارع هؤلاء بكامل بجاتهم وأبهتهم الى السرادق الباذخ الذى استحل الجامع المتسق أن يقيمه على حساب دافع الضرائب المسحوق في حين أن تركة الشيخ لا تقل عن مليون جنيه!!!أ.د) لتقديم "فروض" العزاء لأصحاب العمائم البيضاء الذين فطنوا الى مغزى هذه (المظاهرة)فقابلوهم بقدر واضح من الشموخ والاستعلاء والقلاطة (فى المعجم الوسيط: القليط الأدرة وهى الخصية المنتفخة.أ.د.) وانتهزوا الفرصة فاخذوا يدلقون سيلا من البيانات والتصريحات التى تشيد بالشيخ ومقصود بداهة : الرمز الذى كانه.

ولم يترك أصحاب العمائم السوداء - وهم لا ينقصهم الدهو ولا

بالكلام المنمق المعسول ومن الطريف أن فرعى العمة السوداء (الاستقامى والاحتجاجى) تسابقا في هذا المضمار!!!

ولم يقف الأمر عند هذا الحد اذ أخذ عدد ممن يسمونهم (مفكرين) (ومنهم من ركب الموجة الاسلامرية خلال هذين العقدين.أ.د.) يدبج المقالات ويكتب العواميد والمربعات والمخمسات ويلوكون الاحاديث والحوارات... في غالبية الصحف قومية أو حزبية أو مجهولة الهوية لا ندرى من يمولها ؟ يبرزون صفات الشيخ ومواهبه ومواقفه (مثل موقفه البطولى من مؤتمر بكين بخصوص حقوق النسوان..!!!

ومن نافلة القول أن نذكر أن هذه الكتابات تحمل معنى معلنا وصريحا هو إعلاء قيمة الفكر الذى يمثله الشيخ غفر الله لنا وله ،أنه شغل أو يجب أن يشغل مساحة وسيعة من فضاء مصر المحروسة، بل يتعين أن يهيمن عليه كله، ومن المدهش أن يجئ على رأس هذه الجوقة وزيران سابقان أحدهما ل "الإعلام" والآخر ل "الثقافة" - اى والله الإعلام والثقافة معا!!!

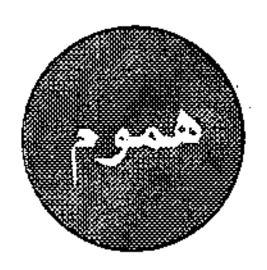
ورغم أن ما سردناه حتى الآن من مفردات لائحة أحداث مابعد وفاة الشيخ مهول ويدير الرأس فقد وقع ما يوازيه في الفداحة.

ففى الايام التالية تسابقت الوزارات والجامعات والكليات والمعاهد والشركات والغرف التجارية والمؤسسات والأيئات (في القاموس المحيط: الأيأة هى الهيئة معنا وزناً. أ.د)والبنوك والنوادي الرياضية والنقابات المهنية والعمالية والجمعيات العلمية والمكاتب الهندسية والمقاولون ومكاتب التصميمات الاستشارية والمجلس الأعلى للشباب والرياضة ونادى قضاة مصر وهيئة قضايا الدولة وهيئة النيابة الإدارية والهيئة القومية لمياه الشرب والصرف والجهاز المركزى للمحاسبات والاتحاد العام لنقابات مصر والمجالس التشريعية والمجالس الشعبية ،المحلية والقروية...الخ تبارت في نشر تعازيها في الصحف حتى ان جريدة الأهرام يوم ١٨ مارس ١٩٩٦ ضاعفت صفحات الوفيات وهو مالم يحدث منذ سنوات.

هؤلاء جميعهم مدنيون لا صلة لهم ب (المقدس) لا عن قرب ولا عن بعد، ومعلوم أن الشخص طبيعيا كان أو معنويا لا يعزى الا فى من يراه أثيرا لديه أو ذي مكانة مرموقة.

والشيخ جاد الحق - رحمه الله - لم يكن من شيوخ الأزهر اللوامع مثل مصطفى عبد الرازق أو محمود شلتوت طيب الله ثراهما - ولم يخلف انتاجا علميا رصينا أو قيما اذن لابد أن غياب (رأس شئون التقديس)شكل لدى هؤلاء المرزئين (بكسر الزاى والمرزئة عكس التهنئة.أ.د) ان فى لا شعورهم أو فى شعورهم كارثة قومية حركت

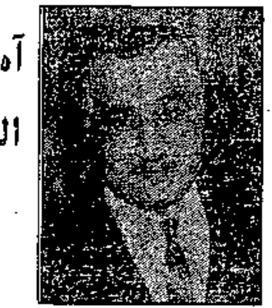
نحو الثيوقراطية.



حكايات عن المدارس والتعليم

د. أحمد محمد صالح





آه .. لو عرف الزعيم

عندما حان وقت دخول أطفالى المدارس ، قررت عدم إدخالهم مدارس الحكومة حتى لا تزداد كثافة الفصول وإتاحة الفرصة لغيرى طالما أنا قادر على مصاريف المدارس الخاصة،ولكى أرد أيضا للبلد تكاليف تعليمى المجانى. وقد يعتبرها البعض سذاجة منى أو يعتبرها آخرون التزاماً زائداً،وحتى لا تعتقدوا انني ادعى ذلك لحرصى على مدارس اللغات، فقد حرصت أيضا على عدم إدخال أولادى مدارس اللغات لإيمانى الشديد أن التعليم فيها ينتج مواطنين مهمشين لا ينتمون للمجتمع المصرى ولا ينتمون للمجتمع الذى تعلموا لغته. لذلك سعيت وبحثت عن مدارس خاصة عربية فيها اللغة الأجنبية مادة اضافية، على ألا يكون لها طابع المستغل للدين تحت شعار المدارس الاسلامية التى تخرج بذور التطرف.

كانت فرص الاختيار أمامى قليلة للغاية . فمع انتشار مدارس اللغات والمدارس الإسلامية الإرهابية الخليجية، لم يتبق أمامى غير عدد محدود للغاية من المدارس الخاصة تلتزم بمنهج الوزارة، ورغم التحفظات العديدة عليه، فقد أخترت أشهرها ذات ماض عريق واسمها مرتبط بأسم الزعيم **جمال عبد** [illegible]

وكانت المفاجاة ان المدرسة مقسومة مدرستين **لهما نفس الاسم إحداهما مصرية المنهج** وأخرى لغات يدخل فيها أولاد الاسر الدبلوماسية فى الاسكندرية ومدرسوها أجانب. والمشكلة فى **أن المدرستين لهما نفس المدخل ونفس المدير ونفس الادارة لكن المبانى والنظافة والملاعب وجميع التسهيلات التعليمية وكل شئ لصالح مدرسة اللغات.** ورغم أن المدرستين تحت سور واحد فلا يستطيع اطفالى دخول دورة مياه المدرسة الأجنبية النظيفة أو استعمال ملاعبها.

وسألنى ابنى لماذا لم التحق بمدرسة اللغات فهى أنظف وأجمل وأوسع؟!.

ولم أستطع ان أجيب عليه . ولكنى متأكد أن أطفالى أصبحوا يعتقدون ان كل شئ مرتبط باللغة الأجنبية والأجانب نظيف وجميل وكل شئ يرتبط ببلدهم ولغة بلدهم قذر ومهمل وقبيح،والعجيب أن المدرسة تستقبلك بصورة الزعيم وتمثال له.

آه .. لو عرف الزعيم أن المدرسة التى ارتبطت باسمه وأسرته تنمى عدم الانتماء للبلد وتشجع الاتجاهات الإيجابية لكل ما هو أجنبى ،والاتجاهات السلبية لكل ما هو وطنى ،ويكفى انهم لا يحيون علم وطنهم فى الصباح ،وحمدت الله كثيرا على ذلك لأن العلم المصري المرفوع على المدرسة قد تآكل بفعل الإهمال وعوامل الطبيعة والزمن الذى استغنى فيه الوطن عن علم يمثله.

الحكاية الثانية

ختان العقول

كانت لى تجربة مع إحدى المدارس التى تدعى الاسلام أو إحدى المدارس المتأسلمة التى تمارس ختان العقول ،والتى لم أفهم أبعادها الا حينما قابلت مدير احدى المدارس الخاصة فى الاسكندرية بجوار منزلى ويقال عنها انها مدرسة إسلامية. وفى مكتب المدير لاحظت أنه طويل الذقن مكفهر الوجه وجميع المدرسات محجبات .واعتذر الرجل بعدم قبول أطفالى بحجة ضيق الاماكن وإمكانية توفيرها فى المستقبل وحدد موعداً لاحقاً. واستنتجت من كلامه أنه كان فى السعودية وما زال يزورها .وفى الموعد المحدد طلبت إدارة المدرسة مقابلة الأم لترى مدى تحجبها ويمكن يشقوا قلبها لكى يتبينوا مدى إسلامها . وعرفت ان المدرسة تلزم المدرسات والتلميذات بالحجاب بل تلزم كل ما هو انثى،وانها **لا تلتزم بمنهج الوزارة فلا تدرس الموسيقى لانها حرام والرسم له حدود والاغانى حرام الخ** تلك القائمة اياها التى تعودنا عليها من الاخوان بمساندة الإرهاب وقتال [illegible]، وهى تهتم بتدريس عدة مقررات دينية مثل القرآن

والتوحيد والاحاديث التى **تعتمد على المضمون التعليمى السعودى** فأخذت طريق السلامة وادخلت اولادى مدرسة أخرى.

نسيت هذا الموضوع إلى أن جاء صباح يوم ولاحظت أن هناك تجمعاً من الرجال الملتحين والنساء المنقبات والمحجبات حول المدرسة إياها،ورجال الأمن من بعيد يرقبون الموقف. فسألت عن السبب قالت احداهن بالنص «**شرفت الدولة المصرية عايزة ترفع الحجاب عن الستات دة حكومة كافرة وبلد كافر**».وقال رجل ملتحى «**الحكومة عاوزه تأخذ المدرسة من صاحبها ونحن أولياء الأمور سوف نمنع ذلك**» ودفعنى حب الاستطلاع إلى دخول المدرسة وجدت صاحبها منفرج الريش واقف وسط أولياء الأمور الجالسين على أرض الحوش كأنهم فى مسجد. الرجال فى الأمام والنساء فى الخلف واقف يخطب فيهم ويشحنهم ويعلمهم أن الوزارة سوف ترسل إدارة جديدة للمدرسة وأن هناك قضية مرفوعة من المدرسة على الوزارة وان ده حرام وده حلال... الخ الكلام المنتشر الآن.

وانسحبت فى هدوء أفكر فى مظاهرة الجهل هذه ولماذا لم تتحرك الدولة إلا أخيرا وكيف تم ختان عقول هذا المجتمع. وانه اذا كان **ختان البنات هو امتداد سافر على آدمية البنات وحقوقهن الانسانية فى حياة طبيعية تحت مزاعم العفة والتقاليد والعادات، فختان العقول هو تغييبها عن الوعى وتعطيلها وتجميدها تحت مزاعم دينية**، واذا كان التعليم هو عمليات تغيير معارف واتجاهات وسلوك الافراد كان المسئولية الأولى للمؤسسات التعليمية هى إعداد وتهيئة العقول لمواجهة المتغيرات المتلاحقة والمستجدات الحياتية.

وتحت إطار الإزدواجية فى النظام التعليمى المصرى تتم يوميا عمليات ختان العقول لتلاميذ وطلاب مصر، فالنظام التعليمى المصرى يعانى من انواع **مختلفة من الازدواجية خاصة بين التعليم الدينى والمدنى والتعليم الحكومى والخاص الذى يعانى داخله من ازدواجية بين التعليم الاجنبى والدينى**. بل هناك التعليم حسب الطلب، وكلنا نسمع ونقرأ شعارات المدارس الخاصة كمبيوتر+ قرآن+ لغة أجنبية+ فروسية+ وسباحة. مع انتشار الإسلام المغلوط المستورد من ثقافات أخرى مجاورة لنا من الدول الخليجية التى تهاجر إليها ملايين العمالة المصرية ،انتشرت فى مصر المدارس الإسلامية الخاصة التى ترفع الشعارات الدينية وتسمت بأسماء إسلامية واشترطت فى هيئة تدريسها والأمهات والتلميذات الحجاب،واقبلت على تلك المدارس أسر الطبقة المتوسطة العائدة من بلاد البترول التى تختبئ وراء شعارات **الاسلام هو الحل**.

وفى **المقابل مدارس ترفع شعارات قبطية وتسمت بأسماء مسيحية وتحقق أهداف دينية**، وأخرى ترفع **شعارات غربية** وتسمت بأسماء غربية وأقبلت عليها الفئات الطفيلية التى جمعت ثروات هائلة وتحاول الضغط وتوجيه السياسات التعليمية ،ولعل هذا الطوفان من المعاهد الجامعية التى تعلن عنه الصحف فى أول كل عام دراسى ترجمة لتلك المقولة. طبعا اختلاف الشعارات والمسميات والأهداف ينعكس فى اختلاف المضمون التعليمى والتكوين الثقافى للطلاب وأيضا فى المصروفات ،وهذه المدارس تنتج مواطنين يختلفون فى المعايير السلوكية ولا تنجح فى تكوين المواطنة أو بناء نسق معرفى وقيمى يتفاعل تحته أبناء الوطن الواحد. لذلك لابد من طرح مشروع حضارى يلتف حوله الجميع ويلتزم به النظام التعليمى لكى يخلق نسيجاً وطنياً واحداً.

الحكاية الثالثة

سيمفونية الشتائم

من سوء حظك أن تكون أحد سكان منطقة تنتشر فيها المدارس الحكومية، خاصة إذا كانت مدارس للبنين الذين يأتون قبل الدخول بساعة لكى يلعبوا الكرة الشراب ويتكرر نفس الموضوع فى الخروج، والمصيبة اذا كانت المدارس فترتين حيث تلتحم مجاميع الدخول بمجاميع الخروج، وقتها سوف تتحسر على البراعم التى تربيها المدارس، لأنك مطالب يوميا أن تسمعهم وهم يعزفون سيمفونية من الشتائم ذات الوزن الثقيل [illegible]

[illegible] أن تشاهد يوميا المعارك والخناقات التى تتم بالمطاوى والسلاسل واحيانا تصل إلى السيوف. وإذا كانت مدارس بنات ترى العجب.. الحجاب على الاسترتش وملامح الفقر وشلل الصبيان المنتظرين خروجهن. وإذا فكرت فى اعدادهن الكبيرة وأن كل تلميذة منهن سوف تتزوج وتلد طفلاً واحداً فقط، وقتها تقلق على مستقبل مصر الولادة التى سوف تنفجر وتنفجر بالسكان، لأن القاعدة العريضة من المصريين فى الريف وعشوائيات المدن تعلن عصيانها المدنى على الحكومة بزيادة النسل.

[illegible] المدرسة لكى أوضح له أن المدرسة فى أى حى هى مصدر شعاع للحضارة من خلال تلاميذها ودورها فى خدمة البيئة المحيطة وينعكس ذلك فى سلوكيات التلاميذ من احترام حرمة الشارع والمساكن والمساحات الخضراء التى بذلنا فيها الجهد كسكان للمنطقة، وتم تخريبها بيد تلاميذ المدارس. وأوضحت للمدير أن التعليم ليس الحصول على شهادة بل هو تغيير فى المعرفة ثم فى الاتجاهات ثم يتبعه تغيير فى السلوك. فنظر لى مدير المدرسة ببلاهة واستخفاف وقال لى : اسمع يا حضرتك، أنا ملتزم بتعاليم الوزارة وليس لى دخل بأى شيء خارج سور المدرسة، واكتشفت أن المدير مثل تلاميذه تماما، وأن المدرسة ليس



حكايات عن المدارس والتعليم

د. أحمد محمد صالح





آه .. لو عرف الزعيم

عندما حان وقت دخول أطفالى المدارس ، قررت عدم إدخالهم مدارس الحكومة حتى لا تزداد كثافة الفصول وإتاحة الفرصة لغيرى طالما أنا قادر على مصاريف المدارس الخاصة،ولكى أرد أيضا للبلد تكاليف تعليمى المجاني. وقد يعتبرها البعض سذاجة منى أو يعتبرها آخرون التزاماً زائداً.وحتى لا تعتقدوا انني ادعى ذلك لحرصى على مدارس اللغات، فقد حرصت أيضا على عدم إدخال أولادى مدارس اللغات لإيماني الشديد أن التعليم فيها ينتج مواطنين مهمشين لا ينتمون للمجتمع المصرى ولا ينتمون للمجتمع الذى تعلموا لغته. لذلك سعيت وبحثت عن مدارس خاصة عربية فيها اللغة الأجنبية مادة اضافية، على ألا يكون لها طابع المستغل للدين تحت شعار المدارس الاسلامية التى تخرج بذور التطرف.

كانت فرص الاختيار أمامى قليلة للغاية . فمع انتشار مدارس اللغات والمدارس الإسلامية الإرهابية الخليجية، لم يتبق أمامى غير عدد محدود للغاية من المدارس الخاصة تلتزم بمنهج الوزارة، ورغم التحفظات العديدة عليه، فقد أخترت أشهرها ذات ماض عريق واسمها مرتبط بأسم الزعيم **جمال** عبد [illegible]

وكانت المفاجاة ان المدرسة مقسومة مدرستين لهما نفس الاسم إحداهما مصرية المنهج وأخرى لغات يدخل فيها أولاد الاسر الدبلوماسية فى الاسكندرية ومدرسوها أجانب. والمشكلة فى أن **المدرستين لهما نفس المدخل ونفس المدير ونفس الادارة لكن المبانى والنظافة والملاعب وجميع التسهيلات التعليمية وكل شئ لصالح مدرسة اللغات**. ورغم أن المدرستين تحت سور واحد فلا يستطيع اطفالي دخول دورة مياه المدرسة الأجنبية النظيفة أو استعمال ملاعبها.

وسألنى ابنى لماذا لم التحق بمدرسة اللغات فهى أنظف وأجمل وأوسع؟!.

ولم أستطع ان أجيب عليه ، ولكنى متأكد أن أطفالي أصبحوا يعتقدون ان كل شئ مرتبط باللغة الأجنبية والأجانب نظيف وجميل وكل شئ يرتبط ببلدهم ولغة بلدهم قذر ومهمل وقبيح،والعجيب أن المدرسة تستقبلك بصورة الزعيم وتمثال له.

آه .. لو عرف الزعيم أن المدرسة التى ارتبطت باسمه وأسرته تنمى عدم الانتماء للبلد وتشجع الاتجاهات الإيجابية لكل ما هو أجنبى ،والاتجاهات السلبية لكل ما هو وطنى ،ويكفى انهم لا يحيون علم وطنهم فى الصباح ،وحمدت الله كثيرا على ذلك لأن العلم المصري المرفوع على المدرسة قد تآكل بفعل الإهمال وعوامل الطبيعة والزمن الذى استغنى فيه الوطن عن علم يمثله.

الحكاية الثانية

ختان العقول

كانت لى تجربة مع إحدى المدارس التى تدعى الاسلام أو إحدى المدارس المتأسلمة التى تمارس ختان العقول ،والتى لم أفهم ابعادها الا حينما قابلت مدير احدى المدارس الخاصة فى الاسكندرية بجوار منزلى ويقال عنها انها مدرسة إسلامية. وفى مكتب المدير لاحظت أنه طويل الذقن مكفهر الوجه وجميع المدرسات محجبات .واعتذر الرجل بعدم قبول أطفالى بحجة ضيق الاماكن وإمكانية توفيرها فى المستقبل وحدد موعداً لاحقاً. واستنتجت من كلامه أنه كان فى السعودية وما زال يزورها .وفى الموعد المحدد طلبت إدارة المدرسة مقابلة الأم لترى مدى تحجبها ويمكن يشتوا قلبها لكى يتيسوا مدى إسلامها . وعرفت ان المدرسة تلزم المدرسات والتليمذات بالحجاب بل تلزم كل ما هو انثى،وانها **لا تلتزم بمنهج الوزارة فلا تدرس الموسيقى لانها حرام والرسم له حدود والاغانى حرام الخ** تلك القائمة أياما التى تعودنا عليها من الاخوان وجماعات الارهاب وتجار الدين. وهى تهتم بتدريس عدة مقررات دينية مثل القرآن

والتوحيد والاحاديث التى تحتمد على **المضمون التعليمى السعردى** فأخذت طريق السلامة وادخلت اولادى مدرسة أخرى.

نسيت هذا الموضوع إلى أن جاء صباح يوم ولاحظت أن هناك تجمعاً من الرجال الملتحين والنساء المنقبات والمحجبات حول المدرسة إياها، ورجال الأمن من بعيد يرقبون الموقف، فسألت عن السبب قالت احداهن بالنص «**شرلت الدولة المصرية عايزة ترلع الحجاب عن الستات دى حكومة كافرة وبلد كافر**». وقال رجل ملتحى «**الحكومة عاوزه تأخذ المدرسة من صاحبها ونحن أولياء الأمور سوف نمنع ذلك**» ودفعنى حب الاستطلاع إلى دخول المدرسة وجدت صاحبها منفوخ الريش واقف وسط أولياء الأمور الجالسين على أرض الحوش كأنهم فى مسجد. الرجال فى الأمام والنساء فى الخلف واقف يخطب فيهم ويشحنهم ويعلمهم أن الوزارة سوف ترسل إدارة جديدة للمدرسة وأن هناك قضية مرفوعة من المدرسة على الوزارة وان ده حرام وده حلال... الخ الكلام المنتشر الآن.

وانسحبت فى هدوء أفكر فى مظاهرة الجهل هذه ولماذا لم تتحرك الدولة إلا أخيراً وكيف تم ختان عقول هذا المجتمع. وانه اذا كان **ختان البنات هو اعتداء سافر على آدمية البنات وحقوقهن الانسانية فى حياة طبيعية تحت مزاعم العفة والتقاليد والعادات، فختان العقول هو تغييبها عن الوعى وتعطيلها وتجميدها تحت مزاعم دينية**، واذا كان التعليم هو عمليات تغيير معارف واتجاهات وسلوك الافراد فان المسئولية الأولى للمؤسسات التعليمية هى إعداد وتهيئة العقول لمواجهة المتغيرات المتلاحقة والمستجدات الحياتية.

وتحت إطار الإزدواجية فى النظام التعليمى المصرى تتم يوميا عمليات ختان العقول لتلاميذ وطلاب مصر، فالنظام التعليمى المصرى يعانى من انواع **مختلفة من الازدواجية خاصة بين التعليم الدينى والمدنى والتعليم الحكومى والخاص الذى يعانى داخله من ازدواجية بين التعليم الاجنبى والدينى**، بل هناك التعليم حسب الطلب، وكلنا نسمع ونقرأ شعارات المدارس الخاصة كمبيوتر+ قرآن+ لغة أجنبية+ فروسية+ وسباحة. مع انتشار الإسلام المغلوط المستورد من ثقافات أخرى مجاورة لنا من الدول الخليجية التى تهاجر إليها ملايين العمالة المصرية، انتشرت فى مصر المدارس الإسلامية الخاصة التى ترفع الشعارات الدينية وتسمت بأسماء إسلامية واشترطت فى هيئة تدريسها والأمهات والتلميذات الحجاب، وأقبلت على تلك المدارس أسر الطبقة المتوسطة العائدة من بلاد البترول التى تختبئ وراء شعارات الاسلام هو الحل.

وفى المقابل مدارس ترفع شعارات قبطية وتسمت بأسماء مسيحية وتحقق أهداف دينية، وأخرى ترفع **شعارات غربية** وتسمت بأسماء غربية وأقبلت عليها الفئات الطفيلية التى جمعت ثروات هائلة وتحاول الضغط وتوجيه السياسات التعليمية، ولعل هذا الطوفان من المعاهد الجامعية التى تعلن عنه الصحف فى أول كل عام دراسى ترجمة لتلك المقولة. طبعا اختلاف الشعارات والمسميات والأهداف ينعكس فى اختلاف المضمون التعليمى والتكوين الثقافى للطلاب وأيضا فى المصروفات، وهذه المدارس تنتج مواطنين يختلفون فى المعايير السلوكية ولا تنجح فى تكوين المواطنة أو بناء نسق معرفى وقيمى يتفاعل تحته أبناء الوطن الواحد. لذلك لابد من طرح مشروع حضارى يلتف حوله الجميع ويلتزم به النظام التعليمى لكى يخلق نسيجاً وطنياً واحداً.

الحكاية الثالثة

سيمفونية الشتائم

من سوء حظك أن تكون أحد سكان منطقة تنتشر فيها المدارس الحكومية، خاصة إذا كانت مدارس للبنين الذين يأتون قبل الدخول بساعة لكى يلعبوا الكرة الشراب ويتكرر نفس الموضوع فى الخروج، والمصيبة اذا كانت المدارس فترتين حيث تلتحم مجاميع الدخول بمجاميع الخروج، وقتها سوف تتحسر على البراعم التى تربيها المدارس، لأنك مطالب يوميا أن تسمعهم وهم يعزفون سيمفونية من الشتائم ذات الوزن الثقيل [illegible] [illegible] أن تشاهد يوميا المعارك والخناقات التى تتم بالمطاوى والسلاسل واحيانا تصل إلى السيوف. وإذا كانت مدارس بنات ترى العجب.. الحجاب على الاسترتش وملامح الفقر وشلل الصبيان المنتظرين خروجهن. وإذا فكرت فى أعدادهن الكبيرة وان كل تلميذة منهن سوف تتزوج وتلد طفلاً واحداً فقط، وقتها تقلق على مستقبل مصر الولادة التى سوف تنفجر وتنفجر بالسكان، لأن القاعدة العريضة من المصريين فى الريف وعشوائيات المدن تعلن عصيانها المدنى على الحكومة بزيادة النسل.

[illegible] المدرسة لكى أوضح له أن المدرسة فى أى حى هى مصدر شعاع للحضارة من خلال تلاميذها ودورها فى خدمة البيئة المحيطة وينعكس ذلك فى سلوكيات التلاميذ من احترام حرمة الشارع والمساكن والمساحات الخضراء التى بذلنا فيها الجهد كسكان للمنطقة، وتم تخريبها بيد تلاميذ المدارس. وأوضحت للمدير أن التعليم ليس الحصول على شهادة بل هو تغيير فى المعرفة ثم فى الاتجاهات ثم يتبعه تغيير فى السلوك، فنظر لى مدير المدرسة ببلاهة واستخفاف وقال لى: اسمع يا حضرت أنا ملتزم بتعاليم الوزارة وليس لى دخل بأى تلميذ خارج سور المدرسة، واكتشفت أن المدير مثل تلاميذه تماما، وأن المدرسة ليس

فيها شجرة خضراء أو أي شئ أخضر رغم أنها من المدارس الجديدة التى بنيت بعد الزلازل،وأصبحت مدارس تخرج بذور وتقاوى مواطنين يتصفون بالسوقية والجهل والبلطجة والقبح فى السلوك، وذهبت إلى قسم الشرطة لعمل محضر لمدير المدرسة بتهمة تلوث البيئة بميكروفون المدرسة وشتائم تلاميذه وتخريبهم لكل ما هو أخضر تعب سكان المنطقة فى زراعته ،وازعاجاتهم المستمرة باللعب فى الشوارع المحيطة بالمدرسة وإقامة مباريات تنتهى بالخناقات والمطاوى وتلويث منطقة السكن .. فنظر لى أمين الشرطة شذرا وعينيه تقول يظهر انك مش فى وعيك ياأستاذ .. نعم **يا سيدى الأمين لقد فقدت الوعى تماما، من شدة وعى.**

دشـــاشـــة

علـــى

رأس أبو الهول

يهلل الأهرام لثالث مرة وهو أكبر جريدة رسمية يوم ٢ مارس أن الأنتربول المصرى تدخل بالتنسيق مع وزارة الخارجية للإفراج عن مواطن مصرى تم ايداعه السجن فى السعودية نتيجة بلاغ من أسرة المصرى، وفى كل مرة تؤكد التحقيقات براءة المواطن المصرى ويفرج عنه . وهذا معناه ببساطة أن المصريين يسجنون هناك بلا مبرر قانونى الا لأنهم مصريون مواطنون من الدرجة العاشرة ، ليس لهم ظهر.

والسؤال ما مصير المصريين الذين لا تعرف أسرهم عنهم شيئا أو لا تعرف كيف تستعين بالأنتربول؟.

هذه الأخبار نهديها إلى أصحاب التصريحات اليومية عن المصالح العليا فى العلاقات العربية، فالمصالح العليا التى تجعلنا نفرط فى كرامة المصريين ، لا يمكن أن [illegible]

[illegible] الهول.

تصيبنى الدهشة من تلك الحملات

الغـــلابـــة

بـــين

جنـــون الـــبـــقـــر

و

جنـــون الخصخصة

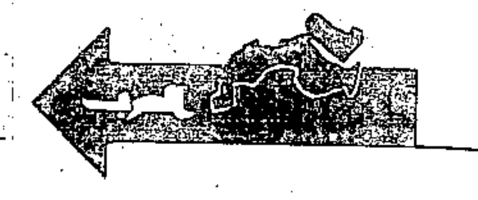
الضخمة التى تحذر المصريين من أكل لحوم مستوردة من بريطانيا مصابة بمرض جنون البقر الذى ينتقل للانسان ويقتله . تلك الحملات اذا كان لها معنى فى أوروبا والدول المتقدمة المحيطة ببريطانيا ، فهى ليست لها معنى فى مصر لسبب واضح ان **أكل اللحوم بكافة انواعها يعتبر من الرفاهية التى لا يستطيعها غالبية الشعب**، وأيضا بسبب المناعة التى اكتسبها الشعب المصرى طوال تاريخه لما تعرض له من جنون **فى الادارة والسياسات والقوانين والسلوكيات وجنون الإرهاب وجنون الفساد**.

واذا تعمقنا فى طريقة حياتنا نستطيع أن نخرج بمقولة واضحة: إن الحياة فى مصر بكافة جوانبها أصبحت نوعاً من المخاطرة اليومية على الحياة فى المآكل والمشرب والمسكن والمواصلات فى التعليم والإعلام والفكر ، ولن يزيدها جنون البقر مخاطرة ، خاصة بعد **جنون بيع القطاع العام للأجانب**. وقتها يصبح أكل عظام اللحوم المصابة بجنون البقر أو جنون العفاريت أمنية لأغلبية المطحونين، فالمراقب لمحطات السكك الحديدية أو نواصى الشوارع ومحطات النقل العام والتجمعات يشاهد عربات الأكل التى يأكل منها غالبية الشعب وليس فيها أى نوع من الطعام مرتبط باللحم من بعيد أو قريب،وهذا وصف لإحدى تلك العربات لكى نرى كيف تأكل الأغلبية.

عربة خشب ملطخة بالسواد والأوساخ ، فيها فاترينة من زجاج كان أبيض من عدم الغسيل وفى الداخل بعض الطعمية والطماطم والجبن الأبيض والجرجير والبيض، ويعلو ذلك رف فيه خبز يغلف عليه السواد والبؤس واقف [illegible] يقترب منه الزبون الغلبان ويدفع له ٢٥ قرشاً، فيتناول الصبى رغيف عادة متفحم الحواف ويضع الرغيف على جدار العربة المتسخ ويقسمه نصفين بسكين، بيده التى يمسك بها كل شئ الطعام والورق المتسخ وكل شئ، ثم يضع بالنصف رغيف عدد واحد طعمية صغيرة الحجم وبعض قطع من المخلل واعواد الجرجير وقطع من الطماطم وحبة فلفل، طبعا لا تتوقع أن يكون كل ذلك مغسول، ثم يسحب ورقة من كراس قديم مكتوب فيه ويضع فيها السندوتش ويعطيه للزبون الذى يفرح به ثم يمسح يده بفوطة قذرة أو فى جلبابه أو فى ورقة جرنال قديم، أما الزبون فبعد أن يأكل يمسح يده وفمه فى ورقة الكراسات القديمة والجميع يرمى على الأرض ،والعربة هذه لها موزعون يحملون سبت فيه عينات من الموجود فى العربة وينتقلون بها بين الركاب فى القطارات أو الأتوبيسات.

وعربة أخرى أكثر تحضرا عليها قدرة فول مجنون بالشطة والبهارات حتى لا يعرف الزبون طعمه وحولها الموظفون والموظفات على كل ناصية شارع يغمسون لقمة عيش رخيصة مع المخللات والتنازل عن قواعد الصحة والنظافة ، منتهى الفقر والبؤس هو أكل الأغلبية من شعب يأكل هكذا ، ويمكن أن نطلق على عربة الأكل هذه : **تيك اواى أو كنتاكى الغلابة أو ماكدونالدز وبيتزا هارت المطحونين** أو سمها كما شئت.

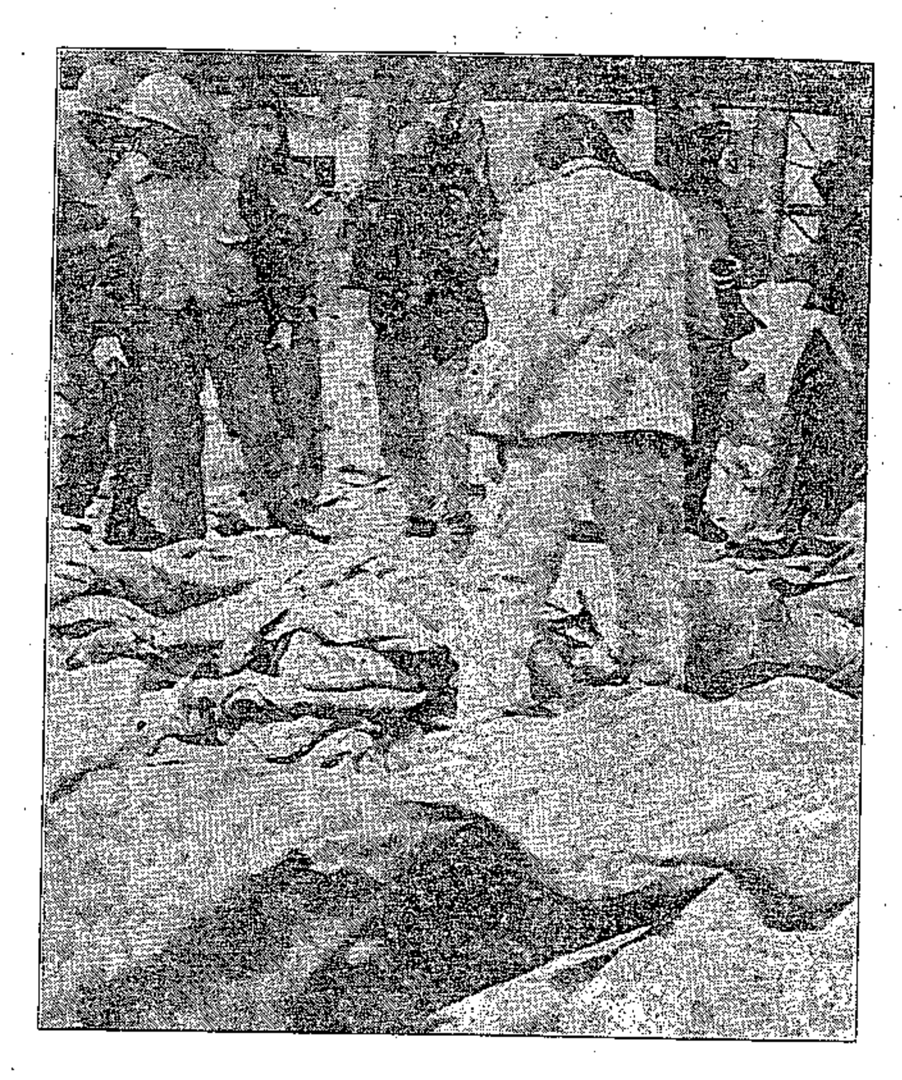
والحقيقة فى الواقع تتحدى جميع أرقام منجزات الحكومة وتتحدى جنون البقر نفسه ، فعلى نواصى شوارع المدن المصرية خاصة الشوارع التى توجد بها مصالح حكومية ومدارس تجد أمثال تلك العربة عربة الفقر التى يمكن أن تمر من أمامها **الفاجرة** ،والبرودة، **والشبع** ،والخنزير، والتى يمكن أن [illegible] أمامها أيها البقر العاقل فيصبح مجنونا اذا أكل منها.



اسرائيل تفرض كل قوانين اللعب

رسالة حيفا

نظير مجلي



من الصعب على المرء العاقل أن يتخيل أن دولة مثل إسرائيل، قادرة، بهذه السهولة، على التحكم بقوانين اللعب وفرضها فى المنطقة العربية. فى بعض الأحيان تشعر أنها حاكم مطلق. وفى أحيان كثيرة، تشعر أن كل الحسابات مكرسة حسب مصالحها، وفى معظم الأحيان، تجد أن العناصر الأخرى فى المعادلة، إما غائبة وإما أنها أدوات تتحرك لخدمة الأهداف التى تضعها.

إننا نكتب هذه الكلمات، فى الوقت الذي تتساقط فيه أطنان المتفجرات على ألوف البيوت والمبانى اللبنانية.

فى الوقت الذى تنتهك فيه حرمة عاصمة عربية «بيروت» مرات ومرات فى اليوم الواحد. ويضرب فيه جيش عربى، بسيط ومتواضع ومحدود الإمكانات، لكنه جيش دولة ذات سيادة.

فى الوقت نفسه يعانى شعب بأكمله، الشعب الفلسطينى أحد رموز الكرامة العربية، من حصار إسرائيلى خانق وفتاك، يتسبب فى سوء الغذاء ونقص الدواء، فى الموت والجوع أو من غياب العلاج، فى تدمير الاقتصاد والاستقرار.

ولا من رادع ولا من حسيب

ونحن من موقعنا هنا، فى قلب الوطن، ومن داخل إسرائيل، نرصد الأحداث وقلوبنا تعتصر ألما وذهننا شارد غير وارد، ونتساءل: ما الذى يحدث؟ وكيف يمكن أن يكون؟ أين العرب الأشقاء، أين العالم المتحضر؟ أين حقوق الإنسان؟ أهذا هو النظام العالمى الجديد؟

فقط قبل أقل من شهرين، أوقفوا العالم على رأسه بسبب أربع عمليات انتحارية إرهابية، تسببت فى مقتل وجرح عشرات المدنيين الإسرائيليين. رؤساء ثلاثين دولة، بينهم أكبر وأقوى دول العالم، تركوا كل أشغالهم وهبوا للتضامن مع إسرائيل وأعدوا خطة عالمية لمكافحة الإرهاب.

ولكن، ماذا عن الإرهاب الذى يطال شعبا بأكمله، مؤلفا من مليونى إنسان، اختاروا هم وقيادتهم السلام مع إسرائيل؟!

ماذا عن الإرهاب الذى يطال دولة عربية ذات سيادة [illegible] واعتدوا على عاصمتها؟

هل يمكن أن يبلغ الاستهتار بالعقل البشرى هذا الحد؟

هل يمكن أن يداس الحق والمنطق والكرامة بهذه الفظاظة؟

وهل يمكن أن يحدث كل هذا، والعرب لايتقنون سوى لغة الإعراب عن الأسف والاحتجاج؟

يقولون: هذه لعبة انتخابية من **شمعون بيرس** ستتوقف عند انتهاء معركة الانتخابات الإسرائيلية لرئاسة الحكومة وللكنيست (٢٩ آيار / مايو ١٩٩٦) أحقا؟ وما هى قواعد اللعبة؟! أن لايسمح لليمين الإسرائيلى بالوصول إلى الحكم؟!

لكن بيرس، بممارساته ضد لبنان وضد فلسطين وفى التوجه للعملية السلمية، يتصرف تماما مثلما يريد اليمين.

فالحصار على الفلسطينيين هو مطلب صريح من مطالب اليمين، طرحه عند وقوع أول عملية انتحارية فى القدس فى شباط/ فبراير الماضى.

والحرب الشرسة على لبنان، هى أيضا مطلب يمينى صريح، طرحه اليمين مع أول قذيفة كاتيوشا أطلقها حزب الله على مستوطنات الشمال فى إسرائيل.

ومن يتخيل أن بيرس سوف يتغير فى حالة عودته إلى الحكم بعد الانتخابات، فإنه وحزبه (العمل) أعطيا الجواب فى برنامج الحزب الانتخابى وبنوده الأساسية هى:

- عدم التوقيع على اتفاق سلام نهائى مع الفلسطينيين (وليس فقط مع سورية) إلا بعد طرحه على الاستفتاء الشعبى والحصول على أكثرية ساحقة (إذن، لماذا الانتخابات اليوم؟!) والاستفتاء فى إسرائيل، ليس كما فى العالم العربى، **فهنا الاستفتاء جدى وديمقراطى لا تزوير ولا تضخيم.** وإذا كان بيرس يدير سياسته وفقا لإملاءات اليمين، فقد يختار الشعب فى إسرائيل التصويت للطبقة الأصلية من اليمين **(الليكود - تسومت- جيشس)** وليس للطبقة المزينة (حزب العمل). والاستفتاء من شأنه أن يسفر عن رفض **الانسحاب الكامل من الجولان** وما من شك أنه **سيسفر عن رفض إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس.** ومجرد التمهد بالاستفتاء، سيجعله سلاحا إسرائيليا فى المفاوضات، فكل مطلب يطرحه الفلسطينيون أو السوريون سيرد عليه المفاوض الإسرائيلى هذا الاقتراح لن يمر فى الاستفتاء الشعبى وهلمجرا.

- **لا انسحاب إلى حدود ١٩٦٧** ويقصدون هنا على الجبهتين السورية والفلسطينية.

- **القدس العاصمة الموحدة، وإسرائيل هى صاحبة السيادة المطلقة عليها.** وهنا الأمر ليس كلاما فحسب، إنما بالممارسة اليومية يتم تطبيقه، من ناحية الاستيطان المكثف وقطع أوصال الأحياء العربية عن بعضها البعض وإغلاق المؤسسات العربية الوطنية ومطاردة الشخصيات الوطنية فيها وفرض حصار مضاد عليها (عن طريق منع دخول فلسطينيى الضفة إليها، مما أدى إلى شل الحياة الاقتصادية والتجارية والثقافية فيها.

- **نهر الأردن هو الحد الأمنى لدولة إسرائيل،** وهذا هو الموقف الذى تعكس حكومة حزب العمل به توجهها التوسعى الاستعلائى تجاه الفلسطينيين وحقوقهم. فنهر الأردن هو الحدود الدولية لإسرائيل مع الأردن. وبه تختزل أي حق سياسى أو وطنى للفلسطينيين وعلى نهر الأردن هناك شريط استيطانى يمتد من البحر الميت وحتى غور بسان، أي على طول الضفة الغربية.

وهذا **يعنى التمسك باحتلال المنطقة.**

وهناك بند جديد أضافه حزب بيرس لبرنامجه السياسى الانتخابى هو: **ابقاء الغالبية الساحقة من المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية وقطاع غزة، تحت السيادة الإسرائيلية** ويعنى: إخلاء بعض المستوطنات والمستوطنين، والإبقاء على معظمها تحت الحكم الإسرائيلى. والمستوطنات تسيطر، كما هو معروف، على نصف الأراضى الفلسطينية، ووجودها يؤدى إلى تجريد الفلسطينيين من الاستقلال السياسى والاقتصادى، وليس فقط الأمنى، وتجريدهم من نصف الأراضى ومن الامتداد الجغرافى. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه فى السنوات الثلاث الأخيرة، أى فى ظل سلطة حكومة حزب العمل، زاد عدد المستوطنين فى الضفة والقطاع بنسبة ٣١٪، هذا من دون حساب الاستيطان فى مدينة القدس. ويبلغ عدد المستوطنين اليهود اليوم ١٤٧ ألفا (يسيطرون كما ذكرنا على نصف الأراضى، مقابل ١.٢ مليون فلسطينى يعيشون فى النصف الثانى من الأراضى).

إذن هل بقى هناك فرق جوهرى كبير بين سياسة بيرس وحزب العمل وسياسة اليمين ونتنياهو؟ فلماذا يجب أن يعطى بيرس الفرصة للفوز فى الانتخابات؟

ليس هذا وحسب، بل من الجدير معرفته، أن بيرس يستغل إلى أقصى الحدود هذه النظرة، من أجل تمرير سياسة أقسى وأشد.

فعندما استقبله أمير سلطنة عمان وقطر وفرشا له البساط الأحمر، عاد يقول: **«إنهم يتفهمون سياستنا حول الحصار ويؤيدون جهودنا فى مكافحة الإرهاب»** ومع أنه كان أعلن وهو فى الطريق إلى هناك، أنه سيخفف الحصار (وأبرزت وسائل إعلام عمان والدوحة ذلك)، فقد بقى الحصار كما هو، شديدا وقاسيا، يموت بسببه أناس وأطفال ويجوع آخرون، نقص شديد فى الغذاء وفى الدواء وحتى فى الماء. وشلل اقتصادى شبه تام. نصف المصانع مغلقة أكثر من نصف المنتوج الزراعى يتلف فى أرضه، بسبب انعدام القدرة على تجاوز حواجز الاحتلال، وبالتالى انعدام إمكانية تسويقه والسياحة، الفرع الاقتصادى الآخذ فى النمو جرت تصفيته.

وفوق هذا، جاءت العمليات الحربية فى لبنان لتؤكد أن بيرس **لايحسب حسابا للعرب، إطلاقا لا الأصدقاء القدامى ولا الأصدقاء الجدد منهم.**

بل يبنى دعايته الانتخابية على أساس أنه، خلال السنوات الثلاث القادمة، ستكون له علاقات دبلوماسية مع الغالبية الساحقة من الدول العربية، ومعروف أن له علاقات سياسية واقتصادية مع هذه الغالبية، فعلا.

ويسأل السؤال: **لماذا أصبح بيرس بهذا السوء؟** فقد كنا نحسب أنه أفضل من **رابين،** وبطبيعة الحال أفضل من زعيم الليكود، **نتنياهو** فما الذى جرى له؟

والحقيقة أن بيرس تغير، والأصح القول: عاد إلى أصله.

فهو، فى زمن رابين، كان يقوم بدور رجل السلام الذى يؤثر على رابين ويدفعه دفعا برقة وبذكاء باتجاه عملية السلام،

فأوصله إلى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وترقيع اتفاقات أوسلو، والانسحاب من غزة وأريحا وبقية المدن الفلسطينية والموافقة على الانسحاب من الجولان السوري، وتولى بيرس مهمة التصدي لقوى اليمين ومجابهتهم في الكنيست وفي الشارع، بقوة وحذاقة، واكتسب شعبية وثقة دولية وكذلك في العالم العربي،

لكن بعد مقتل رابين، تغير بيرس، وعاد إلى شخصيته القديمة كرجل حرب وتوسع وغطرسة ، فما السبب؟

هل هو الخوف من اليمين؟

من الصعب الجزم إذا كان بيرس يخشى على حياته من الاغتيال أم لا، وإلى أي مدى يمكن أن يكون هذا الخوف مؤثرا على قراراته. لكن **مما لاشك فيه أنه يسعى لاسترضاء أوساط في اليمين.**

فهو يريد أن ينتصر في المعركة الانتخابية، وبأى ثمن، وإذا كان مقتل رابين، زاد من رصيده الانتخابي، فإن عمليات «حماس» و«الجهاد» افقدته هذا الرصيد وتفوق عليه زعيم الليكود في استطلاعات الرأي، وراح اليمين يهاجمه على سياسته «الضعيفة أمام العرب» و«الجبانة والمترددة» ويقول: «بيرس لايصلح لأن يكون وزيرا للأمن، فهو بالكاد يقوم بمهمته كرئيس حكومة».

وكلما طرح اليمين اتهاما أو مرقفا، ذهب بيرس إلى خياط السياسة رفصل له بدلة مناسبة. **وأصبح همه الأساسي أن يثبت لليمين أنه رجل قوى قادر على إدارة معركة عسكرية ناجحة وقادر على البطش والعربدة لا أقل من شارون رايتان، للذين يشكلون عصا الليكود.** فكان الحصار وما تبق من اجراءات وحشية وكانت الحرب على لبنان، وفي كل هذا. يتلقى بيرس الدعم **والتشجيع من الموقف الأمريكي المؤيد بدون تحفظ ومن الموقف الأوروبي المتفرج ومن الموقف العربي المتأرجح ما بين الاستنكار** [illegible]

والصمت المخزي في معظم الأحوال.

قصة الحديث المفاجيء عن:

الفـــرن الـــذرى فـــى ديمـــونة

الموضوع النووي الذي أثير في الشهر الماضي في المنطقة، بدأ طرحه في إسرائيل نفسها وليس في الخارج - كما جرت العادة. وتم ذلك بشكل ملفت للنظر. إذ أن السلطة الإسرائيلية أحاطت هذا الموضوع، دائما، بالكتمان والسرية، ورفضت أي حدث فيه، وفجأة، يتم الحديث عنه وفي برنامج للتليفزيون الإسرائيلي الرسمي؟

كان ذلك في يوم الأحد ٢٤ آذار / مارس الماضي ضمن برنامج «نظرة ثانية» التليفزيوني. والقضية طرحت بشكل درامي لكن من باب نقابي - طبي، لمجموعة من العمال في الفرن الذري القائم في ديمونة شمالي شرقي النقب، فقد اشتكى ١٤ عاملا في الفرن أو أبناء عائلات عمال عملوا في الفرن في الماضي (وبعضهم ماتوا)، من إشعاعات نووية تسربت إلى أجسادهم وتسببت في إصابتهم بالسرطان. وتقدموا بطلب للحصول على تعويضات مالية كبيرة. ووصلت قضيتهم إلى المحكمة.

وقد رد مدير الفرن الإداري على هذه الشكاوى، في التقرير نفسه، بالقول أن هذا الإدعاء غير صحيح بتاتا. وأن إدارته قدمت براهين علمية على ذلك إلى المحكمة وكان بالإمكان- طبعا- أن ينتهي الموضوع عند هذا الحد. لكن البرنامج التليفزيوني سبر أكثر عمقا، فتطرق إلى النفايات النووية للفرن والمخزونة خلال السنوات الثلاثين الماضية في أوعية ضخمة في باطن الأرض في النقب.

وقال أحد الخبراء أنه في حالة وقوع هزة أرضية قوية أو زلزال أو خلل جدي ، يمكن أن تتسرب هذه النفايات وتتسبب في أضرار [illegible]

وللبيئة وللمزروعات، وذكر أن إشعاعات نووية تسربت من أوعية كهذه في الولايات المتحدة بعد عشرين سنة من استعمالها.

على إثر هذا النشر أثارت مصر والأردن، القريبتان من ديمونة، موضوع الإشعاعات النووية وكيفية التعرف في حالة حدوث خلل كهذا، وأعربتا عن القلق. وانضمت إليهما سورية. ثم عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا طارئا لبحث الموضوع (على مستوى السفراء الدائمين) وقررت مواصلة طرحة في الجامعة العربية وعلى الساحة الدولية. وبالمقابل خرج وزير البيئة الإسرائيلي وعضو اللجنة الوزارية لشئون الأمن، يوسي سريد، يطمئن :«هذه النفايات مخزونة بمستوى عال من الأمان والوزارة تراقب الأمر باستمرار، والحكومة رصدت في ميزانيتها الأخيرة مبالغ ليست قليلة من أجل استحداث وسائل التخزين بما هو أفضل وأكثر أمانا، واهتم سريد بأن تصل هذه المعلومات إلى القيادتين المصرية (ومن خلالها إلى سورية) والأردنية فاتصل مع سفير مصر في تل أبيب محمد بسيوني، ومع الأمير حسن، نائب الملك الأردني.

وبالطبع، فإن كل هذه الأنباء جرت تغطيتها بشكل موضوع مكثف إعلاميا، في إسرائيل والخارج.

وفي الأسبوع نفسه تسربت بسهولة، أنباء من وزارة الأمن الإسرائيلية نفسها، تحدثت عن مساعي لدى البيت الأبيض لكي تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بوجود قدرات نووية في إسرائيل. وذكرت مصادر إعلامية في حينه أن الأمريكيين كانوا استمروا إلى مطلب كهذا في الماضي وأعربوا

عن استعدادهم لذلك ، بشرط أن يتم الأمر تدريجيا وفقط بعد التوصل إلى اتفاق سلام مع سورية .

من الطبيعي أن تثير هذه التصريحات والتسريبات والتقارير قلق العرب، ولكن ، بغض النظر عن هذا الموضوع القلق ومدى تأثيره وإن كان سيؤدي أو لا يؤدي إلى نتائج فإن هناك سؤالا يطرح: ما هو الهدف الإسرائيلي من إثارته؟

من الصعب إعطاء جواب صريح ودقيق على السؤال، خصوصا وإن هذا موضوعا بالغ الحساسية وخاضع لأشد قوانين الرقابة. ولكن، من دون شك، للموضوع علاقة بسياسة شمعون بيرس، وأهدافه السياسية الذاتية.

فمن المعروف أن بيرس هو الرجل الذي وقف وراء بناء الفرن الذري في ديمونة، في الخمسينات، عندما كان مديرا عاما لوزارة الأمن وفيما بعد نائبا لوزير الأمن. وهو يشعر أن ماضيه العسكري - الأمني غير معروف بالشكل الكافي في إسرائيل- أو هناك من يحاول طمس هذا الجانب من تاريخه. فالليكود يهاجمه على توليه وزارة الأمن، وكانت هناك أصوات من داخل حزب العمل قد اعترضت على توليه هذه الوزارة بعد مقتل رابين وكانت حجتهم أن رابين صاحب ماض عسكري غني، بينما هو بعيد عن المؤسسة العسكرية. فراح بيرس يتحدى الجميع وتولى الوزارة لنفسه، إلى جانب رئاسة الحكومة. وحرص على زيارة المواقع العسكرية المختلفة مرة في الأسبوع على الأقل. وفي كل مرة تحدث إلى الجمهور أشار إلى دوره وتاريخه العسكري، وخصوصا إلى الفرن الذري في ديمونة .

ومن المعروف أيضا، أن مشروع بيرس للشرق الأوسط الجديد، يعتمد بشكل أساسي على ضمان قوة عسكرية استراتيجية لإسرائيل كضمان لتوجهها السلمي مع العرب.

لذلك، من غير المستبعد أن يكون هناك اعتبارات داخلية قوية أدت إلى خروج الموضوع النووي عن حيز الصمت والكتمان.

لكن هناك أيضا اعتبارات خارجية [illegible]

العرب وإيران، وجعلهم يحسبون حساب

إسرائيل باستمرار ، يسعى بيرس إلى تقوية العلاقات الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكان قد حاول الاستفادة من التضامن العالمي معه في قضية الإرهاب ومؤتمر شرم الشيخ، ليعطي دفعة أخرى إلى الأمام في هذه العلاقات.

وقد جاء الرئيس بيل كلينتون، بعد مؤتمر شرم الشيخ، إلى إسرائيل، في زيارة رسمية حميمة هي الثالثة خلال أقل من سنتين. وهذه السابقة في العلاقات الخارجية الأمريكية، إذ لم يحدث أن قام رئيس أمريكي بزيارة دولة ما، هذا العدد من الزيارات خلال فترة قصيرة كهذه، وأراد بيرس أن يعلن عن حلف دفاع مشترك بين واشنطن وتل أبيب. لكن الأمريكيين رفضوا الفكرة بأدب، وأجلوا البحث فيها حتى يقوم بيرس بزيارته إلى واشنطن في نهاية الشهر الماضي نيسان / أبريل.

عندئذ بدأت أوساط أمنية في إسرائيل تفكر في إمكانية تحقيق اعتراف أمريكيا بالقدرات النووية لإسرائيل خصوصا- هكذا قالوا- على ضوء تجميد المفاوضات مع سورية. وهذا الأمر أيضا، قد يطرح على جدول المباحثات المذكورة في واشنطن .

البحرين تهدد بسحق المعارضة وتلوح بالكـارت الأمريكـي - السـعودي

تشهد البحرين تدهورا حادا في الأوضاع الأمنية ، وسط تأكيدات سعودية وأمريكية وأردنية بالاستعداد التام للتدخل العسكري لمساعدة الحكومة هناك في قمع المعارضة، والتي تواصل حركتها الاحتجاجية منذ ١٦ شهرا للمطالبة بإعادة البرلمان الذي حله أمير البحرين عام ١٩٧٥ ، وإطلاق سراح ما يزيد عن ٢٥٠٠ معتقل وإقامة نظام ديمقراطي في هذه الجزيرة الصغيرة والتي **تتخذها الولايات المتحدة مقرا لأسطولها الخامس القابع لحراسة دول النفط في مياه الخليج العربي.**

ولم تكتف حكومة أسرة آل خليفة في البحرين بإنشاء محكمة أمن دولة خاصة للنظر في قضايا الاضطرابات الأمنية (وأحكامها بالطبع لاتخضع للاستئناف وتحتاج فقط لتوقيع الأمير **عيسى بن سلمان آل خليفة)** بل قامت في أوائل شهر أبريل بتنفيذ حكم الإعدام ضد أحد المعارضين والذي تم اتهامه بقتل شرطي في اضطرابات أمنية عام ١٩٩٥، إثر محاكمة [illegible] المحاكمة العادلة وكان **تنفيذ حكم الإعدام هذا هو الأول من نوعه منذ عشرين عاما في البحرين،** هددت على إثره الحركات المعارضة البحرينية الأكثر تشددا بتصعيد هجماتها ومعارضتها للحكومة البحرينية.

ومنذ نهاية عام ١٩٩٤، تشهد البحرين سوى فترات متقطعة من الاستقرار، وتصاعدت هذه المواجهة مرة أخرى منذ يناير الماضي إثر رفض السلطات البحرينية مطالب المعارضة بالإفراج عن المعتقلين الذين تم احتجازهم في موجة الاحتجاجات الأولى في ديسمبر ١٩٩٤. المعارضة بدورها صعدت احتجاجها ضد الحكومة وتحولت مساجد البحرين إلى أماكن لتجمع المعارضة حيث كان **الشيخ عبد الأمير الجمري** يلقي خطبه الساخنة التي يطرح فيها مطالبه. ولكن الحكومة ردت بإغلاق هذه المساجد واعتقلت الشيخ عبد الأمير وأعوانه مما أدى لاندلاع موجة جديدة من الحرائق والهجمات من قبل الشباب البحريني الغاضب على [illegible] الأجانب

الهجمات حريق تعرض له مطعم يعمل به مواطنون من دولة بنجلاديش أدى إلى مصرع سبعة منهم.

د. منصور الجمري الذى يقود حركة أحرار البحرين من مقرها فى المنفى فى لندن ينفى أن المعارضة قررت تغيير استراتيجيتها والتوجه نحو استخدام العنف فى معارضة الحكومة. وأصر على أن ما تشهده البحرين من حرائق وانفجارات هو تعبير عن غضب الشباب البحرينى «لأن الاعتقالات المتكررة، جعلت لدى كل أسرة بحرينية تقريبا قريب أو صديق يقبع فى السجن منذ شهور عدة»، وأضاف الجمرى «أن قوات الشرطة البحرينية ترتكب العديد من الفظائع لدى اقتحامها بيوت المعارضين اللذين ترغب فى اعتقالهم وتحطم محتويات المنازل وتعتقل النساء. كل هذا أدى إلى انفجار موجة الغضب الحالية.. ولكننا ما زلنا نصر أن مطالبنا ديمقراطية عادلة.. نحن نريد الإفراج عن المعتقلين والاتفاق على إعادة البرلمان الذى حله الأمير».

الحكومة البحرينية تبنت النهج القائم على استعراض العضلات والتهديد باستخدام القوة فى سحق المعارضة. والصحف الرسمية الصادرة هناك تملأ افتتاحياتها بدعوات للحكومة بالتخلص تماما ممن يثيرون الاضطرابات فى البحرين ويقلقون أمن هذه الجزيرة الصغيرة. الوضع بالطبع معقد فى البحرين التى يسكنها ما يقرب من نصف مليون مواطن أغلبهم أو ما يقترب من ٦٠٪ منهم من الشيعة.

ولكن عائلة آل خليفة التى تحكم الجزيرة منذ نهاية القرن الثامن عشر تقريبا هى من السنة. وعلى هذا الأساس **تحاول حكومة البحرين تصوير الحركة الاحتجاجية القائمة منذ فترة هناك على أنها عملية مدفوعة الأجر من طهران التى ترغب فى زعزعة الاستقرار الأمنى لهذه المنطقة الغنية بالنفط.** الولايات المتحدة الأمريكية رسميا وكذلك المملكة العربية السعودية تؤيد وجهة النظر هذه رغم تلميح بعض المسئولين الأمريكيين بين كل وقت وآخر إدراكهم أن هناك مشاكل اقتصادية واجتماعية قد يكون لها دور وراء

البحرين يدرك أن الأمر لاعلاقة له بما تحاول حكومة هذه البلاد تصويره على أنه مؤامرة إيرانية. **فشبه الجزيرة بأكملها وكما هو معروف يخضع فى الأساس للنفوذ السعودى فى تلك المنطقة. والسماح بوجود دول خليجية مستقلة صغيرة مثل قطر والبحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة لايعنى بأية حال من الأحوال أن بإمكان هذه الدول أن تتخذ سياسة أو اتجاها بعيدا عن توجهات السعودية** التى لا ترغب بالتأكيد فى رؤية أي خلل فى أوضاع المناطق سواء من الناحية الأمنية أو من ناحية نظم الحكم.

فالمعارضة فى البحرين قديمة وتعود إلى أوائل الخمسينات وشهدت فترات من الصعود كان لليسار البحرينى دور مهم خلالها. وإذا كانت المعارضة البحرينية فى تلك الفترة قد تأثرت بإيران، فإنها لم تتأثر فى الأساس باتجاه إسلامى شيعى لأن الثورة الإيرانية الإسلامية لم تكن قد قامت بعد بل كان الاتجاه الغالب هو الاتجاه القومى والوطنى.

البحرين، وعلى خلاف معظم الدول الخليجية المجاورة، كان لديها عدد من المثقفين البارزين الذين ساندوا منذ تلك الفترة فكرة إقامة نظام ديمقراطى فى بلادهم مختلف عن النظم القليلة القائمة حاليا والتى تخضع لنفوذ الأسر الحاكمة والتى ما زالت تديرها بنظام الإقطاعيات والاحتفاظ وحدها بدخل النفط الذى لاينتهى. كما أن موقع البحرين كجزيرة فى وسط الخليج جعلها أكثر تعرضا للأخطار الواردة من الخارج خاصة وأنها كانت ميناء تجاريا، وكل هذه الأمور تؤكدها المعارضة البحرينية التى لا تنقسم على أساس سنى وشيعى ويوجد العديد من المعارضين البحريين البارزين ممن ينتمون لطائفة السنة.

ويؤكد **الجمرى أن المعارضة البحرينية لاتريد إقامة دولة إسلامية فى البحرين على النمط الإيرانى** وينفى أى علاقة بإيران قائلا أن التلويح بهذه الورقة هى الطريقة الوحيدة التى

المؤيدة للولايات المتحدة فى المنطقة وخارجها إصدار البيانات لتأكيد مساندة حكومة آل خليفة فى قمعها للمعارضة البحرينية.

وزير الدفاع السعودى **سلطان بن عبد العزيز** أكد استعداد بلاده التام لتوفير كافة أشكال الدعم لحكومة آل خليفة إذا تطلب الأمر ذلك. ورئيس وزراء الأردن **عبد الكريم الكباريتي** رحب بفكرة إرسال قوات أردنية إلى البحرين إذا طلبت حكومتها ذلك. وذلك لاستعادة الاستقرار الأمنى فى الجزيرة.

الأزمة فى البحرين تعكس الأزمة القائمة فى منطقة الخليج بأكملها والتى أصبحت الآن تخضع تماما للنفوذ الأمريكي وأعلنت وزارة الدفاع الأمريكية مؤخرا عن اتفاقية مع دولة قطر لتخزين الأسلحة الأمريكية هناك وذلك للاستعداد للتدخل فى أية لحظة فى حالة قيام أى تهديد لأمن المنطقة على غرار الغزو العراقى للكويت والتى وافقت منذ تحرير الإمارة على يد قوات المارينز على تخزين الأسلحة الأمريكية لديها أيضا. ونظرا لأهمية هذه المنطقة الاستراتيجية وتأثيرها على المصالح الأمريكية، فإن حكومة واشنطن لن يكون لديها استعداد بالتأكيد إلى الاستماع لمطالب المعارضة البحرينية الديمقراطية.

كما أن السعودية ما تزال تصر على رفضها السماح للقيام بأية مجالس شعبية عن طريق الانتخاب الديمقراطى فى أى من دول الخليج وتصر حكومة الرياض أن المرحلة الحالية لاتسمح بأكثر من مجلس للشورى يعينه الملك أو الأمير كما هو الحال عليه الآن فى كل دول الخليج العربى. وبالتالى فإنه من المؤكد أن السعودية لن تؤيد مطالب المعارضة البحرينية بإعادة البرلمان الذى حله الأمير احتجاجا على قراره السماح بتحويل الجزيرة إلى قاعدة أمريكية وكذلك مطالبته البرلمان السماح له باعتقال أي شخص دون إبداء أي أسباب من وجهة نظر السعودية ، هذه الأفكار تثير المشاكل وبالتالى فلا بد من دعم حكومة آل خليفة فى قمعها للمعارضة، وقمع المعارضة لن يجدى مطلقا فى حل الأزمة وسيؤدى إلى زيادة الوضع تعقيدا وربما توجه المعارضة نحو مزيد من العنف مما سيفتح الباب بالتأكيد لتدخل خارجى سواء كان سعوديا أو أمريكيا

غادرنا الفندق قبل أن يعلن الأمين العام الجديد للمؤتمر القومي العربي عبد الحميد مهري البيان الختامي للدورة السادسة .وفي مطار بيروت تأخرت طائرتنا إلى القاهرة ما يزيد على الساعة ولم نعرف إلا بعد هبوطها ونحن على أرض مصر أن مطار بيروت أغلق هذه الساعة لأن الطائرات الاسرائيلية قصفت بيروت للمرة الأولى منذ الاجتياح سنة ١٩٨٢، حين كانت الدولة الصهيونية تدخل عاصمة عربية جديدة- غزوا هذه المرة- بعد أن كانت قد دخلت القاهرة أكبر عاصمة عربية باسم السلام ورفعت أعلامها على النيل كما حلم الآباء الأوائل للمنظمة- الصهيونية العالمية التى تعد للاحتفال بمرور قرن كامل على إنشائها فى العام القادم وقد حققت ما هو أكثر كثيرا من مجرد إنشاء دولة على أرض فلسطين، بعد اغتصابها وطرد شعبها وإحلال يهود من كل أرجاء الأرض محله.

المؤتمر القومي العربـي يناقش :

الديمقراطية.. والتسوية السياسية.. والقومية

بيروت من : فريدة النقاش

كان المؤتمر الذى شارك فيه مائة وأربعة وثلاثون عضوا وتواصلت جلساته صباحا ومساء بواقع أربع جلسات يومية، قد ناقش على مدى الأيام الثلاثة لانعقاده كل جوانب الوضع العربى وقضاياه ،بعد كلمتى إفتتاح للدكتور سليم الحص رئيس وزراء لبنان السابق والنائب فى البرلمان اللبنانى، والدكتور خير الدين حسيب مدير مركز دراسات الوحدة العربية والأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي في دوراته الخمس.

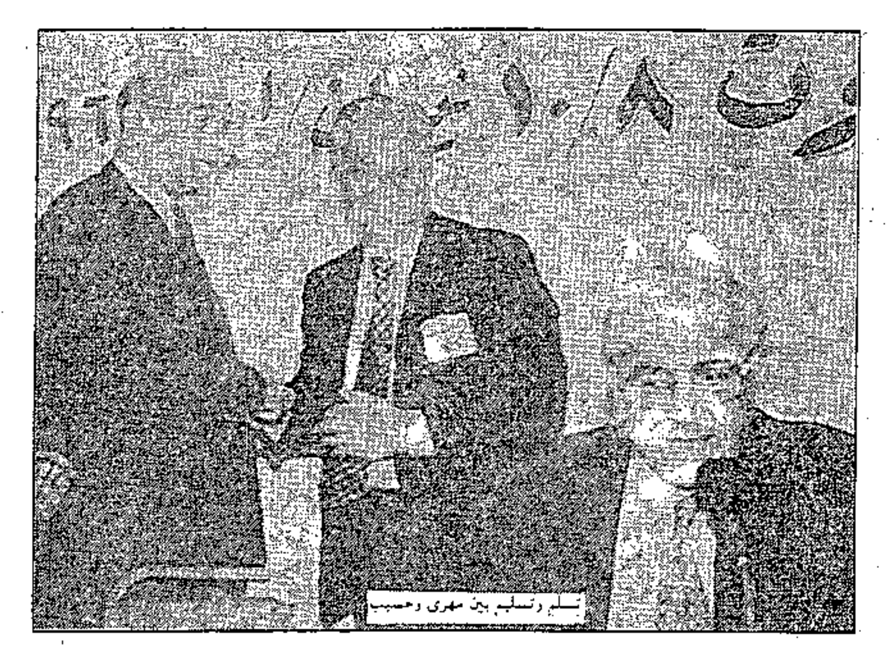
قال سليم الحص أنه فى غياب الممارسة الديمقراطية الصحيحة فى الجانب العربى، يمكن القول أن قرارات التسوية التى تتخذها الأنظمة العربية هى قرارات فوقية تفتقد الشرعية الحقيقية . إذ أن الشرعية تستمد من إرادة الشعوب. **وما دامت آليات استفتاء الشعوب، وأهمها الانتخابات النيابية وعمليات الاستفتاء العام غير موجودة أو غير فاعلة فى شتى الدول العربية، فإن الأجيال العربية المقبلة قد تطعن فى شرعية قرارات التسوية**.والغريب أن الدول الغربية لا تترك مناسبة إلا وتندد فيها بلا ديمقراطية الأنظمة العربية ثم تسارع تتهلل للقرارات المصيرية التى تتخذها هذه الأنظمة نيابة عن شعوبها فى موضوع التسوية مع إسرائيل!.

أما **خير الدين حسيب** فأكد «أن الأنظمة العربية الحالية مفروضة على شعوبها بشكل أو آخر».

ويضيف «وعلينا أن لا ننسى أبدا أن الديمقراطية تؤخذ ولا تعطى ، وأن لا **يتوهم أحد أن الغرب وأمريكا بالذات ،راغبة فى تحقيق الديمقراطية فى وطننا العربى** لأن تحقيق الديمقراطية ومشاركة الشعوب العربية فى اتخاذ قراراتها المصيرية لن يمكن أمريكا من استمرار إحتلالنا ونهب ثرواتنا».

ثم دارت المناقشات حول تقرير **حال الأمة** الذى شارك فى اعداده باحثون وسياسيون من معظم أرجاء الوطن العربى ،وكانت الدكتورة **نيفين مسعد** أستاذ العلوم السياسية فى مصر هى منسقه العام.

وكشف التقرير عن تدهور خطير فى المشروع القومي العربي بأبعاده المختلفة، بعد تقديم أوراق مفصلة حول التطورات العالمية الجديدة، والعرب والعالم ،والصراع العربى الاسرائيلى -الذى رفض المؤتمرون فى دورة سابقة وصفه بالنزاع ، ثم الأمن القومي



تسليم وتسلم بين مهري وحسيب

العربي ،والنظام العربي والديمقراطية وحقوق الانسان ،وأوضاع الجاليات العربية في المهجر ، ثم كان التقرير المالي عن أوضاع المؤتمر ،وانتخاب الأمين العام الجديد بعد رفض بات من قبل الدكتور **خير الدين حسيب** أن يرشح نفسه قائلا إننا لابد أن نضرب المثل حول شعارنا تداول السلطة فإن كان في موقع الأمين العام مغنم فلتعم فائدته وإن كان جهدا إضافيا فلنوسع قاعدة المشاركين فيه.

وجاء البيان الختامي ليعكس روح التشاؤم من الصورة المظلمة للوضع العربي من كل جوانبه وليؤكد على **الحاجة الماسة لتبني بدائل جديدة لمواجهة مسار التسوية الراهن،وبصفة خاصة تعزيز مقاومة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين بالمعنى الشامل.**

ولما جاء ختام البيان على النحو التالي .. «إذ رصد المؤتمر حالات من الخلل في صورة المشهد السياسي العربي ، رصد أيضا آليات معاكسة تفتح المجال أمام الأمل في تخطي المحنة والوصول بالأمة إلى حالة من التوازن ..» اعترض المفكر السوداني الدكتور **حيدر ابراهيم علي** مطالبا بشطب هذه الفقرة من البيان حتى لا نخدع أنفسنا ونرى المشهد العربي كما هو بالضبط ، لنجتهد بعد ذلك لخلق البدائل دون ايهام أنفسنا بأن ثمة بدايات لها.

والدكتور «حيدر» مفكر تقدمي ملاحق شأنه شأن آلاف السودانيين الذين خرجوا من وطنهم .. بل قل آلاف بل ملايين العرب المهاجرين في أرجاء الدنيا بسبب الاستبداد .. وحين شكونا أستاذي**محمود أمين العالم** وأنا من تحول مكتباتنا إلى مخازن قال :

-أنتم محظوظون على أي حال لأن مكتبتي موزعة بين السودان والمغرب ومصر.

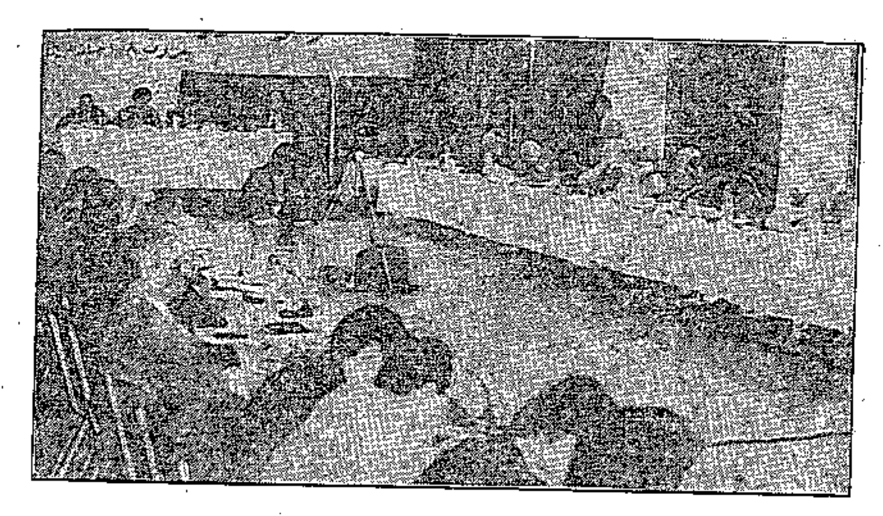
ومع ذلك فإن علينا كما قال سليم الحص أن «**نخترع الأمل**».

مفهوم جديد للديمقراطية

هناك تحديد في البيان الختامي لوجود **الفكر القومي العربي المستنير** بما يعني بمفهوم المخالفة الاعتراف بأن هناك فكرا قوميا عربيا رجعيا ولم يكن مثل هذا التمييز قائما في السابق. وإن كانت الاستنارة هنا قد بقيت في حدود العلاقة مع دول الجوار ولم تمتد إلى أخطر القضايا على الاطلاق وهي الديمقراطية التي بقيت مطروحة في وثائق المؤتمر ومناقشاته وأطروحاته في حدودها السياسية والحقوقية، **دون اجتهاد واضح لخلق مفهوم أشمل يتجاوز السقف المحدود سلفا من قبل منظمات حقوق الانسان للمثل الديمقراطي وآفاقه**، خاصة وأن وجود أو إحداث مساحة من حرية التعبير والتنظيم والضمير دون **حرية الاعتقاد (غالبا)** في عدد يتزايد من البلدان العربية وتحت راية الانفتاح قد تواكب دائما مع . ازدياد غير مسبوق في بؤس الجماهير الشعبية وتسارع وتيرة عملية الافقار الشامل لها. لأن هذا النوع من الديمقراطية كان قد تواكب وتلازم مع روشتة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وجنون الخصخصة وبرامج التكيف الهيكلي ،التي ثبت في الواقع العملي أنها برامج انكماش اقتصادي لا برامج توسيع للقاعدة الإنتاجية.

ولذا حذرت كاتبة هذا التقرير في مداخلتها في المؤتمر من أن **الخط العام لانتهاك الحقوق والحريات الأساسية سوف يتصاعد في معظم البلاد العربية إن لم يكن جميعها استنادا إلى ما يجري على قدم وساق من الاعداد لاخراج العرب عمليا من التاريخ ،والقائهم على الهامش عبر السلام الزائف والمشروع الشرق أوسطي الذي هو نفي للوحدة القومية وللفكرة القومية العربية أساسا لصالح قومية مفتعلة ودخيلة**،وحيث تحكم الهيمنة الأمبريالية قبضتها على وطننا لتؤدي به إلى مزيد من التفسخ، وانسحاب مواطنيه إلى داخل الجماعات الصغيرة والاحتماء بثقافتها الفرعية بديلا عن الوطن ، مع زيادة توحش الهجمة الرأسمالية على مستوى معيشة الطبقة العاملة والكادحين عامة. وهو الوضع الذي ينذر بتزايد العنف والعدوان على هامش الديمقراطية وحقوق الانسان من قبل نظم لن يكون لها في المستقبل القريب وفي ظل شروط المؤسسات الاقتصادية الدولية وجنون الخصخصة أي قوة تستند لها سوى الجيش والشرطة والجباية.

ولذا ينبغي أن نوسع مفهوم الديمقراطية وحقوق الانسان ليشمل هذا التعريف: **الحق في نصيب عادل من الثروة والحق في العيش الكريم والسكن والتعليم والصحة والثقافة**، ودون أن نتخندق في



المفهوم الحقوقي التقليدي الذي يقصرها على الحريات العامة.. التصويت والتعبير والتنظيم والاعتقاد.

نعلي أهمية وجذرية هذه الحقوق لأي عملية ديمقراطية حقة فإن شعوبا يدفع بها إلى حالة الجوع لن تكون قادرة على ممارستها .لمن يتخوفون من أن تعميق مفهوم الحريات الديمقراطية على هذا النحو ربما يفتح الباب لشمولية جديدة حين تصبح الدولة مسئولة عن التشغيل والاسكان .. الخ أقول إن المجتمع أكبر كثيرا من الدولة، كذلك فإن الصورة الشمولية الواقعية التي يقدمها لنا هذا التقرير عن أوضاع الحريات في الوطن العربي تؤكد أن نفي الجماهير في الفاقة والبؤس والتهميش هو تمكين تلقائي لنزعات الاستبداد والتسلط والشمولية .وعلينا أن نجتهد لنضع أساسا لرؤية ديمقراطية جديدة. ترفض مقايضة الخبز بالحرية أو مواجهة أحدهما بالآخر كما حدث في تجارب مريرة كثيرة ماز لنا نعيش في ظلها.

دفاعا عن العقل

وكان المؤتمر القومي قد بادر للدعوة لعقد المؤتمر القومي الاسلامي إعترافا بالدور المتزايد للإسلام السياسي على الساحة العربية ،ومع ذلك تمترس الاسلاميون هذه الدورة **في لغة الانشاء والخطابة وإلقاء البيانات الفوقية التي تدعو الآخرين ضمنا للسير في ركابهم مع تجاهل الوقائع المحددة لممارسات الحكم ..الاسلامي في السودان من عدوان صريح على الديمقراطية والحريات العامة.**

بل إن أحد أعضاء المؤتمر من الجزائر انبرى ومنتهى القوة للدفاع عن عمليات قتل المثقفين التي قامت بها الجماعة الاسلامية المسلحة في الجزائر أو بعض عناصرها، بحجة أن المقتولين أعداء للعروبة والاسلام.

وهكذا اتخذ المؤتمر في بعض جلساته الساخنة طابع التجاور لا التحاور والخطابة لا التفاعل من أجل الوصول إلى مشتركات واعتراف بحق الآخر في الوجود والتعبير.

وتبقى هناك قوة رئيسية مستبعدة من هذا المؤتمر هي [illegible]

تاريخه ومشروعه ورؤيته ، ويشارك بعضهم في هذا المؤتمر كأفراد دون توجه مستقبلي لمعاملتهم كتيار رئيسي شأنهم شأن الاسلاميين ، الذين جرى عقد مؤتمر معهم وضعهم على قدم المساواة مع التيار القومي رغم الانتقادات التي وجهها البعض لهذا المؤتمر وإسمه اذ قال المنتقدون «كأن القوميين ليسوا إسلاميين بمعنى من المعاني».

ورغم أن المؤتمر القومي العربي قد أصبح على حد قوله أمينه العام السابق الدكتور خير الدين حسيب «أحد المنابر العربية الفكرية السياسية القليلة جدا التي لا تزال تجتمع فيها نخبات عربية من المحيط إلى الخليج».

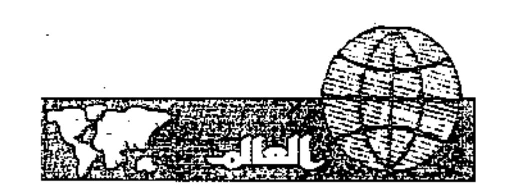
فقد غاب المثقفون الليبيون غيابا كاملا هذه الدورة وعلى ما يبدو فإن ليبيا التي ترعى مؤسسة قومية مشابهة تضم عددا كبيرا من المثقفين العرب هي«المجلس القومي للثقافة العربية»أبت أن تشارك في تجمع آخر لن تكون لها فيه القيادة ، خاصة وأن منصور الكخيا الذي تحوم شكوك قوية حول مسئولية ليبيا عن اختفائه حتى الآن كان عضوا في المؤتمر القومي العربي وعضو المنظمة العربية لحقوق الانسان.

وأخيرا ، ربما حالت ظروف الحصار بين المثقفين الليبيين والمشاركة.

لكن تبقى ظاهرة انقسام المنظمات الديمقراطية العربية بين الدول وتوزع الولاءات للأنظمة ظاهرة قائمة ، ولم تدرس بجدية لا في هذا المؤتمر ولا في غيره من المؤتمرات ، رغم انه **بدون تجاوز هذا الانقسام وتحرير الاتحادات والنقابات المختلفة من قبضة بعض الانظمة فان الدور المستقبلي الفاعل لهذه المنظمات سوف يكون مشكوكا فيه.**

انتاجية العمل في الوطن العربي

جاء في تقرير حال الأمة ما يلي: ليست هناك معلومات حول إنتاجية العمل والكفاءة الاقتصادية لدى الدول العربية وجامعتها ، ولم تنشر أية معلومات حول هذا الموضوع في أية احصاءات عربية، وتشير احصائيات البوينيدو إلى أن معدل انتاجية العمل في المنطقة العربية انخفض من ٣٢ بالمائة (بالمقارنة بمعدلات أمريكا الشمالية) في العام ١٩٧٠ إلى ٢٤ بالمائة في العام ١٩٨٠ ،وإلى ١٩ بالمائة في العام ١٩٩٠ ،وتعد هذه التغييرات في ظل الظروف الراهنة للمنافسة الدولية بمثابة كارثة.

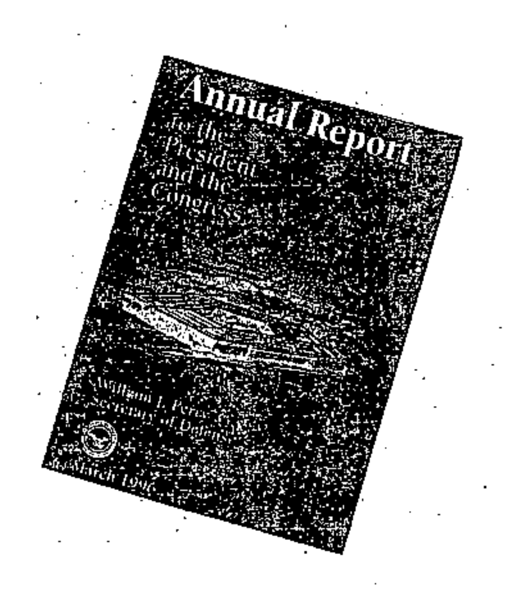


المؤسسة العسكرية تسيطر على سياسة أمريكا الخارجية

التقرير السنوى لوزير الدفاع الأمريكى يشرح تفصيلات استراتيجية هدفها الأخير السيطرة على العالم

*** السياسة الخارجية الأمريكية تقع تماما خارج إطار الديمقراطية الأمريكية «والبنتاجون» هو صاحب الكلمة النهائية.**

*** القوات المسلحة مكلفة بمهمة حماية مصالح أمريكا فى جميع أنحاء العالم .. وهى قادرة على التدخل فى أى مكان.**



رسالة واشنطن :

سمير كرم

ما أكثر السمات التى تميز حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية عن حملة أخرى.. ليس فقط لأن كل مرشح لرئاسة أمريكا يهدف خلال التخطيط لحملته -مع مديريها ومستشاريها المتخصصين- على إضفاء طابع معين عليهايميزه عن طابع المرشح، أو المرشحين الآخرين ، إنما لأن نظام الحزبين الذي يسيطر على انتخابات الرئاسة ،ويسيطر على كل عملية انتخابية أخرى على كافة المستويات ،يحتم إظهار الاختلافات بين الحزبين وابرازها قدر الامكان.

بل يمكن القول أن لكل محلل أو معلق سياسى أمريكى معنى بشئون الانتخابات الرئاسية رؤية فردية خاصة فى متابعته لكل حملة .. وطبعا ليس من المتصور أن يكتفى أيهم بتأكيد انعدام الفوارق للاختلافات بين المرشحين كلما كتب عن الحملة الانتخابية..

على أى الأحوال فإن المجال لا يتسع لسرد ورصد الملامح المميزة لحملة الانتخابات

ليس هذا موضوعنا هنا . انما لضرورة هذا الموضوع لابد من الاشارة إلى معيارين رئيسيين لا غنى عن وضعهما فى الاعتبار:

*** هناك حملات انتخابية تتميز بسيطرة الموضوعات «الداخلية» عليها** .. حيث يجد المرشحان نفسيهما مجبرين على تأكيد اهتمامهما بقضايا المجتمع الأمريكى الداخلية.. أو يجد الناخبون أنفسهم أمام مرشح يؤكد أن قضايا السياسة الداخلية ينبغى أن تحتل مركز الأولوية فى الاهتمام خلال فترة الرئاسة التالية- على الأقل- بينما يؤكد المرشح الآخر أن السياسة الخارجية بعد لا

تتأثر بمدى نجاح أمريكا فى مجال السياسة الخارجية.

*** هناك حملات انتخابية تبدو فيها السياسة الخارجية موضوعا ثانويا أو منسيا ،وبشكل ما لا يثير اهتمام الناخبين**،وبالتالى لا يضيع المرشح -أى مرشح- وقته فى شرح مواقفه من قضاياها ،ولا يعنى هذا اختفاء الكلام عن قضايا السياسة الخارجية تماما. فانه لا تكاد تبدأ حملة انتخابية وتنتهى دون أن تقع أحداث خارجية تعتبر الولايات المتحدة أن لها فيها مصلحة أو يتربص بها خطر من ورائها. وبالتالى يصبح كل مرشح مطالبا بأن يدلى بدلوه داعيا إلى اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ازاءها (كانت هذه سمة حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية فى عام ١٩٩٢.. التى أطاحت بحلم الرئيس السابق **جورج بوش** فى فترة رئاسة ثانية بعد عام واحد من صعود شعبيته إلى الذروة إثر **عاصفة الصحراء**

الذى يركز حملته على القضايا الداخلية .. وساعده أن الاقتصاد الامريكي كان قد دخل بعد عام واحد من بداية رئاسة بوش فى حالة ركود طويلة).

وصحيح أن قليلا من الانتخابات الأمريكية تتقرر نتائجها بناء على اعتبارات تتعلق بالسياسة الخارجية.. فهذا لا يحدث الا فى أوقات الأزمات الخارجية الصعبة، وبالأخص تلك التى يبدو فيها، «الأمن القومى» الأمريكى مهددا ، أو تلك التى تظهر فيها أن قوة أمريكا العسكرية غير كافية للابقاء على هيبتها الخارجية (كما حدث فى أزمة الرهائن» عام ١٩٨٠ حينما احتجزت إيران أعضاء السفارة الأمريكية فى طهران وفشلت إدارة جيمى **كارتر** فى تحريرهم بالقوة العسكرية، وأدى ذلك إلى سقوط كارتر فى انتخابات الرئاسة فى ذلك العام).

فى كل الأحوال يبدو من الحملات الانتخابية -بما يتخللها من تصريحات للمرشحين واستطلاعات لاراء الناخبين -وكأن السياسة الخارجية الأمريكية شأنها شأن السياسة الداخلية تتقرر وفقا لما يريده أغلبية الناخبين ، وأن اختيارهم للرئيس القادم يحدد الطريق الذى تريد الأغلبية أن تسلكه الولايات المتحدة فى قضايا السياسة الخارجية.

بتعبير آخر يبدو وكأن السياسة الخارجية الأمريكية تصنعها إرادة الناخبين.. وأن من يفوز برئاسة الولايات المتحدة يجد نفسه ملزما بانتهاج السياسة التى التزم بها أمام الناخبين خلال الحملة الانتخابية . خاصة وأن النظام الأمريكى لا يأخذ بطريقة الاستفتاءات العامة على أى من قضايا السياسة الخارجية مهما كانت درجة خطورتها وخطورة انعكاساتها على حياة الأمريكيين أنفسهم.

يفسر هذا نظريا بأنه «طبيعة نظام التمثيل الديمقراطى» الذى يمنح الناخبين حق اختيار من يمثلهم . ويمنح لمن وقع الاختيار عليه.. بالانتخاب ، حق رسم السياسة وصنع القرار على أساس أنه مفوض ، بصرف النظر عن أى سياسة التزم بها أو وعد بتنفيذها خلال الحملة الانتخابية.

ويفسر عمليا بأنه خضوع الرئيس خلال سنوات وجوده فى البيت الأبيض لضغوط «الواقع» بما فيه واقع العالم الخارجى وتطوراته وأحداثه التى تخرج عن السيناريو المتصور فى أذهان الساسة الأمريكيين وغيرهم ،ولضغوط القوى والمصالح الداخلية «الخاصة» (والمثل الكلاسيكى الذى يساق هنا عادة هو جماعات الضغط اليهودية -الاسرائيلية .**فليس هناك من لا يفكر أن غالبية الرأى العام الأمريكية تعارض المساعدات الضخمة التى تحصل عليها اسرائيل حتى فى أحلك الظروف الاقتصادية لأمريكا.. بينما تستمر الادارات الأمريكية رئيسا بعد آخر فى تقديم هذه المساعدات تحت ضغوط اللوبى اليهودى).**

لكن ثمة حقيقة أكثر ثباتا وأهمية من هذين التفسيرين النظرى والعملى لغياب دور الرأى العام الأمريكى فى صنع السياسة الخارجية الأمريكية.

وهى أن لسياسة أمريكا الخارجية ثوابت محددة لا تتغير بتغير الرؤساء (إلا فى حدود الرتوش الطفيفة) كما لا تتغير بتغير قناعات الرأى العام الأمريكى.ولا تتمثل هذه السياسة فى تصريحات المرشحين للرئاسة ولا فى الآراء التى تعكسها استطلاعات الرأى ، خاصة فى شهور الحملات الانتخابية.

انما تتمثل فى وثائق اساسية.. لا يكتبها الكونجرس ولا يكتبها قادة المؤسسة الدبلوماسية (وزارة الخارجية والوكالات المختصة بالسياسات الخارجية) انما تصاغ هذه الوثائق فى اطار آخر تماما ، هو اطار المؤسسة العسكرية الأمريكية(..) لهذا فان معرفة **اتجاهات السياسة الخارجية وأساليبها وأهدافها تقتضى أكثر من أى شئ آخر قراءة الوثائق الاساسية عن «الاستراتيجية الأمريكية» التى تصدر دوريا عن «البنتاجون».**

من بين آلاف التقارير التى تصدرها سنويا هيئات الحكومة الأمريكية ، بعضها موجه إلى الرئيس ومعظمها موجه إلى الكونجرس والأقل موجه إلى كليهما حول كافة الموضوعات الداخلية والخارجية.. فى السياسة والاستراتيجيا والاقتصاد والتكنولوجيا والمخابرات والجريمة والتعليم والأوضاع الاجتماعية والصحية.. الخ هذا فان **أهم هذه التقارير على الاطلاق هو التقارير الاستراتيجية التى تصدرها وزارة الدفاع الأمريكية والتى تنطوى على تحديد الأهداف السياسية الخارجية الأمريكية فى مواجهة العالم الخارجى.**

وتتعلق هذه التقارير بما يميز الولايات المتحدة أكثر من أى شئ آخر عن أى دولة كبرى أو صغرى فى هذا العالم : سياستها العسكرية أهدافها ووسائلها.. حتى خططها ومشكلاتها وطرق استعدادها لمواجهة المشكلات .والمقصود بالمشكلات هنا مشكلات العالم بأسره،وليس مشكلات أمريكا وحدها.

أهمها التقرير السنوى إلى الرئيس والكونجرس من وزير الدفاع هو مرآة لرؤية أمريكا للعالم الخارجى... أخطاره ومنافعه ، كيف هو وكيف ينبغى أن يكون ، وكيف يمكن عبور المسافة بين الموقعين.

تكفى نظرة سريعة إلى محتويات التقرير هذا العام ،وقد صدر قبل نحو أربعة اسابيع لادراك أهميته وخطورته بالنسبة لمستقبل العالم .. لا لمستقبل أمريكا وحدها:

استراتيجية الأمن القومى -استراتيجيات الأمن الاقليمى- المهام العسكرية الأمريكية -الصراعات الاقليمية الرئيسية -الوجود (الأمريكى طبعا) فيما وراء البحار- عمليات الطوارئ-الحجم الكلى للقوات وبنية قوات الاغراض العامة -تحسين فاعلية قوات الوصول السريع- تعزيز قدرة الحركة الاستراتيجية -جدول أعمال الاستعداد القتالى -القوات الامريكية مستعدة- منظور

الاستعداد القتالي في بيئة ما بعد الحرب الباردة -البناء في ذروة الاستعداد..

منذ بدايات القرن الحالي (الذى أطلق عليه المعلقون الامريكيون وربما كانوا محقين إلى حد كبير ، وصف«القرن الأمريكي»؟ وجدت الولايات المتحدة دائما قوة خارجية غيرها تصب عليها تهمة التخطيط والعمل من أجل السيطرة على العالم.. ابتداء من القوة العسكرية الألمانية إلى الفاشية الايطالية إلى النازية.. مروراً بالشيوعية السوفيتية والصينية. ويستمر الجنى الأمريكي ، بعد نهاية الحرب الباردة بحل الاتحاد السوفيتي وانتكاسة المسعى الاشتراكي في«البحث عن عدو» تصوره مصدرا رهيبا للخطر وتنسب إليه نظريتها في التآمر للسيطرة على العالم.

والحقيقة أن قراءة تقرير وزير الدفاع الأمريكي إلى الرئيس والكونجرس (بعد **خمس سنوات من انفراد الولايات المتحدة بمركز «الدولة الاعظم» يقدم دليلا خطيا إذا جاز التعبير على أن الولايات المتحدة هى القوة التى تسعى لتحقيق هدف السيطرة على العالم وفرض مصالحها وأهدافها وثقافتها على كافة أقاليمه ومناطقه.**

هكذا كان الحال قبل الحرب الباردة وأثناءها ولا يزال بعدها.

فماذا يعرف الرأى العام الأمريكي عن هذا التقرير؟ هل شارك مباشرة أو من خلال «ممثلين» في وضعه.. أو في رسم الخطوط العريضة لما يحتويه؟ لاشيء من هذا أو ذاك.

فما الذى نجده في التقرير الذى يقع في نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير؟

***

يبدأ التقرير برسالة من **وليام بيري** وزير الدفاع في عشر صفحات وتبدأ الرسالة بفقرة مهمة عنوانها «أخطار عالم ما بعد الحرب الباردة» وأهم ما فيها التأكيد بأن «الاخطار الجديدة لما بعد الحرب الباردة **تجعل مهمة حماية أمن أمريكا القومي مختلفة وبطريقة ما أكثر تعقيدا مما كانت أثناء** الحرب الباردة».

فإذا توقع المرء أن يقول وزير الدفاع الأمريكي أن مهمة حماية أمريكا أصبحت أيسر بعد أن انتهت الحرب الباردة بانتصارها وانهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو ، فإنه مخطيء، تماما لاشيء من هذا، «**إن مهمتنا الخاصة بتخطيط بنية القوة (الأمريكية) أعقد مما كانت حينما كان أمامنا خطر واحد جارف.** في السابق كانت بنية قوتنا تخطط لمنع حرب عالمية مع الاتحاد السوفياتى (عن طريق الردع)، وهو ما كنا نعتبره تهديدا لبقائنا كلية. وكانت كل الأخطار الأخرى - بما فيها الأخطار الإقليمية- تعد أخطاراً أقل ولكنها مشمولة في الخطة. فقد كانت القوات التى نحتفظ بها لمواجهة الخطر السوفياتى قادرة - افتراضا- على ا لتعامل مع هذه التحديات الأقل. أما اليوم فإن خطر اندلاع صراع عالمى قد تناقص بدرجة كبيرة، ولكن خطر الصراع الإقليمي ليس أقل وليس مشمولا ولهذا فإنه يتطلب منا أن نأخذ هذا الخطر في الحساب عند بناء قواتنا. إن هذه المخاطر مثيرة للانزعاج بشكل خاص لأن كثيرا من الدول المعتدية المحتملة تملك أسلحة للدمار الشامل. بالإضافة إلى هذا فإنه تخطيطنا الدفاعي ينبغى أن يوفر وقاية من احتمال بزوغ خطر الصراع العالمى مرة أخرى في وقت ما من المستقبل».

وتحدد رسالة وزير الدفاع ثلاث وسائل في «**إدارة أخطار مابعد الحرب الباردة» هى المنع والردع والهزيمة.** وكما هو واضح فإنها تمثل خطوطا متوالية للمواجهة تبدأ بالدفاع الوقائي فإذا لم يكف يتلوه الردع الذى يستلزم التهديد واستعراض القوة. وفي إطار الردع تبدأ الاستراتيجية الأمريكية الجديدة التى تعتمد **خطة الاستعداد لخوض حربين كبيرتين في مسرحين مختلفين في وقت واحد..** وإذا لم يكف الردع تنتقل الاستراتيجية الأمريكية إلى خوض الحرب والفوز فيها بصورة حاسمة وبسرعة وبأقل خسائر بشرية ممكنة . واحدة في الشرق الأوسط والثانية في كوريا مثلا.وهذا ما يتطلب **الاحتفاظ بقوة يبلغ تعدادها مليون ونصف مليون من الأفراد في الخدمة العاملة بالإضافة إلى ٩٠٠ ألف فرد في الاحتياط.** وتنقسم هذه القوة إلى ١٠ فرق عاملة للجيش و١٥ لواء في حالة استعداد معزز في الحرس القومي للجيش بالإضافة إلى ٨ فرق في الحرس القومي، و٢٠ جناحا للقوات الجوية و٣٦٠ سفينة، بينها ١٢ حاملة للطائرات، و٤ فرق للمارينز (مشاة البحرية)/

وتتطلب الخطة أيضا **احتفاظ الولايات المتحدة بصفة دائمة بقوات فيما وراء البحار قوامها ٢٠٠ ألف فرد**، نصفها في أوروبا ونصفها الآخر في المحيط الهادي.. كلها في حالة استعداد قتالي عالية».

ويؤكد التقرير بصورة ملفتة على احتمالات فشل الدفاع الوقائي(المنع) والردع.. ويعطى أمثلة بما حدث في كوريا عام ١٩٥٠ وماحدث في الكويت عام ١٩٩٠.

وليس أصرح من تقرير وزير الدفاع إلى الرئيس والكونجرس في التعبير عن الاستراتيجية الأمريكية. تحت عنوان **«الدفاع عن مصالح الولايات المتحدة عن طريق استخدام القوة العسكرية»** يقول :

«**يمكن أن يفشل الردع في بعض الأحيان، خاصة في مواجهة خصم غير عقلاني أو يائس، لهذا يتعين على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة فعلا لاستخدام القوة العسكرية.** إن استخدام القوة العسكرية هو الملجأ الأخير للدفاع عن مصالحنا القومية ويتطلب موازنة دقيقة لتلك المصالح ضد المخاطر والنفقات المعنية. والمعايير الرئيسية هى إذا كانت المخاطر المحتملة حيوية أو مهمة أو إنسانية».

ولابد هنا من ملاحظة : **إن التقرير لايتحدث عن استخدام القوة للدفاع عن «الأمن القومي» أو حتى عن «المصالح الأمنية».. إنما عن «المصالح الأمريكية»** عامة، وهو ما يعني أنها تشمل أيضا المصالح السياسية

والاقتصادية والاستراتيجية وغيرها دون تحديد ولايخفى التقرير أن الأخطار التى تهدد المصالح الأمريكية الحيوية أو تهدد حليف لها، «هى أخطار من الأرجح أن تنشأ فى صراع إقليمى وبتعريفها قد تتطلب تدخلا عسكريا».

ويضيف التقرير:

وعلى النقيض من ذلك فإن التدخل العسكرى فى صراعات عرقية أو حروب أهلية، حيث لنا مصالح مهمة ولكنها نادرا ما تكون حيوية يتطلب موازنة تلك المصالح فى مواجهة مخاطر ونفقات ينطوى عليها (التدخل) وبوجه عام فإن تدخل الولايات المتحدة (عسكريا) سيتم فقط بعد دراسة كاملة للعوامل المهمة التالية: **إذا كان التدخل يدعم المصالح الأمريكية، إذا كان التدخل سيحقق أغراضا أمريكية، إذا كانت المخاطر والنفقات تتناسب مع المصالح الأمريكية المهددة، وإذا كانت كل الوسائل الأخرى لتحقيق الأهداف الأمريكية قد استنفدت.**

إن خط الحد الأدنى هنا هو أن الولايات المتحدة قوة عالمية ذات مصالح عالمية، وكما قال الرئيس **كلينتون** فإن المشكلات التى تبدأ خارج حدودنا يمكن أن تصبح سريعا مشكلات داخلها، إن الزعامة الأمريكية، والحضور العالمى، والقوات المسلحة القوية يمكن أن تمنع المشكلات المحلية من أن تتحول إلى مشكلات لنا، وحماية أنفسنا إذا ما حدث هذا.

ويتدارك التقرير مؤكدا - نقلا عن الرئيس كلينتون - أن أمريكا لاتستطيع وينبغى أن لاتصبح شرطى العالم. إننا لانستطيع أن نوقف الحرب كل الوقت، ولكننا نستطيع أن نوقف بعض الحروب. لانستطيع أن ننقذ كل النساء، والأطفال ولكننا نستطيع إنقاذ كثيرين منهم، لانستطيع أن نفعل كل شىء ولكن علينا أن نفعل ما بإمكاننا.

تدارك كاذب، لأنه لا يتطرق بأى حال لما تعده الولايات المتحدة بإمكانها.

وتنتشر بين أقسام التقرير وفصولة مقدمة «الأخطار» التى تعتبرها تهديدا لمصالحها ولأمن حلفائها احتمالات تحول صراع إقليمى إلى صراع ينطوى على خطر استخدام سلاح نووى.

«إن من المهم بصورة حيوية أن تمنع صراعات إقليمية محتملة من أن تكتسب بعدا نوويا. لهذا عملنا بجد من أجل تجميد برنامج كوريا الشمالية النووى الخطير، وحينما يتم هذا التجميد سيزول البرنامج بأكمله. والجهود لخفض التهديد النووى تتضمن أيضا العقوبات ضد العراق وإيران وتتضمن مد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية إلى أجل غير مسمى وبلا شروط.

وعلى الرغم من أفضل جهودنا لخفض خطر أسلحة الدمار الشامل لايزال من الممكن أن تتعرض أمريكا مجددا - وكذلك قواتنا وحلفاؤنا- لتهديد هذه الأسلحة الرهيبة. لهذا كان من المهم للولايات المتحدة أن تحتفظ بقوة نووية أقل ولكنها أكثر فاعلية. ولايتعارض هذا مع خفض القوات النووية الأمريكية بنسبة كبيرة كما لايتعارض مع التأييد الأمريكى لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والحظر الشامل للتجارب النووية.

إن هذه الاستراتيجية النووية الفارقة تتكامل مع برنامج لتطوير نظام للدفاع الصاروخى يمكن نشره لحماية الولايات المتحدة القارية من هجمات محدودة إذا ما نشأ تهديد استراتيجى لأمتنا عن صواريخ «بلاستيكية» للقارات فى أيدى دول مارقة معادية».

أين يقع «الشرق الأوسط» فى استراتيجيات الأمن القومى الأمريكى كما يتحدث عنها هذا التقرير؟

إن للولايات المتحدة مصالح دائمة فى الشرق الأوسط، وخاصة فى السعى إلى سلام شرق أوسطى شامل يضمن إسرائيل وشركاء الولايات المتحدة العرب الأساسيين، ويحافظ على التدفق الحر للنفط بأسعار معقولة».

ولعله يجدر عند هذه العبارة طرح السؤال: هل يمكن أن يأتى وقت للتدخل لتأمين أسعار معقولة للنفط الذى تحصل عليه من الشرق الأوسط.. لمجرد تحديد أسعار النفط بما يتلاءم مع المصلحة الأمريكية وبصرف النظر عن عوامل السوق وقوانين العرض والطلب؟

ويصف التقرير ما يعتبره التكامل بين جهود الولايات المتحدة لتحقيق سلام شرق أوسطى كامل واستراتيجيتها المسماة **«استراتيجية الاحتواء الثنائى» لإيران والعراق» مما طالما ظلت هاتان الدولتان تشكلان تهديدا للمصالح الأمريكية أو بلدان أخرى فى المنطقة أو لمواطنيها. إن الاحتفاظ بالوجود العسكرى الطويل الأجل للولايات المتحدة فى جنوب غرب آسيا (التعبير المفضل فى دوائر البنتاجون لأنه يجمع بين الشرق الأوسط والخليج العربى) أمر حيوى لحماية المصالح الحيوية التى تشارك فيها أمريكا الآخرين فى المنطقة».**

وماذا عن أفريقيا؟

على الرغم من أن الولايات المتحدة لا تملك - فى الوقت الحاضر- (وهذه إشارة إلى أنها تنوى فى المستقبل أن تملك) وجودا عسكريا دائما أو كبيرا فى أفريقيا، فإنها ترغب فى الوصول إلى المنشآت وفى علاقات أقوى مع الدول الأفريقية عن طريق مبادرات كانت أو يمكن أن تكون مهمة فى حالة حدوث طوارئ، أو عمليات إجلاء. أن للولايات المتحدة مصالح كبيرة فى أفريقيا فى مواجهة الإرهاب الذى تدعمه دول وتهريب المخدرات وانتشار الأسلحة التقليدية و المواد الانشطارية وما يتعلق بها من تكنولوجيا. ويتعين على الولايات المتحدة أن تستمر فى العمل مع دول القارة للمساعدة فى ضمان المصالح الأمريكية».

ولاتوجد إشارة هنا إلى جانب ضمان المصالح الأمريكية تدل على ضمان مصالح دول القارة(...)

تشارك الولايات المتحدة بنشاط فى الجهود الرامية إلى الاستجابة للأسباب الجذرية للصراعات والكوارث التى تؤثر على المصالح القومية الأمريكية قبل أن تنفجر.

.. فقط الصراعات والكوارث التى تؤثر

إن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة القادرة على القيام بمفردها بعمليات عسكرية فعالة واسعة النطاق بعيدا كثيرا عن حدودها. **إن هناك وسيكون باستمرار حاجة كبيرة لقوات أمريكية لها هذه القدرات، ليس فقط لحماية الولايات المتحدة من أخطار مباشرة إنما أيضا لتشكيل البيئة الدولية بالسبل المواتية، وبالأخص فى الأقاليم ذات الأهمية الحرجة للمصالح الأمريكية».**

ينبغى أن تنشر القوات الأمريكية أو ترابط فى أقاليم رئيسية فيما وراء البحار فى زمن السلم لردع العدوان ولإظهار التزام الولايات المتحدة بحلفائها وأصدقائها ودعم الاستقرار الإقليمى وكسب الألفة مع بيئات العمليات فيما وراء البحار وتوفير القدرات الأولية - للاستجابة- فى التوقيت المناسب للأزمات.

ينبغى أن تكون الولايات المتحدة مستعدة لعمليات طارئة على نطاق واسع دعما للمصالح الأمريكية وتتضمن هذه العمليات - بين ما تتضمنه- عمليات قتالية أصغر نطاقا وعمليات متعددة الأطراف لحفظ السلام، وعمليات إجلاء غير قتالية وعمليات إنسانية للإغاثة فى حالات الكوارث.

وبينما تضاعف الولايات المتحدة جهودها لمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل وأنظمة إطلاقها فإنه يتعين عليها فى الوقت نفسه أن تحسن قدراتها العسكرية لردع ومنع الاستخدام الفعلى لهذه الأسلحة.

وفى النهاية فإنه لكى تلبى الولايات المتحدة كل هذه المتطلبات بنجاح ينبغى أن تكون القوات الأمريكية قادرة على الاستجابة السريعة وعلى العمل بطريقة فعالة أي أنها ينبغى أن تكون مستعدة للقتال. وهذا يتطلب أناسا على درجة عالية من الكفاية وتتوفر لديهم الدوافع، ويتطلب تجهيزات حديثة ومصانة جيدا، وعقيدة (عسكرية) مشتركة (أي كفاءة فروع القوات

السياسة الخارجية الأمريكية تقع تماما خارج إطار الديمقراطية الأمريكية والبنتاجون هو صاحب الكلمة النهائية

وقدرة حركية استراتيجية، وقدرات كافية للدعم والمساندة».

وأول مبادىء العقيدة العسكرية الأمريكية هو بالخط العريض **«الاستقرار عن طريق الوجود العسكرى الأمريكى فيما وراء البحار فى زمن السلم.. والمبدأ التالي مباشرة هو استعداد القوات المسلحة الأمريكية على أوسع نطاق للقيام بعمليات طارئة دعما للمصالح الأمريكية»**.

ماهى العمليات الطارئة؟ يسأل التقرير ليجيب وبالتحديد:

«العمليات الطارئة هى تلك العمليات العسكرية التى تذهب إلى أبعد من الانتشار الروتينى للقوات الأمريكية وأبعد من مرابطتها فى الخارج، لكنها لاتذهب إلى حد الحرب فى مسرح عمليات واسع النطاق.. وهى من المكونات المهمة للاستراتيجية الأمريكية، وحين يتم تنفيذها بطريقة انتقائية وبفاعلية يمكنها أن تحمى المصالح الأمريكية وتعززها.

ستحتفظ الولايات المتحدة دائما بالقدرة على التدخل المنفرد حينما تتعرض مصالحها لتهديد، كما أن الولايات المتحدة ستعزز مصالحها وتنجز مسئولياتها القيادية بتوفير

حلفاء وائتلاف مختار.

ستحتفظ الولايات المتحدة بالقدرة على القيام بعمليات قتالية على نطاق صغير منفردة أو بالتنسيق مع آخرين حينما تكون المصالح الأمريكية مهددة.

إن مرابطة القوات العسكرية الأمريكية وانتشارها فيما وراء البحار فى زمن السلم يبقى العامل الرئيسى فى استراتيجية الأمن القومى والاستراتيجية العسكرية القومية للولايات المتحدة. وكما ذكرنا آنفا فإن الوجود العسكرى الأمريكي فى زمن السلم فيما وراء البحار هو أظهر برهان واحد على التزام أمريكا بالدفاع عن مصالحها ومصالح حلفائها فى المناطق الرئيسية فى جميع أنحاء العالم».

هذه هى ملامح السياسة الخارجية الأمريكية كما ترسمها المؤسسة العسكرية.. لاتتغير بتغير الرؤساء، ولا تتغير بتغير الأغلبية المسيطرة فى الكونجرس لأن المؤسسة الدائمة التى لا يملك الناخبون الأمريكيون تغييرها، أو حتى تغيير قياداتها واتجاهاتها السياسية أو الاستراتيجية من خلال الانتخابات ليست فقط مجرد أداة تنفيذية لسياسة أمريكا الخارجية. أنما هى المخطط الرئيسى لها.

وإذا كانت نهاية الحرب الباردة قد أثبتت أن ثوابت الانفاق العسكرى الأمريكي تتجاوز قدرة أي رئيس أمريكي على تغييرها، فإنها تثبت أيضا أن ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية تتجاوز قدرة الرأى العام الأمريكى على إدخال أية تعديل عليها.

وبطبيعة الحال فإن الخطب الانتخابية تستطيع أن تعكس ماشاء المرشحون من آراء. فحرية الرأي مكفولة وحرية التعبير لاتكاد تعرف حدودا أو قيودا. **وتبقى خطط السياسة الخارجية الأمريكية واستراتيجية الأمن القومى ليست سوى أحد تسمياتها - خارج إطار معرفة الناخبين وخارج إطار المناقشة العامة.. وبالتالى خارج** إطار الديمقراطية



الصهيونية والناتو والانتخابات .. ووجـــوه أخـــرى عابـــرة

رسالة موسكو :

أحمد الخميسى

ثمة فتاة لا أعرفها ، لا تتجاوز السادسة عشرة، قصيرة، بجولة قصيرة، مضت تتواثب فى الشارع . رأيتها تنحنى بسرعة على علبة ورقية أمام عازف كمان فى مدخل محطة المترو ، أسقطت فيها ورقة بألف روبل وابتسمت تواصل طريقها بحيوية. أطار حنانها صواب العازف العجوز فاستدار بنظراته والنغم يطفر من قوسه المرتعش وراء البنت القصيرة. وعندما توارت فى كتل الزحام انقطع خيط النور عن اللحن.

كنت أقف والصحف تحت إبطى دونما هدف محدد حينما اشتبكت عيناى بعينيه لحظة . نطقت نظرته بلوم على شئ غير محدد قابلة أسف لاح فى نظرتى. ولم يعد من معنى لرقعة الشمس التى كنت أتدفأ بسخونتها فى ذلك اليوم.

*****

هل يخطر لإمرأة روسية بسيطة متعلقة ومتعبة تقف فى السوق لتشترى ورك دجاجة مجمدة أن قوت أطفالها جزء من السياسة العالمية؟ وأنه غدا موضوعا لحوار ساخن بين ألبرت جور نائب كلينتون، ورئيس الوزراء الروسى؟ وأن الورك الأزرق أمسى موضع نزاع عنيف بين شركات المزارعين الأمريكيين فى كاليفورنيا والحكومة الروسية؟ وأن اللوبى الصناعى فى الكونجرس الأمريكى تدخل فى الأزمة بقرارته؟.

لايطرأ لها ذلك الخاطر ، كما لا ترى إمرأة مصرية بسيطة فى رغيف خبزها أرقام الاقتصاد الأمريكى.

لكن المرأة التى تبحث لأطفالها عن أرخص غذاء يباع فى موسكو لا تدرى مع النساء الأخريات أن تلك الأوراك مصابة ببكتريا قاتلة تسمى« سالمونيلى» وأن أربعة آلاف مواطن أمريكى يموتون سنويا بسبب نفس الدواجن-وفقا لماكتبه الصحفى الأمريكى ميللر ستور -وبسببها يعانى خمسة ملايين آخرين داخل أمريكا من أمراض شديدة.

انها تقف فى المطبخ وتطهو راضية لأن الأولاد سيجدون ما يأكلونه عند عودتهم من المدارس . إنها تضيف ملحا للشوربة ولا تدرى أن وزارة الصحة الروسية قد أعلنت فى ١٤ مارس أن أوراك الدواجن الأمريكية المجمدة مشبعة بالبكتيريا الميتة، وأن المفتشين من القسم البيطرى بوزارة الزراعة قد أوصوا بضرورة وقف تراخيص تلك الأوراك الممنوحة للشركات الروسية. إنها تضع اللحم المعد فى الأطباق، لكنها لم تقرأ ما جاء فى تقرير الوزارة من أن المواصفات الصحية للأوراك التى تباع منفردة بكميات هائلة تتنافى مع أدنى الشروط الصحية. وعندما يأكل الأولاود فإنهم لا يعرفون أن وزارة الزراعة قد قررت الغاء التراخيص. وعندما تنام المرأة فى الليل فإنها لا تدرى أن ثورة عمت صفوف أصحاب مزارع الدواجن الأمريكية الذين يجنون أرباحا هائلة من بيع زبالة اللحوم لفقراء روسيا. وحينما قررت وزارة الزراعة الأمريكية إدخال طرق جديدة للتفتيش الصحى على الدواجن، هاج اللوبى الصناعى المرتبط بأصحاب المزارع داخل الكونجرس الأمريكى وساق الكونجرس لاستصدار مرسوم بتقليص نفقات وزارة الزراعة الأمريكية عقابا لها على اعترافها

> ** لكن المرأة التى تبحث لأطفالها عن أرخص غذاء يباع فى موسكو لا تدرى مع النساء الأخريات أن تلك الأوراك الأمريكية مصابة ببكتريا قاتلة..

بمرض الدواجن، وعلى تصريحها بأن ٢٤٪ من الدواجن الأمريكية مصابة بتلك البكتيريا. ولأن السياسة الأمريكية شديدة الحساسية تجاه كل «سنت» لم يتأخر رد فعل ألبرت جور نائب الرئيس كلينتون فصرح على الفور في ١٨ مارس بأنه: لابد من تسوية مشكلة لحم الدواجن الأمريكية وأن تلك التسوية ستمثل: «خطوة هامة تأتي في سياق مجموعة من الإجراءات الخاصة بتجارة الدواجن والطيور بين البلدين».

ومع تصاعد الأزمة التي تهدد بوقف تجارة الأوراك التي امتلأت بها الأسواق في علب كرتونية قذرة عارية تحت المطر، سافر إلى واشنطون وفد روسي حكومي برئاسة نيكشيلاف أفيلوف رئيس القسم البيطري، وهناك أصر الوفد على أن أوراك الدواجن مصابة. ولم يضع ألبرت جور وقته في محادثات لا طائل من ورائها، فأرسل برقية إلى رئيس الوزراء الروسي يقول له فيها إن: «الوفد الروسي الذي وصل واشنطون لإجراء المباحثات جاء دون أن يكون مستعدا»! وأن أفيلوف لم يلتزم بالاتفاق المبدئي الذي تم بين ألبرت جور وتشيرنوميردين! وهددت التصريحات الأمريكية الرسمية موسكو بأنها مالم تستورد الأوراك المريضة فإن واشنطون ستفرض ضرائب تصل إلى مائة بالمئة على السلع الروسية التي تدخل أمريكا وذلك كتعويض عن «الخسائر التي حاقت بأصحاب المزارع الأمريكية نتيجة للحظر الروسي على استيراد ذلك الصنف من اللحوم» وقررت الحكومة الروسية- لسبب ما- تغيير رئاسة وفدها، فنحت أفيلوف وعينت بدلا منه فلاديمير شيرباك النائب الأول لوزير الزراعة.

هل كان من الممكن أن يرد على عقل إمرأة تشتري في السوق أن الحكومة الروسية ستوافق على إعادة تصدير اللحوم المريضة لأن من مصلحتها أن تملأ معدة الناخب الروسي بغذاء رخيص؟ وأن ألبرت جور سيعلن- ليضمن للرئيس كلينتون أصوات المزارعين الأمريكيين في الانتخابات القادمة- أنه: «والرئيس الأمريكي راضيان عن نتائج المباحثات وأن تصدير لحم الدواجن سيتزايد لروسيا» جاء ذلك التصريح بعد أن اتفق الجانبان على مواصلة تصدير اللحوم المسمومة عام ٩٦ بنفس المستوى الذي كان عليه عام ١٩٩٥ أن تشدد أمريكا رقابتها على تلك السلعة لكي تتطابق مع المواصفات الصحية في روسيا! لا تدري المرأة التي تطعم طفلتها أن واشنطون عرضت وأن موسكو قبلت. ولا تدري أن جيوبا تنتفخ في كاليفورنيا وتطفح بالدولارات التي يربحونها، أو أن فيكتور ايلوخين رئيس لجنة الأمن البرلمانية صرح في نوفمبر ٩٥ بأن العصابات التي تسكر بمكاسب الأوراك تقوم سنويا بتهريب خمسين مليار دولار للخارج، وهو ما أكده في نوفمبر نفس تقرير خبراء البنك الأوروبي للإنشاء والتعمير حين أشار إلى أن المواطنين الروس (رجال المافيا) أودعوا في البنوك الغربية أكثر من ٤٣ مليار دولار خلال عام ٩٥ فقط. إن أقصى ما تعرفه هو ما تردده الاذاعة من أن الرئيس يلتسين يقوم بالإصلاح الاقتصادي.

*****

ثمة رجل تجاوز الأربعين اسمه نيكولاي الكسندروفيتش. كان عقيدا في الجيش السوفيتي. استيقظ ذات صباح- مع تقليص الجيش- فوجد نفسه دون عمل أو هيبة على قارعة الطريق. التقيت به مصادفة وهو يقود سيارته يتصيد زبونا لتوصيله من الشوارع. قال لي وهو يخبط فخذه بيده: «الشيوعيون تركوا لنا أقل القليل. تركوا لي سروالا واحدا هو كل ما لدي، الآن سيسرقه مني الديمقراطيون. ضاع نصف عمري مع هذا السروال، وسيضيع النصف الآخر دفاعا عنه.

لا تفارق روح الفكاهة الرئيس الروسي، وقد ضحكت روسيا طويلا عندما قرص يلتسين سكرتيرته في الكرملين وهو يعبر أمام عدسات التلفزيون، فقفزت مدهوشة من مقعدها بعينين مذهولتين. مرة واحدة ابتسم فيها يلتسين بجدية شديدة وذلك في مؤتمر شرم الشيخ حين تحدث بانفعال عن أن المجتمع الدولي لن يسمح لمجموعة من القتلة بوأد السلام. وقد حسب المجتمع الروسي تأييد يلتسين الواضح لاسرائيل ضد الرئيس. وتشابك ذلك مع الصراع القومي الروسي اليهودي، خاصة بعد أن تعرى نشاط المخابرات الاسرائيلية في روسيا مؤخرا.

اتضح للقارئ الروسي أن هناك- علاوة على جهاز شين بيت (المخابرات الاسرائيلية الداخلية) وجهاز الموساد (المخابرات الخارجية) جهاز آخر اسمه «ناتيف» نشأ في الخمسينات مباشرة بعد إعلان دولة إسرائيل وتخصص في مكافحة الاتحاد السوفيتي. وأشرف عليه أولا شاول أفيجور، ثم نيخميا ليفانون في السبعينات، ثم الجنرال لابيدوت جزار مذبحة دير ياسين المعروف. ويرأسه الآن ياكوف كازاكوف وهو من مواليد موسكو هاجر إلى اسرائيل عام ١٩٦٩

حسب المجتمع الروسي تأييد يلتسين الواضح لإسرائيل ضد الرئيس وتشابك مع الصراع القومي اليهودي الروسي خاصة بعد أن تعرى نشاط المخابرات الإسرائيلية في روسيا

. ومع أن الدولة السوفيتية قد زالت ، إلا أن الجهاز **«ناتيف»** ما زال يمارس أنشطته في روسيا ودول الرابطة ،وترصد له اسرائيل ٢٥ مليون دولار ميزانية سنوية لتجنيد العملاء وشن حرب دعائية على الشيوعيين وحزبهم. وبسبب من جهاز «ناتيف» الذي تعرى نشاطه في روسيا على إثر اغتيال البطل الفلسطيني **يحيى عياش** ،ولأسباب أخرى كثيرة ، **يتشبث العقل الروسي العام بالدور اليهودي الصهيوني كسبب رئيسي لازالة الاتحاد السوفيتي** .وتزدحم جدران المراحيض العامة في موسكو بعبارات يتقاتل بها الروس واليهود ويتوعدون بعضهم البعض ، ويوقع يهودي تحت عبارة يقول فيها **«لقد كنا في روسيا وسنظل فيها إلى الأبد جاثمين على قلوبكم»**،ويوقع روسي أسفل جملة: **قد هزمت روسيا نابليون وهتلر، وسنطردكم يوما من بلادنا**.

ويستمد الصراع الروسي اليهودي أسبابه من اعتقاد الغالبية الروسية بأنه- ليس من المصادفات- أن يكون أبو البيروسترويكا **الكسندر ياكفليف** يهوديا وهو الذي خطط ووجه كافة **سياسات جورباتشوف** ،ولا يعتبرونها صدفة أيضا تلك السيطرة الاعلامية اليهودية على أغلب وسائل الاعلام . أما فيما يتعلق بالانتخابات الرئاسية فإن اثنين من أربعة مرشحين لزعامة روسيا يهود، **وهما جريجوري يافلينسكي** زعيم يابلوكو ،**وفلاديمير جيرونوفسكي** الذي يقدر الروس أن دوره المرسوم له هو التشويه المتعمد للنزعات الوطنية الروسية . وقد هاجت رسائل الاعلام مؤخرا بسبب **«اتحاد الشعب الروسي»** بعد أن دعا العدد الأخير من جريدته **«الجرس»** لتأييد جينادي زيوجانوف رئيسا لروسيا لأنه «من عرق روسي نقي» ويجهر الاتحاد بموقفه العنيف ضد الصهيونية في صحيفته فيقول إن **«الصهاينة وحدهم هم المذنبون بعمد في الاخطاء والجرائم التي ارتكبها الحزب الشيوعي السوفيتي .. لكن الشعب الروسي سيطلق إن عاجلا أم آجلا رصاصته في جبين الصهيونية العفنة والماسونية القذرة»**.وتولت الصحف الروسية وذكرت السلطات بأن اتحاد الشعب وصحيفته يخرقان المواد الدستورية ١٣، ١٦ والمادة ٤ من قانون وسائل الاعلام. **ويحسب الكثيرون يلتسين في ذلك الصراع من فريق الصهيونية** .وعندما تخرج مظاهرات الشيوعيين والقوميين فإن اليافطات التي يحملونها غالبا ما تضع **النجمة السداسية الى جوار صورة يلتسين وجورباتشوف** ، حكما بسياساته الفعلية أو انطلاقا من أن نائينا زوجة يلتسين يهودية. وعندما تجير مشاعر الانكسار والهوان القومي والحروب والبطالة والانهيار الاقتصادي المواطن على مقارنة أوضاعه المعيشية السابقة بظروفه الحالية، فإنه يتعلق- من الاختمار المعقد لأسباب انهيار الماضي باليهود كسبب رئيسي في الكارثة التي يحياها الآن . وتغذي الانهيارات الكبيرة التي لا تعقل التصورات الشعبية السهلة .

وتتدخل عناصر أخرى كثيرة في ترويج تلك التصورات منها أن اليهود قد اشتروا الكثير من المؤسسات التي خصخصت تحت مختلف اليافطات ،والكثير من الصحف والقنوات التلفزيونية مشاركة مع الأمريكان أو غيرهم .ويثبت للمواطنين الروس صحة مشاعرهم تلك عندما يرون التأييد الغربي والأمريكي للرئيس الروسي في حملته الانتخابية الرئاسية ، بإيفاد كبار قادة الدول الأوروبية مثل**هلموت كول** لزيارة موسكو وإعلانهم صراحة عن أن يلتسين مرشح الديمقراطيين وضمانة الاصلاحات ويستشعر المواطن في هذا التأييد بدعم الغرب لاستمرار الأوضاع الحالية التي يعاني كل خامس مواطن في ظلها من الجوع ،ويصنف كل ثاني مواطن روسي باعتباره معدما . وقد تبين ذلك الدعم بوضوح عندما **وافق صندوق النقد الدولي على استخدام جزء من قرضه الأخير** لروسيا (أكثر من عشرة مليارات)**لصرف الرواتب المتأخرة لمستحقيها**.وقد نجح القائمون على التخطيط لحملة يلتسين في تصوير حركته بوصفها صعودا إلى أعلى ، انتقالا من تأييد حوالي ١٠٪ فقط من الرأي العام له ، إلى حوالي ١٨٪ مؤخرا بعد حركته النشيطة ووعوده السخية بتعديل مجرى الاصلاحات ومحاربة الفساد. ولكن التزايد المرسوم لاعداد أنصار يلتسين يتم في المدن الكبرى فقط. لكن نجم يلتسين الذي يلمع في المدن ينطفئ في القرى والريف الروسي . وفي مدينة **فلاديميرونسك** نظمت مجموعة من أعضاء حزب الحكومة**«روسيا بيتنا»** لقاء لمناصرة يلتسين ، وجمعت في إحدى القاعات عددا كبيرا من المواطنين. وتساءل فلاح بسيط :**«قولوا لنا عن شئ واحد، أي شئ ، تحسن خلال عهد يلتسين؟»** وتلجلج الداعية الحكومي ثم قال: «خذ مثلا حرية السفر لقد أصبح بوسع أي انسان الآن السفر إلى بلغاريا أو أي بلد دون عقبات» ودوت قهقهة جماعية بأعلى صوت في القاعة التي ازدحم نصفها بمن فقدوا عملهم ونصفها الآخر بمن لا يحصلون على رواتبهم . وجلجل صوت فلاح يقول: يا رجل عن أية بلغاريا تتكلم ونحن لم نعد قادرين على زيارة حتى موسكو بسبب الغلاء؟ بلغاريا قال!».

أما **زيوجانوف** فإن نسبة المؤيدين التي بدأ بها حملته (٢٢٪) ظلت ثابتة لا ترتفع منذ يناير حتى أبريل الحالي حكما باستطلاعات الرأي العام التي لا يدري أحد مدى دقتها. ولكن مشكلة زيوجانوف الحقيقية ليست في استطلاعات الرأي العام . ويعود انحساره أو عدم تقدمه لأسباب أخرى منها **أن برنامجه (بغض النظر عن الشعارات العامة) يتسم بالغموض** . وبينما تتصور غالبية السكان وضع روسيا في ظل يلتسين غدا . فإنها لا تتصور بالدقة كيف ستكون الأوضاع في ظل زيوجانوف غدا. **هل سيقوم بالتأميمات ؟ هل ستكون تأميمات جزئية؟ هل سيواصل تقليص القوات المسلحة؟** .إن زيوجانوف يعلن أنه سيضع حدا «لكل مظاهر السياسات المعادية للشعب ولمصالح روسيا الوطنية» . **لكن ماذا سيفعل زيوجانوف بالضبط خلال نصف عام من حكمه ؟ لا يدري أحد** : ان شعاراته وتصريحاته تروغ من ناحية إلى أخرى ، وان كانت مشبعة بالنوايا الطيبة. كرجل يجلس أمام محقق لينفي تهمة ألصقت به .ويعود ذلك بدرجة أو بأخرى إلى أن **حزب**

زيوجانوف أقرب إلى تجمع يتكلم بعدة لغات ،ويتألف عمليا من قوى متعددة تضم الأصوليين المتالينيين، ودعاة العودة إلى النموذج اللينيني حصرا ، والاشتراكيين الديمقراطيين ،بل والديمقراطيين الليبراليين ،ودعاة بعث الدولة السوفيتية ،وغيرهم .وبسبب من تلك التركيبة المتنافرة التي تشبه عشرة خيول تجرى بمركبة واحدة في اتجاهات مختلفة فإن موقف زيوجانوف وحزبه غير واضحين في الواقع الفعلي ، حتى أن **الناخبين لا يستطيعون شيئا فشيئا الامساك بشئ قاطع من زيوجانوف سوى أنه «ضد يلتسين»** ، وأنه صدى من رنين السنوات التي زالت . لكن ما الذي يقوله الصدى؟.

وعلى حين استفاد يلتسين عندما استخدم ألوان الصبغة الشعبية من علبة زيوجانوف مدعيا أنه سيعنى بأوضاع الفئات المطحونة ، فإن **زيوجانوف** لم يكسب شيئا بل وخسر عندما غمس أصابعه في علب مكياج يلتسين الديمقراطي ولون منها وجهه الانتخابي . وقد أدى إلى شعور الكثيرين بغموض زيوجانوف ، كما اثبت تاريخ حزبه أنه يفتقد القدرة أو الرغبة الحقيقية في الصدام مع الحكم .وتصلح نموذجا على ذلك التأرجح الاجابات التي قدمها زيوجانوف على أسئلة **مايفر باركيرنيس** تحرير **نيوزويك** الأمريكية عدد ١١ مارس.

يسأله مايفر: يخشى الكثيرون أن تعود عقارب الساعة إلى الوراء في حالة فوزكم بالانتخابات الرئاسية؟ فيقول زيوجانوف : ترى هل أبدو غبيا إلى هذه الدرجة؟» وحتى لو صوت الجميع غدا لصالح عودة عقارب الساعة للخلف فإن ذلك لن يحدث.. إن أوضاع اليوم تختلف عن أوضاع الأمس وسيقع المرء في أول حفرة تصادفه اذا ما مضى للأمام برقبة مشدودة للخلف» إن **حرص زيوجانوف على استرضاء الدوائر الغربية وتقديم نفسه باعتباره ديمقراطيا يفقده ترسانته الوحيدة الحقيقية ، وحرصه على الايحاء للجماهير بأنه يضمر غير ما يقول يفقده تأييد الغرب أيضا.**

ولا يسع زيوجانوف أن يقدم حلا لأزمة الفكر الاشتراكي ،وهو حل لا يوجد بعيدا عن دائرة الصدام الذي يتفاداه .ومع ذلك -ان جاز استخلاص جوهر التأرجحات اليسارية تلك- من ضباب تصريحات زيوجانوف فإن برنامجه الفعلي لابد أن يقوم على أعمدة التجربة الصينية :**الدولة -الحزب- السوق.**

****

في ٥ مارس كان يلتسين وزيوجانوف منهمكين في حملتهما الانتخابية عندما رقدت طفلة في التاسعة هي«**أرينا**» شاحبة ،وعندما أعرب الاتحاد الأوروبي في نفس اليوم عن امتعاضه من تصريحات **تشيرنوميردين** التي جاء فيها أنه سيزيد الجمارك على الواردات الى عشرين بالمئة، كانت آرينا تتنفس بصعوبة في قرية روسية نائية هي«**فيرخ ناريم**» الواقعة وراء الهايكال . وقام أبوها باحتضانها لحظة، ولم يكن بوسعه أن يقدم لها شيئا لأنه عامل زراعي بسيط لم يتسلم راتبه منذ ديسمبر ١٩٩٥ . عصر ذلك اليوم **اثار ضجة تصريح لمسئول روسي أعلن فيه أن تسعمائة طن من الذهب قد هربت من روسيا عام ٩٥ وحده . مساء نفس اليوم توفيت أرينا الصغيرة**،وقبل أن تواريها القرية التراب فحصها الأطباء، وانتهوا في تقريرهم الطبي إلى أن **سبب موتها الوحيد هو : الجوع** في اليوم التالي نشرت صحيفة ترود الخبر في صفحتها الأولى وعلقت «قد لا يصدق أحد ذلك، لأنه لا يعقل».

*****

كانت بولندا مقرا لحلف وارسو الذي استمر وجوده ٣٦ عاما منذ تأسيسه في مايو ١٩٩٥ حتى حله في يوليه ١٩٩١ . حينذاك كانت وارسو رمزا للقوة السوفيتية الممتدة في أوروبا الشرقية . لكن بولندا بالذات هي التي أصبحت تمثل اليوم مصدر الخطر الأول على روسيا . فالحديث عن توسع حلف الناتو شرقا يدور فعليا عن بولندا أساسا . فقد استثنى الحلف سلوفاكيا من تعداد الدول المرشحة لعضويته في القريب العاجل ، كما أدان براتسلافا لانها لا تلتزم بحقوق الانسان ، أما براغ فما زال موقف الناتو منها غير محدد نظرا لمشاعر العداء الشعبي فيها تجاه الحلف . ويتمسك القادة العسكريون للناتو بعدم قبول المجر لأنها تفتقد مخرجا على البحار مما يجعل الحلف عاجزا عن الدفاع عنها ويجعلها هي الأخرى عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه الحلف ولا تنطبق شروط الحلف أيضا على تشيخيا . وهكذا فإن قلب التوسع هو بولندا أساسا .وتلوح خطورة ذلك التوسع على روسيا لأن لبولندا حدودا مشتركة مع روسيا البيضاء التي تقود مباشرة إلى الأراضي الروسية، وحدودا مشتركة مع روسيا نفسها عبر ميناء كالينجراد المطل على بحر البلطيق . الميناء الذي كان أصلا مدينة ألمانية مسماة «كينس بورج» ضمت عام ١٩٤٥ إلى الاتحاد السوفيتي . وهو ميناء صغير تحيطه ليتوانيا من ناحية وبولندا من ناحية أخرى، لكنه لا يتصل مباشرة بالأراضي الروسية ولم تكن تلك مشكلة عهد الاتحاد السوفيتي ، فقد كانت الدولة موحدة من ناحية،وكانت السكك الحديدية عبر ليتوانيا تكفل اتصال روسيا بالميناء. لكن المشكلة برزت بانفصال دول البلطيق،وساعتها اتضحت عزلة الميناء الذي يمثل مع بطرسبورج المخرجين الروسيين الوحيدين على بحر البلطيق.

ولهذا اهتمت موسكو بالاتحاد مع بيلاروسيا واقترحت على بولندا أن يمتد طريق من بيلاروسيا عبر لولندا إلى ذلك الميناء ، لكن بولندلا، رفضت الاقتراح علاوة على موقفها الثابت واعلانها المستمر عن أنها ستنضم إلى الناتو. **وبانضمام بولندا للحلف فإن روسيا لا تفقد الميناء فحسب فعليا ، ولكنها تصبح تحت نيران قوات الحلف مباشرة عبر الحدود البولندية مع روسيا أو مع روسيا البيضاء.** من هذه الزاوية تحديدا كان الاتحاد مع روسيا البيضاء مخرجا ضروريا لروسيا لكي لا تختنق ،ولكي لا تترك بيلاروسيا للحلف . أي أن المطلوب كان وضع روسيا البيضاء كحاجز بين روسيا وبولندا . ولم يكن الاتحاد كما يصوره يلتسين أو الآخرون عملية استنهاض لرابطة الدول المستقلة ، يقوم فيها اتحاد البلدين بدور

القاطرة التى تجر ورائها باقى دول الرابطة. **فالحديث عن رابطة أو منظمة إقليمية تملأ الفراغ السياسى والعسكرى فى الأراضى السوفيتية بدلا من الاتحاد السوفيتى غير وارد فعليا من دون أوكرانيا** ،أكبر ثانى دولة صناعيا وسكانيا بعد روسيا . وقد **أبحرت أوكرانيا بعيدا عن روسيا تجاه أمريكا ، حتى أنها أصبحت تحتل المركز الرابع بين الدول الاجنبية التى تتلقى المساعدات الأمريكية.** وقد وصل أوكرانيا حتى الآن مليار و٥١٤ مليون دولارمساعدات أمريكية ،وتعتزم واشنطون أن تقدم لها تسعمائة مليون دولار أخرى لتساعدها فى تفادى العجز فى الميزانية ،ويعلن **الرئيس الأوكرانى كوتشما** صراحة أن بلاده ستنضم للناتو ، وأن أمريكا هى المظلة التى تضمن لأوكرانيا استقلالها السياسى.

والحديث عن دور لرابطة الدول من دون أوكرانيا يشبه الحديث عن الوحدة العربية من دون مصر، ومن ثم فإن الاتحاد روسيا - وروسيا البيضاء ليس خطوة نحو انعاش منظمة إقليمية، وعلى العكس فإن تلك الخطرة تمثل النقلة الأخيرة فى تاريخ الرابطة التى ظهرت فى ٨ ديسمبر ١٩٩١ وضمت اثنتى عشرة دولة، تقلصت إلى أربع دول باتفاقيات التكامل بين روسيا وروسيا البيضاء وقرغيزيا وكازاخستان فى ٢٩ مارس٩٦، ثم تقلصت إلى دولتين بالإعلان عن اتحاد الدولتين السلافيتين فى ٢ أبريل٩٦، ومع أن الرابطة تمثل نظيرا «التكامل» ، والائتلاف الرباعى الأوروبى - الأسيوى يمثل «تعميق التكامل» ، والاتحاد الثنائى يمثل «أرقى أشكال التكامل» إلا أن تلك الفكرة للاستهلاك المحلى، لأن قرغيزيا وكازاخستان لاتعتزمان صراحة المضى أبعد من حدود التكامل الفضفاض مع روسيا وروسيا البيضاء، **والسبب الحقيقى فى الاتحاد الثنائي هو رغبة روسيا فى تفادى زحف الناتو المباشر إليها بوضع روسيا البيضاء حاجزا فى مواجهة بولندا .**

ترى كم ستتكلف عملية التطويق

اختلاف موسكو ووارسو حول الموقف فى الناتو

الأمريكية لروسيا بقوات الحلف الأطلسى؟ أو كم سيتكلف توسيع الناتو؟

تعلن الجهات الأمريكية أن تكلفة التوسع ستكون فى حدود سبع مليارات دولار، وبداهة فإن أمريكا لاتفترض أنها ستتحمل - وحدها- ذلك العبء، إذ أنها تنفق سنويا حوالى عشرة مليارات على استبقاء قواتها المرابضة فى أوروبا وحوالى أربعة مليارات معونات عسكرية، لكن المليارات السبع المعلن عنها أقل بكثيرا جدا من التكلفة الحقيقية لتوسع الحلف. ويشير تقرير لمؤسسة **«ريند كوبريشن»** الأمريكية إلى أن تطوير الهياكل العسكرية الارتكازية فى بلدان شرق أوروبا سيكلف لا أقل من عشرين مليار دولار بالرغم من توافر الطرق والمخازن والممرات فى تلك البلدان . **وسيخصص سبعون بالمئة من هذا المبلغ لبولندا بالذات (رأس الرمح الموجه لروسيا)**، وتقدر نفس المؤسسة أنه وفقا لاحتمال آخر مطروح بنشر قواعد القوات المتقدمة وبناء مطارات جديدة فإن التكلفة سترتفع إلى خمسين مليار دولار. أما الاحتمال الثالث القاضى بأكبر قدر من نشر القوات والأسلحة الحديثة فإنه سيكلف حوالى مائة مليار دولار. ويؤكد تلك الإرقام مجلس المعلومات الأنجلو - أمريكى لشئون الأمن بلندن، والمركز **الأوروبى للأمن ونزع السلاح ببروكسل،** ويجزم تقرير بروكسل بأن التكلفة لن تقل بحال من الأحوال عن سبعين مليار دولار، وأنه سيتعين على كل دولة منضمة خلال ذلك أن تدفع ثلاثة مليارات فى المرحلة الأولى التى سيجرى فيها إعدادها للانضمام، أما بولندا فستدفع علاوة على ذلك مائتى مليون دولار إضافية سنويا

وعندما وصل الرئيس البولندى **الكسندر كفاشنيفسكى** إلى روسيا فى أول زيارة رسمية فى ٨ أبريل، والتقى بالرئيس الروسى، فإن اللقاء انتهى باحتفاظ موسكو ووارسو بموقف كل منهما المختلف بشأن توسيع الناتو.

*****

ثمة امرأة مسنة حرثت التجاعيد جبينها متلفعة ببالطو قديم وعلى رأسها طرحة، امرأة تشبه ملايين النساء، ولاتشبه أحدا سوى نفسها، وقفت عند مشارف قرية **«تسيرنوفودسك» الشيشانية** ترقب من بعيد توائم بيتها الوحيد تتقصف تحت قنابل الطائرات الروسية. تطلعت مرة أخيرة إلى سنوات حياتها وقد تصاعدت منها أعمدة الدخان، ثم جرجرت خطواتها لتلحق بقافلة من عشرة آلاف شخص مهاجر يحمل كل منهم طفلا على كتفه أو صرة ملابس وخبز، يزحفون نحو إنجوشيا المجاورة دون أمل، لأن العمر يكفى للحب مرة واحدة، ولتربية الأولاد مرة واحدة، ولإقامة البيوت مرة واحدة .

لقد محا الجيش الروسى منذ بداية الحرب أواخر ٩٤ حتى الآن أكثر من ثلاثمائة وسبعين مركزا سكانيا من أصل أربعمائة وعشر مركزا، وسقط ستون ألف إنسان مدنى قتيلا، وتحول نصف مليون إلى لاجىء مشرد .

*****

ثمة فتاة لا أعرفها، لا تتجاوز السادسة عشرة ، قصيرة، بجونلة قصيرة، توارت فى الزحام أمام عينى مسرعة، لايدرى أحد كيف تفكر فى كل هذه المشكلات، وكيف ستحلها، فتاة صغيرة مبتسمة تريد أن تحيا سعيدة فى ربيع كسا الأشجار بالخضرة والضوء .

الوحدة لبيع القطاع العام فى مصر وتجربة الوحدة الألمانية

منذ عشرات السنين لايتوقف الجدال حول القطاع العام .. وتساق الحجج المتضادة لإثبات ضرورته أو استحالته، وللبرهنة على كفاءة مشاريعه أو فشلها، ويطرح السؤال حول «حتميته التاريخية» أو تقدم الأدلة على عدم مشروعيته. ومنذ انهيار دول الاشتراكية والهزيمة التى تلقاها الفكر الاشتراكى إثر ذلك لم يعد هناك نقاش.. وصدق **الكثيرون أن الرأسمالية واقتصاد السوق الحر والملكية الخاصة هم النظام الطبيعى والأبدى للعالم..** وأى شىء آخر هو من الأحلام الطوباوية أو من التجارب المضمون فشلها.

القطاع العام/ اختراع رأسمالى

ولكن الليبرالية الاقتصادية المطلقة التى ينادون بها فى الغرب لاتعدو أن تكو أكذوبة كبرى. الحرية المطلقة لقوانين السوق ووقف تدخل الدولة فى الاقتصاد وإزالة القطاع وفتح الحدود لرؤوس الأموال وللسلع من أي حدب وصوب وترك كل شىء ليقرره من يملك رأس المال.. هذه الوصفة التى تريد فرضها على بلادنا ا لمؤسسات المالية الغربية المهيمنة لايجرى تنفيذها فى بلدان أصحابها. وفى كل البلدان المسيطرة على البنك الدولى **وصندوق النقد الدولى وظيفة اقتصادية للدولة ووجود للدولة فى أهم قطاعات الاقتصاد، ولايتقرر أي شىء سياسى أو اقتصادى ذو وزن استراتيجى بدون الدولة.**

وسواء كانت المشكلة هى أزمة صناعة الطائرات فى ألمانيا أو أزمة جنون البقر فى بريطانيا فإن الوجود القوى للدولة فى البنية الاقتصادية ودورها الحاسم فى تحديد السياسات يفصح عن نفسه كل مرة. ولو تركت صناعات الطائرات لحالها أو لو ترك مربو الأبقار فى بريطانيا لمصيرهم لحلت كارثة اقتصادية بالمنتجين وبأقاليم كاملة ترتبط بهذه الفروع الاقتصادية. والمقرر فى حالة الأبقار البريطانية هو أن كل حكومات بلدان الاتحاد الأوروبى ستتضامن فى تعويض الخسائر مع الدولة البريطانية. وليس هذا أمرا جديدا، **فلا بقاء لمعظم قطاع الزراعة فى أوروبا الغربية دون دور الاتحاد الأوروبى الذى يقدم دعما ماديا لمنتجى الزيتون فى اليونان والنبيذ فى أسبانيا ولمربى الخنازير فى ألمانيا وزارعى القمح فى كل دول الاتحاد الأوروبى، كما ويدفع لفلاحى فرنسا وألمانيا لابقاء أراضيهم بورا ليتحكم بذلك فى حجم الإنتاج والأسعار.**

هذه الممارسات طبيعية جدا فى دول أوروبا الرأسمالية، فتدخل الدولة فى الاقتصاد، وفكرة دعم الأسعار، والقطاع العام ليسوا من اختراع الاشتراكيين. والإلكان بسمارك أول مستشارى ألمانيا فى القرن الماضى من أوائل الاشتراكيين والمعروف عن هذا السياسى أنه أول من أصدر قانونا يحرم الفكر والتنظيم الاشتراكى وفى الوقت ذاته أسس القطاع العام ليتمكن من إنشاء شبكة السكك الحديدية فى ألمانيا، وليستطيع دفع عملية التصنيع.

وعالميا نشأت ضرورة القطاع العام بفعل الحاجة الموضوعية لتركيز القوى والإمكانيات لتطوير القوى المنتجة.. وكان القطاع العام بالفعل وراء عمليات التطوير الجبارة للقوى المنتجة فى معظم بلدان العالم بغض النظر عن نظامها الاجتماعى. وكان وراء تطوير اقتصاد الدول المستقلة حديثا فى الستينات، وظل عماد القدرة الاقتصادية الذاتية خاصة فى المجالات التى تحتاج لاستثمارات ضخمة والتى تملك أهمية استراتيجية اقتصادية وسياسية مثل المواصلات، والطاقة، وسائر مجالات القاعدة الارتكازية، والتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا العالمية، والرعاية الصحية والاجتماعية والخ.

والحجة الرئيسية التى يريدون بها دفع حكومات العالم الثالث لبيع الملكية العامة هى القول **بفشل القطاع العام فى تطوير الاقتصاد**، ويضاف لهذا كبديهية لا تحتاج نقاش **القول بأن القطاع الخاص أكثر كفاءة**. مع وجود ما يكفى من شواهد على ضعف العديد من مؤسسات القطاع العام فى البلدان النامية والمتطورة إلا أن **الخصخصة وحدها ليست الدواء السحرى لأمراض ضعف الكفاءة الاقتصادية، وبالطبع فإن مجرد وجود قطاع عام ليس ضمانا لتحقيق مصالح الشعب**. والقطاع العام (ملكية الدولة) لايمثل ملكية عامة إلا بقدر عمومية وظيفة الدولة، وبقدر خضوع الدولة الرأسمالية للرقابة الشعبية. وكما لايوجد قطاع عام يهوى فى الفراغ ضامنا نجاحه من تلقاء ذاته، أو محكوم عليه بالفشل منذ الميلاد، لايوجد قطاع خاص معصوم من الفشل أو مضمون الفعالية.

وكل ملكية سواء كانت عامة أم خاصة لها تاريخ، لها نشأة وتطور وسمات حركة تميزها إلى جانب القوانين العامة التى تحكمها. والتحذير من تصفية القطاع العام لايعنى رفض وجود ونمو القطاع الخاص. وواقع الأمر أن القطاع الخاص ينمو فى كل البلدان فى وجود القطاع العام وتحديدا بفضل هذا الوجود، والخلاف الحقيقى هنا هو مدى اتفاق بيع فروع استراتيجية من القطاع العام مع المصلحة الوطنية، ومدى مشروعية عملية نزع ملكية الشعب.

وتاريخ نشأة القطاع العام يبرر وصف بيعه بأنه نزع لملكية الشعب، إذ يجب اعتبار الثروة القومية المتجسدة فى القطاع العام بمثابة صندوق توفير كونه الشعب من دخله، وبالفعل كان تبرير الأجور المنخفضة بالنسبة للبلدان المجاورة، أن كل ما نبنيه لنا وعلينا أن نتحمل أننا نبنى بلدنا. كل ما أنفقه العاملون من دخولهم لبناء هذا القطاع العام

(بقبولهم بالأجور المتدنية) هو حقهم وقد قدمت حكومة تشيكيا اسهماً للعاملين تضمن نصيبهم في قيمة المصانع التى أسهموا في إنشائها أو العمل فيها.

كيف اختفت ملكية الشعب

أسرع وأشمل عملية خصخصة شهدها التاريخ هي التى تحققت في شرق ألمانيا بعد الوحدة. هنا تم تنفيذ تصورات صندوق النقد الدولي عن الخصخصة فورا وبالكامل دون أي تنازل. وهنا - **وبالرغم من مئات المليارات التى خصصتهاحكومة ألمانيا المتحدة لكيلا يحدث انهيار شامل ولتفادي أزمة اجتماعية وسياسية - حلت كارثة اقتصادية واجتماعية وثقافية ستظل تعاني منها كل ألمانيا لعشرات من السنين**.

فى نهاية عام ١٩٨٩ كانت الملكية العامة (ملكية الدولة والملكية التعاونية) فى ألمانيا الديمقراطية تحوز على ٩٦٪ من الصناعة والصناعات الحرفية و٧٥٪ من قطاع التشييد و٩٨.٣٪ من المواصلات والبريد والاتصالات و٧٣.٦٪ من التجارة الداخلية و٢٣.١٪ من الزراعة والغابات و٩١.٣٪ من بقية القطاعات المنتجة.

بعد الوحدة تغير كل شيء!

مباني المصانع التى لا زالت قائمة يستخدم أغلبها الآن فى أغراض أخرى أو تحول إلى بيوت أشباح. المالكون الجدد أرادوا الاستيلاء على السوق فاشتروا المصانع «بتراب الفلوس» وأغلقوها لتصريف إنتاج مصانعهم القائمة في الغرب. والمزارع إما أنها تصارع لتعيش أو تحولت إلى أرض بور مثل منطقة بورتن قرب مدينة درسدن والمشهورة بمزارع التفاح... والتى أصبحت في خبر كان بعد أن دفن الملاك الجدد مئات الآلاف من أشجار التفاح فى الأرض لإزاحة هذا المنافس من السوق.

ونشأ أعجب هيكل ملكية: بعد مذبحة القطاع العام في ألمانيا الشرقية ذهب **أكثر من تسعة أعشار الثروة القومية الصناعية إلى مالكين من الغرب وما بقى لأهل الشرق يقل عن العشر**.

لم تكن أي فرصة أمام سكان الشرق ليشتروا هم «ملكيتهم الشعبية».. نمط الحياة فى المجتمع الاشتراكى لم يخلق الحاجة ولم يوفر الإمكانية عند الأشخاص ليدخروا أو يكونوا رأسمال ، الدخول كانت قليلة أو متوسطة ولكن الأسعار ثابتة عند مستوى منخفض أو محتمل. **لا أحد يستطيع طردك من شقتك حتى لو لم تدفع الإيجار. مكان العمل كان ثابتاً ومضموناً وكذلك كان العلاج. والتعليم مجانى والطلبة يحصلون على منح دراسة.** الملكية الخاصة لم ينظر لها على أنها ضمان للحياة. نمط الحياة والفكر السائد والمثل التى احتلت مكانة سامية فى الفكر الاشتراكي كانت تريد تربية الناس على العمل طول العمر من أجل هدف عام، ليس من أجل الاثراء الشخصى ولكن من أجل اثراء المجموع.. المجتمع قبل الفرد. نحن قبل أنا وكانت هذه القيم رائجة إلى حد لايستهان به قبل أن تظهر أزمة الاشتراكية على السطح ويأتى مع الأزمة فقدان الثقة فى آفاق الاشتراكية ويبدأ البحث عن قيم أكثر عملية.

تكتب **كريستا لوفت** عضو البوندستاغ الألمانى عن حزب الاشتراكية الديمقراطية ووزيرة الاقتصاد فى آخر حكومة اشتراكية فى ألمانيا الديمقراطية: «لايوجد فى أوروبا اليوم إقليم كبير وسائل إنتاجه مملوكة بمثل هذه النسبة الهائلة لشركات خارجية». لقد نشأ اقتصاد تابع معرض بشكل خاص لتقلبات السوق .

اقتصاد كامل لدولة صناعية، بل بلد كامل بما فيه من مصانع ومزارع وبيوت أصبح ملكا أو رهنا للبنوك ولمؤسسات مقرها فى الغرب، هذه هى نتيجة عملية الخصخصة الألمانية .

العملية التى جرى تبريرها بضرورة إحلال نظام ناجح مكان نظام فاشل انتهت بأن تحطم **مؤشرات البطالة كل أرقام قياسية جرى رصدها فى ألمانيا حتى الآن (٦ ملايين سنة ١٩٣٢)، العدد الرسمى للعاطلين الآن تجاوز ٤.٣ ملايين (منهم أكثر من مليون فى الشرق) والعدد الحقيقى للذين بلا عمل يفوق الآن الثمانية ملايين حسب الملحق الاقتصادي للقناة الثانية فى التليفزيون الألمانى ZDF (٤/١٠)** ولكن شبح البطالة سيلقى بظله على أعداد أكبر رغم الحديث المتواصل عن برامج مكافحة البطالة. ومهندسو الليبرالية الاقتصادية يقطعون أوصال نظام اقتصاديات السوق الاجتماعية. ولم يعد هناك محرمات، قبل أن يقدم تحليل رصين للأرقام المنشورة عن انفجار الانفاق العام لمعرفة الأسباب الفعلية يقوم مهندسو الليبرالية «الأصوليون» بتصميم **الضرائب الجديدة الأعلى والمعاشات الأقل، والرعاية الصحية الأغلى**.

فى هذا الوقت بالذات تتوجه الأنظار إلى الشرق الذى ظلوا يقولون أنه سيكون موتور التنمية فى ألمانيا، ومهد المعجزة الاقتصادية الثانية. وتمسك الأزمة بكافة مجالات الحياة الاجتماعية **لينخفض معدل المواليد بعد الوحدة إلى النصف! ولينتشر شرب وإدمان الخمر بين المتعطلين والشباب كما تنتشر الجريمة بمعدلات لم يعرفها شرق ألمانيا فى تاريخه، الدمار لم يحل فقط بالقيم المادية إذ مع فقدان ملايين أماكن العمل فى المصانع والمزارع أغلقت آلاف من مؤسسات الفن والثقافة والتربية أبوابها. والتى بطبيعتها ليست مؤسسات ربحية كالمسارح والفرق الموسيقية واستوديوهات السينما ودور النشر والمكتبات ورياض الأطفال وغيرها.**

الثروة القومية لألمانيا الديمقراطية قدرتها آخر حكومات برلين الشرقية بما قدره ١٣٠٠ ألف مليون مارك (أى ١٣٠٠ مليار) (نحو ٨١٢٥٠ مارك لكل مواطن). وقدرها بعد الوحدة الرئيس الألمانى الغربى لهيئة الوصاية على القطاع العام أو (ملكية الشعب) بنحو ٦٥٠ مليار مارك.. هذه الثروة القومية باعتها هيئة الوصاية وكانت الحصيلة حسب تقرير الهيئة المذكورة بالسالب أي خسارة ٢٧٠ مليار مارك أى أن بلدا كاملاً بيع بالخسارة..

لعل هذا يبين الأبعاد العبثية اللامعقولة لما يمكن أن يحدث لو اندفعت حكومتنا فى الخصخصة دون خطة تستهدف تكييف بنية الملكية بما يتماشى مع مصالحنا القومية ومصالح الشعب الاجتماعية، وتضع فى الاعتبار الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المترقبة للخصخصة.. **ولكن ألا يحتاج قرار استراتيجى مثل هذا يؤثر على مستقبل البلاد لعشرات السنين - ألا يحتاج لما يشبه الإجماع؟**

هل هناك من يضمن لنا ألا تأتى الذكرى الأربعون لتأميم قناة السويس - لنجد وشركة قناة

السويس» نرنسية!

اليد الأمينة

في عدد أبريل ١٩٩٦ من أوراق السياسة الألمانية والدولية» كتب أتو كولر، من كتاب الأسبوعية الليبرالية «دي تسايت» والمعروف بتحقيقاته وتحليلاته الاقتصادية والسياسية النقدية الجريئة، كتب مقالا عن ممارسة هيئة «التروى هاند» وترجمتها الحرفية «اليد الأمينة» ومعناها هيئة الوصايا التي تأسست قبيل انتهاء جمهورية ألمانيا الديمقراطية كهيئة إشراف على كافة المؤسسات الاقتصادية الاشتراكية بهدف الحفاظ على «ملكية الشعب» وتنظيم انتقال المؤسسات الاقتصادية إلى النظام الاقتصادي الجديد، الرأسمالي، بعد الوحدة :

كتب كولر: قبل خمس سنوات بالضبط، في منتصف ليلة أول ابريل، ١٩٩١ جرى اغتيال **ديتليف كارستن روفيدر** رئيس مؤسسة **التروى هاند** البرلينية باطلاق النار عليه بينما كان يجلس في غرفة المكتب ببيته في مدينة دوسلدورف، ولم يعثر للجاني أو الجناة على أثر حتى اليوم - وإن كان قد أعلن، كالمعتاد في هذه الحالات، عن رسالة تعترف بها منظمة الجيش الأحمر بالمسئولية، وقد ترك **روفيدر وصية**. وكان قبل خمسة شهور من اليوم المذكور قد صرح أمام مجموعة مختارة من أعضاء غرفة الاقتصاد النمساوية في فيينا بعبارة تروى في صور مختلفة« الكل قيمته نحو ٦٠٠ مليار مارك» . جاء هذا في كتاب «المفكرة اليومية الداخلية للتروى هاند» الذي أصدرته بيرجيت برويل عام ١٩٩٣ (رئيسة هيئة التروى هاند التي خلفت روفيدر) وقبل صدور الكتاب بشهرين كانت بروفة المطبعة تتضمن الجملة التالية، وهي الصياغة الأصلية: «كل السلاطة قيمتها نحو ٦٠٠ مليار مارك».. سواء «الكل» أو كل السلاطة»، المقصود هو الثروة التي كانت تديرها التروى هاند، ثروة شعب جمهورية ألمانيا الديمقراطية، الجمهورية التي كانت قد انتهت لتوها .

ولم تكن التروى هاند في برلين في الأصل اختراعا ألمانيا غربيا لتوزيع ثروة ألمانيا الشرقية القومية. بل إنها نشأت من آمال وأحلام حركة المواطنين في ألمانيا الديمقراطية. في ١٢ فبراير **سلمت جماعة البحث الحرة المستقلة اقتراحا لرئيس وزراء ألمانيا الديمقراطية هانز مودرو ينص على تشكيل هيئة وصاية للحفاظ على أنصبة مواطني ألمانيا الديمقراطية في «ملكية الشعب». وكان الاقتراح يريد إيجاد حل يضمن أن تبقى الملكية العامة بكافة أشكالها في حوزة شعب ألمانيا الديمقراطية خشية أن تضيع بعد الوحدة مع ألمانيا الغربية التي لايعرف نظامها القانوني والاقتصادي شيئا اسمه ملكية الشعب.**

كان على مواطني ألمانيا الديمقراطية أن يدفعوا، نيابة عن كل الألمان، ولعشرات السنين، تعويضات عن الحرب المدمرة التي شنتها ألمانيا ضد الاتحاد السوفيتي» ولذا كانوا يأملون أن يعاملوا بعدل عند تحقيق الوحدة بين الألمانيتين».

ويواصل كولر وصفه لتطور فكرة هيئة الوصاية فيقول إن اطمئنان مقدمي الاقتراح المذكور لإمكان إنقاذ الملكية الشعبية من قبضة الأخ الألماني الغربي إذا كيفوا شكل الملكية طبقا لقوانين الغرب، جعلهم يعتقدون بإمكان ربط الشكل القانوني الألماني الاتحادي بمضمون جديد تماما. «وبمقتضى الخطة لتصوغ مهمة إنشاء شركة قابضة تشرف على كل أشكال الملكية العامة» على أن يكون أول أعمال هذه الشركة القابضة إصدار سندات بأنصبة متساوية لجميع مواطني ألمانيا الديمقراطية بمثابة شهادات مشاركة في ملكية رأسمال» وقد لعبت فكرة توزيع الثروة القومية الصناعية والتجارية على الشعب دورا في الانتخابات التي جرت في شهر مارس ١٩٩٠. وكان الحزب الاشتراكي الديمقراطي قد وعد الشعب في الشرق بأن يسلم كل مواطن (من الرضيع إلى الشيخ) سندا بمبلغ ٤٠٠٠٠ مارك(أي ما يعادل وقتها نحو ٨٠ ألف جنيه مصري) نصيبه في ملكية الشعب. ولكن حتى هذا لم ينفع الاشتراكيين الديمقراطيين إذ جاء الحزب المسيحي الديمقراطي للحكم وبأغلبية واضحة.

هذه الفكرة التي سيطرت على شخصيات سياسية من حركات المواطنين، فكرة إنشاء «ملكية لكل مواطني ألمانيا الديمقراطية » طواها النسيان تماما - بعد ثلاث سنوات فقط كما يرصد كاتب المقال.. إلى أن أتى الكاتب المسرحي **رولف هوخهوت عام ١٩٩٣** ليشير الشاعر بتقديمه لمشاهد من بلد محتل ويثير الشكوك بنشر مقتطفات من عمله المسرحي «**الغربيون في فايمار**» استشهد نبها بصحيفة فرانكفورتر الجيمانية تسايتونج حيث كتبت في ١٦ مارس ٩٠: «أن قيمة الثروة الصناعية المملوكة للشعب في ألمانيا الديمقراطية تقدر بـ ٦٥٠ (ستمائة وخمسون) مليار مارك. وبذا يكون نصيب كل مواطن في ألمانيا الديمقراطية نحو ٤٠٠٠٠ مارك (أربعون ألف) ويجرى التفكير في منح المواطنين ٢٥ إلى ٣٠٪ من الثروة الصناعية في شكل سندات أو أنصبة ملكية.. وثائق الملكية هذه يمكنهم لاحقا أن يستخدموها على سبيل المثال في شراء مساكن ومحلات للعمل «حتى وزير المالية الألماني الغربي **تيو فاجيل** تصرف بكرم يوم ٧ فبراير ١٩٩٠ أمام البوندستاغ إذ وعد بأنه من أجل توزيع ثروة شرق ألمانيا القومية «يمكن أيضا التفكير في إصدار أسهم شعبية».

ولكن في ذات شهر فبراير كان كل شيء قد انتهى كانت السلاطة قد أعدت كوجبة سريعة لإطعام البنوك والشركات الكبرى الألمانية الغربية. وهذا ماحدث بالضبط.

ويتطرق مقال **أوتو كولر** إلى مخاوف قيادة الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم في ألمانيا الغربية من النتائج السياسية للوحدة على وضعه الانتخابي والسياسي آنذاك. ويشير إلى تحذير أمين عام الحزب آنذاك ووزير الدفاع الحالي **فولفجانج ريهه** «بلدنا والأحزاب السياسية ستصبح في مجمل توجهها بروتستانتية أكثر، شمالية أكثر، وشرقية أكثر... والحزب الديمقراطي المسيحي يمكن أن يفقد على الدوام قدرته على كسب الأغلبية».. وحذر الوزير من أن «تصبح في وضع أقلية بنيوية» وكان الاستنتاج الذي استخلصه هو ضرورة إبراز دور المستشار كول بوصفه مستشارا لجميع الألمان. وبناء على هذا كان مطلوبا منه أن يقدم شيئا بمناسبة انتخابات مجلس الشعب المقبلة في ١٨ مارس ١٩٩٠، وكان يوم ٦ فبراير ١٩٩٠ هو اليوم الموعود. في صباح اليوم المذكور كان **أتو بيل Otto Poehi** رئيس البنك الاتحادي (الألماني الغربي) قد سافر إلى برلين الشرقية ليجرى مفاوضات مع **هورست كامينسكي** رئيس بنك العملة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية. وكريستا لوفت وزيرة الاقتصاد في ألمانيا الديمقراطية، وكان الجميع متفقين على أن إقامة اتحاد نقدي بين الدولتين الألمانيتين يعد أمرا سابقا لأوانه. ووصف بيل

الفكرة بأنها «فكرة خيالية جدا».

وكان رئيس البنك الاتحادي يعتقد أنه على نفس الرأى مع المستشار فى رفضه لاتحاد نقدي سريع، وكان قد تحدث هاتفيا مع المستشار قبل رحلته لبرلين الشرقية مباشرة، ولكن وهو فى طريق العودة من رحلته فى نفس اليوم وصله نبأ عاجل بأن المستشار الاتحادى هيلموت كول تقدم بعرض «أن يتم إحلال المارك الألماني كوحدة للعملة وكوسيلة دفع قانونية بدلا من المارك الشرقي».

إذا أتى الدريتشه مارك نبقى

وحدث ما جرى توقعه . بعد أيام خمسة ارتفع فى مظاهرة يوم الاثنين فى لايبزج لأول مرة شعار: «إذا أتى الدويتشه مارك نبقى هنا، إذا لم يأت سنذهب إليه»، وكانت الأعلام التى تحمل اللون الأسود والأحمر والذهبى التى جلبتها قيادة الحزب الديمقراطي المسيحى من مركزها فى بون (أعلام ألمانيا الاتحادية)، وكتاب «الرفاهية للجميع» للودفيج إير هارد حديثة الطباعة تجد إقبالا كبيرا.

وتم كسب الانتخابات بنسبة عالية وبعد أول يوليو بيوم واحد كتبت فرانكفورتر الجيمانيه تسايتونج، تحت عنوان «الصلاه فى محلات تصريف العملة بعد توحيدها » فى يوم تغيير العملة وقف الألمان فى ألمانيا الديمقراطية بعد منتصف الليل بقليل فى طوابير طويلة أمام فروع البنك الألمانى لتبديل النقود».

وبعد ثلاثة أيام قام لوتار دي ميزير رئيس الوزراء الجديد لجمهورية ألمانيا الديمقراطية، والتى كانت لا زالت موجودة ، بتسليم المواقع القيادية فى مؤسسة التروى هاند المكلفة بإدارة الثروة القومية لألمانيا الشرقية، سلمها إلى ممثلى الشركات الألمانية الغربية الكبرى. أما آثار توحيد العملة فقد تولى رئيس البنك الاتحادي شرحها بعد ثلاث سنوات ونصف، وذلك أمام لجنة التحقيق البرلمانية للبوندستاغ في شأن التروى هاند، وكان رئيس البنك قد أزيح عن منصبه بسبب موقفه، قال بيل: إن إدخال المارك الألماني في ألمانيا الديمقراطية من يوم للثانى كان من أثره أن ارتفعت قيمة كل المطالب والالتزامات بقدر هائل وكانت النتيجة كما واصل بيل شرحه أن مؤسسات ألمانيا الديمقراطية لم تعد قادرة بالطبع على المنافسة من الناحية الفنية النقدية، ويشبه هذا كما قال بيل للنواب عندما نجعل المارك الألماني اليوم عملة للنمسا ونحول الشلن بنسبة ١ إلى١.

وأمام نفس لجنة التحقيق البرلمانية تحدث د. فريدريش هوقمان، المكلف من وزير الاقتصاد الاتحادي لشئون التروى هاند، عما حدث بفعل التوحيد المتعجل للعملة بوضوح أكبر: «من الواضح تماما أنه بسبب عدم وجود حماية نحو الخارج، والتى لا توفرها العملة .. سقطت المؤسسات كلها فى حالة الإفلاس..كانت هذه عملية تحطيم - Crash action، وكان لها فعلها المباشر».

تدمير .. بسبب رفع القيمة الذى وصل إلى ٤٥٠٪ كان على مصانع الشرق، على حسب تقدير الرئيس السابق للبنك الاتحادي، أن تبيع السلع التى كانت تكلفتها حتى تلك اللحظة ١٠٠٠ مارك بمبلغ ٤٥٠٠ مارك، وفى الوقت نفسه زادت الأجور، وكان لابد أن تزيد لأن كل شيء أصبح أغلى، ولأن الإيجارات انفجرت .

ولكى لايثير الموت الانتباه أكثر مما ينبغى اهتمت التروى هاند فى البداية بتدبير قروض، وتسجل المفكرة اليومية للتروى هاند التى أصدرتها السيدة «بريجيت برويل» مؤسسة التروى هاند وعمل الوصاية، ووزارة المالية، والبنك الألمانى (دويتشه بنك) وبنك درسدن صاغوا معا فكرة منح القروض للشركات فى إطار ضمان عام وعلى أساس نموذج لعقد ائتمان» يذكر لوكر أن أحد المستشارين الاقتصاديين المعروفين قد نبه الهر أوديفالد رئيس مجلس هيئة الوصاية إلى أن بنوك أخرى تمنح القروض بفوائد أقل كثيرا، بلا فائدة . إذ تشاء الظروف أن يكون السيد أوديفالد عضوا فى مجلس بنك درسدن، وأن يكون البنك الألمانى صاحب جميل على البنكير السيد مونشماير فقد انقذه من الإفلاس. وتشاء الصدف أن يكون مونشامير زوج السيدة برويل رئيسة هيئة الوصاية. وبالطبع لايقصد كولر أن الأمور حسمتها العلاقات الشخصية، إذ منذ أن تسلم ممثلو البنوك والشركات الغربية مسؤولياتهم فى هيئة الوصاية بدأ العمل المحموم فى مراكز الاحتكارات البنكية والصناعية الغربية لوضع ترتيبات اقتسام الكعكة التى سقطت فجأة فى أيديهم .

ويكتب كولر « من لم يمت بسرعة حكمت عليه القروض ذات الفوائد الباهظة بالاحتضار البطىء والملىء بالآلام». بالطبع كان هناك قدر كاف من المصانع القديمة والمتصدعة فى ألمانيا الديمقراطية ولكن كان بها أيضا مؤسسات حديثة وناجحة مثل مناجم البوتاسيوم فى بيشوفيروده. إلا أن هذه كان عليها أن تختفى لأنها كانت تمثل منافسة قوية فى بلدان الغرب لإحدى فروع شركة BASF (الشركة البافارية للانيلين والصودا - إحدى أكبر مؤسسات الصناعات الكيماوية فى ألمانية الغربية - ن. ي.).

ويسجل الكاتب أن (التروى هاند) قد حققت الكثير بالنمل. إذ ذهب للألمان الغربيين ٨٥٪ من ثروة المصانع المخصصة (فى الشرق) ولم يبقى للألمان الشرقيين سوى ٦٪ منها فقط(بالقياس لعدد العاملين فى المؤسسات). وهؤلاء فى الغالب أصحاب أعمال صغيرة وحرفيين وأصحاب مطاعم . وهذا إنجاز تستطيع أن تفخر به الحكومة الاتحادية، لأنها هى التى أنشأت المقومات التى مكنت التروى هاند من التصرف فى الثروة القومية لألمانيا الديمقراطية المتوفاة..

ويختم كولر مقاله بالتذكير بأمر مذهل وهو التروى هاند عندما أغلقت أبوابها نهاية ١٩٩٤ لم تكن قد اختفت فحسب ثروة قومية قدرت بنحو ٦٠٠ أو ٦٥٠ مليار مارك (حسب تقدير المدير الغربى الأول لهيئة الوصاية المسماة باللغة الألمانية «اليد الأمينة» برئاسة السيدة برويل - والتى كانت وزيرة مالية فى مقاطعة نيدرساكسن - حققت خلال توزيع ملكية شعب ألمانيا الشرقية خسائر لصالح الشركات الكبرى الألمانية الغربية قيمتها ٢٧٠ مليار مارك. هذا هو القدر الذي اعترفت به السيدة المديرة، وسيكون الواقع أكثر فداحة، ولكن بجمع هذا على الـ ٦٥٠ مليون التى اختفت ينتج مبلغ ٩٢٠ مليار مارك أو ما يقارب مليون مليون وبثروة ألمانيا الشرقية التى سربتها التروى هاند فى قنوات ألمانية غربية كان بالإمكان عمل مليون مليونير ألماني شرقي. وبتواضع أكثر يمكن أن نقول أن التروى هاند بددت ٦٠٠٠٠ (ستون ألف) مارك كان يمكن أن يحصل عليها كل مواطن من مواطنى ألمانيا الشرقية البالغ عددهم ١٦ مليون نسمة .

---

* تميزت الأحداث العاصفة التى سميت فيما بعد «الثورة السلمية» بأن المظاهرات كانت تخرج فى المدن كل يوم الاثنين بعد مواعيد العمل».

بولندا

كفاشينفشكى سشعى للانضمام إلــى الـ I . F
والطبقة العاملـة البولنديـة تـدفـع الثمـن

اتخذت الحكومة البولندية فى نهاية شهر مارس ومطلع شهر ابريل مجموعة من الإجراءات والقرارات الاقتصادية المهمة التي من شأنها تعميق اندماج بولندا فى الاقتصاد العالمى وتجذير عملية الخصخصة، محور برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى من شأنه إعداد الاقتصاد البولندى الذى يعد الأعلى نموا فى أوروبا لدخول ميدان المنافسة على استثمارات الشركات العابرة للقوميات .

فعلى الرغم من الرفض الشعبى الكاسح لعملية الخصخصة بكل ما تعنيه، والذى عبر عنه البولنديون من خلال الاستفتاء العام حول الإسراع فى بيع المؤسسات المملوكة للدولة فى نهاية فبراير الماضى، حيث لم يحضر للمشاركة سوى ٣٨٪ من المقيدين بينما كان من المفترض حضور ٥٠٪ منهم على الأقل لأخذ نتائجه فى الاعتبار - على الرغم من ذلك - جاءت تصريحات **فيتسلاف كازماريك** وزير الخصخصة (فى حكومة الشيوعيين!!) لتؤكد أن الاستفتاء لن يوقف أو حتى يبطىء من العملية وأن الحكومة مصرة على سياساتها التى تفترض أن الفرض من بيع المؤسسات المملوكة للدولة هو الحصول على ملاك يمكنهم استحضار رأس المال والتكنولوجيا والإدارة الكفء .

وبالفعل ففى خلال شهرين كان البرلمان قد ناقش وأقر خطة وزير المالية **جريدزجوردز كولدكو** الثلاثية الأولى package 2000، والتى تؤكد على ضرورة أن تلعب الخصخصة دورا أعظم فى دفع الاقتصاد فى ضوء ماتوقعته من انخفاض الصادرات بينما تقلل من الضرائب المفروضة على الشركات، وبعدها بأيام وقع الرئيس البولندى على قرارين أصدرهما البرلمان فى وقت سابق يقضيان **بتسهيل عمل المشاريع المشتركة وشراء الأراضى للأجانب**، وهى خطوة ضرورية للانضمام لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية وأهميتها تجىء من أنها **تسمح بدخول الأجانب إلى البلع الحساسة فى الصناعة البولندية وعلى رأسها صناعة الأسلحة** .

فى الوقت نفسه فإن التداخل مع رأس المال العابر للقوميات يسير على قدم وساق ففى الأسبوع الأول من أبريل فقط تواردت الانباء عن صفقة تصبح بموجبها بولندا موردا للمنتجات نصف المصنعة للصناعة السويسرية بينما أعلنت شركة **فولفو** السويدية عن اعتزامها استثمار ٢٥ مليون زلوتى فى بولندا فى الثلاث سنوات القادمة بينما بدأ العمل بالفعل فى بناء مصنع ينتج سنويا ٢٠٠ أتوبيس.

والحقيقة أن التطورات التى جرت على الساحة البولندية منذ اتخاذ **الكسندر كفاشنيفسكى** الشيوعى السابق رئيسا البلاد، تثبت بما لايدع مجالا للشك أنه لايوجد خلاف حقيقى على السياسات بين **تحالف اليسارالديمقراطى** الحاكم وبين المعارضة الممثلة فى**نقابة تضامن** التى لم تكن لتدعم اقتصاد السوق أو لتقهر الطبقة العاملة أو لتعمق التداخل فى الاقتصاد العالمى بأفضل مما فعل كفاشنيفسكى ورفاقه. وبالتالى فإن الخلاف لايتجاوز التصارع على الموقع من عملية التحول وبالتالى حجم الكعكة.

وتكشف قضية اختيار المشرف على خصخصة المؤسسة الصناعية العملاقة **«بولسكا ميدز»** والمنتجة للنحاس عن أبعاد هذا الصراع حيث كان الصراع على اختيار المشرف هو السبب الحقيقى وراء التأخير فى خصخصة الشركة وليس موقف الحكومة من عملية الخصخصة .

والواقع أن الاتفاق بين تضامن بعد انحرافها يمينا فى منتصف الثمانينات وبين الحكومة الشيوعية السابقة كان موجودا. وتكفى الإشارة إلى مباحثات المائدة المستديرة فى نهاية الثمانينات وأن جذور الصراع الحالى تجد نفسها فى التطور الذى شهدته الطبقة الحاكمة فى بولندا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، والتى كانت تتحرك فى إطار المفاهيم الستالينية للتنمية وتركيم رأس المال من أجل تقليل الفجوة بين بولندا وبين الدول المتقدمة فى الاقتصاد العالمى عن طريق الاعتماد على جهاز الدولة ودوره الاقتصادى، ذلك الشىء الذى فشلت فى تحقيقه الطبقة الحاكمة البولندية طوال السبعينات والثمانينات بحيث بدا أن تحقيق هذا الفرض أصبح يقتضى إجراء تحولات فى طبيعة الأدوات الاقتصادية التى

تحقق ذلك ، وليس حقيقيا أن سياسات اللبرلة الاقتصادية قد بدأت مع وصول تضامن إلى السلطة في ١٩٨٩ وإنما قبل ذلك بكثير وعلى وجه التحديد في منتصف الثمانينات وتحت إشراف ورعاية الحكومة الشيوعية السابقة وبقى المعضل معضلا سياسيا .

وكانت الطبقة الحاكمة فى بولندا أقوى بصيرة من مثيلاتها في أوروبا الشرقية حيث قادت هى بنفسها التحول بشكل وأد حدة الانتفاضات العمالية، خاصة بعد خيانة تضامن من أجل ضمان استمرار وجودها فى السلطة حيث غيرت أرضيتها .ووفقت نفسها للمطالب الديمقراطية والمزاج العام. وضحت بممثليها المكروهين وأعادوا تكوين أنفسهم بالشكل الذى يمكنهم من العودة فى المستقبل القريب، ولأن **المعارضة كانت تحمل بالأساس مطالب سياسية كان إخفاء الخلفيات الاجتماعية لهؤلاء الذين يحكمون سهلا**، وهكذا تم تحجيم دور الدولة والتحول من التخطيط إلى ميكانيزم السوق بينما بقيت نفس المجموعة الاجتماعية (بدون قياداتها التاريخية وبوليسها السرى) فى السلطة، لتنجح فى تحويل قاعدتها المؤسسية جزئيا من الدولة إلى القطاع الخاص. وخلال عملية التحول كانت هناك مرونة وحراك لأعلى داخل الطبقة الحاكمة والمنضمين جديدا إليها، وبالتالى كان هناك أيضا تغيير فى توازن القوى بين القطاعات المختلفة فيها، والمثير للدهشة بالفعل على عكس، الذين يقولون بأن هذا مثل تحولا من الاشتراكية إلى الرأسمالية - المدهش- هو أنه تقريبا لم يتغير شيء .

وفى هذا الإطار تجيء قضية الخصخصة كمحور للتحولات التى حدثت فى بولندا والتى تحمل دلالة بالنسبة لقضيتين فى غاية الأهمية **أولاهما** فكرة أن التحول لم يكن فى صالح الاقتصاد الوطنى. وهذه الأطروحة ليست حقيقة فبالتأكيد أن الخصخصة كانت هي السبيل الوحيد لأباطرة التراكم الرأسمالى المتربعين على عرش السلطة زورا باسم الشيوعيين من أجل إعادة الحيوية لعملية التراكم ، وبالفعل فإنه ما إن تجاوزت بولندا مرحلة الصدمة حتى أصبحت الأعلى نموا فى أوروبا بمعدل نمو سنوى ٥.٥٪ وبدأت إمكانيات الاستثمار تتجلى وشهد الناتج الصناعى طفرة يرشحها فى حالة استكمالها لبعض الشروط المكملة إلى الانضمام إلى الـ OECD خلال عام ١٩٩٦.

ويقودنا هذا إلى القضية الثانية والتى تمثل جوهر الموضوع وهى من الذى يدفع ثمن هذا النمو الاقتصادى وهذا التحول الأدواتى.

فعلى الرغم من أن شعار عملية الخصخصة الرئيسى كان تمليك العمال لوسائل الإنتاج فإن الطرق المتطورة للخصخصة والتى تراوحت من البيع فى البورصة إلى التمليك بالكوبونات إلى تمليك المصنع بالكامل إلى العمال (والتى لانحلم بها فى مصر) أثبتت زيف الادعاءات التى رفعتها هذه الشعارات، حيث أثبت الواقع أن مركز الثقل الحقيقى يبقى فى الإدارة التى تظل منفصلة عن الملكية المزعومة والتى ظلت تتآكل يوما بعد يوم، حيث تحكم فى الأمر **الفروق الطبقية الموجودة سابقا التى مكنت البعض من شراء نصيب الأخرين من فقراء العمال الذين فرض عليهم شظف العيش بيع نصيبهم**، فى حين فضل آخرون الاحتفاظ بحقهم فى صورة مال سائل. هذا بينما دفع هؤلاء الثمن غاليا فى **ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض الأجور وارتفاع أسعار الغذاء**. والتى شهدت فقط فى العشرة أيام الأخيرة من مارس الماضى ارتفاعا ٦.٢٪.

وهكذا فإن الطبقة العاملة البولندية التى كانت الأكثر تأثيرا فى السياسة الداخلية فى بلدانها طوال فترة الحكم الشيوعى حيث وقفت طوال الوقت فى مواجهة السياسات التى تضر مصالحها ورسمت أبدع الأمثلة من خلال الانتفاضات المتكررة التى تم فيها الاستيلاء على المصانع وتعديل خطط الطبقة الحاكمة تعرضت لأبشع صنوف الاستغلال الذى أضعف من قدرتها على الفعل السياسى خاصة فى ظل فقدان الرؤية والاتجاه الذى يعانى منه اليسار الحقيقى فى بولندا ويبقى هذا هو السؤال الحقيقى .

وائـل جمـال

فى بنجلاديش :

هل تصمد الديمقراطية أمام ثورة الجياع

فى الاسبوع الأخير من شهر مارس ١٩٩٦ رضخت رئيسة وزراء بنجلاديش **خالدة ضياء** لمطالب أحزاب المعارضة واستقالت من منصبها فى الوقت الذى أصدر فيه الرئيس **عبد الرحمن بيسواس** قراراً بحل البرلمان وبهذا تكون المعارضة قد حققت أهم أهدافها وهو استقالة **خالدة ضياء** وحل البرلمان.

وجاءت الاستقالة عقب حملة ضخمة من «**عدم التعاون**» (إضراب عام) أعلنتها المعارضة واستمرت أكثر من ثلاثة اسابيع وشلت العاصمة وبقية اجزاء الجمهورية شللاً تاماً .. وبذلك استطاعت احزاب المعارضة الرئيسية «**رابطة عوامي**» برئاسة الشيخة «**حسينه واجد**» وحزب جاتيا بزعامة رئيس الجمهورية السابق الجنرال«**حسين ارشاد**»«**والجماعة الإسلامية**» بزعامة البروفيسير **غلام عزام** ان تضع حداً لحكم رئيسة الوزراء **خالدة ضياء** واجبارها على الاستقالة فى هذه الدولة التى ترزح تحت نير الفقر المدقع والازمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية.

لم يتوقع العديد من المراقبين ان تشهد الأزمة السياسية المحتدمة بين الحكومة والمعارضة هذه الدرجة من الاشتعال والتوتر. فمنذ عامين وأحزاب المعارضة تشن هجوما عنيفا على رئيسة الوزراء، خالدة ضياء مطالبة باستقالتها وتسليم السلطة إلى إدارة انتقالية محايدة للإشراف على عقد انتخابات عامة بالبلاد، إلا أن**خالدة ضياء تمسكت بموقفها** ورفضت الاستقالة وعقدت الانتخابات البرلمانية فى موعدها ١٥ فبراير الماضى فى الوقت الذى دعت فيه احزاب المعارضة السكان إلى مقاطعة هذه الانتخابات معلنة اضرابا عاماً لمدة ٤٨ ساعة وبالفعل **لم يشارك سوى ١٠٪ من الناخبين البالغ عددهم ٥٠ مليون نسمة** وقد اسفرت نتائج الانتخابات عن فوز حزب بنجلاديش الوطنى بنصر لم ينازعه فيه أحد.

هل تصمد الديمقراطية في بنجلاديش أمام ثورة الجياع

ابراهيم الصحارى

رغم انتهاء الانتخابات البنجالية وفوز **الحزب الوطنى** إلا أن الأزمة السياسية لم تنته وبدأت تأخذ منحى أكثر خطورة من خلال دعوة **ائتلاف احزاب المعارضة الى العصيان المدنى** تكثيفا لجهودها للإطاحة برئيسة الوزراء **خالدة ضياء** ،وذلك احتجاجا على نتائج الانتخابات العامة. وقد استجاب المواطنون لهذه الدعوة فقاطعوا المدارس والمصالح الحكومية وأغلقوا المتاجر وعمت الاضطرابات والاضرابات العمالية والاحتجاجات في القرى كل أنحاء بنجلاديش لتعيد للأذهان الاضرابات والمظاهرات الضخمة التى اجتاحت العاصمة البنجالية **داكا** فى ديسمبر ١٩٩٠ واستطاعت أن تضع حداً لـ ١٦ عاما من الحكم الرئاسي والعسكرى، فقد خضع الرئيس السابق لبنجلاديش **محمد حسين ارشاد** لمطالب احزاب المعارضة واستقال من منصبه. ومن ذلك التاريخ ونجم **خالدة ضياء** بدأ فى البزوغ فقد تولت رئاسة الوزراء فى مارس ١٩٩١ بعد أن فاز حزبها **الحزب الوطنى** باغلبية المقاعد وجاء **حزب رابطة عوامى** الذى ينتمى إلى يسار الوسط فى المرتبة الثانية.

وتوضح الأحداث التى اطاحت بالحكم العسكرى فى عام ١٩٩٠ ورئيسة الوزراء **خالدة ضياء** فى ١٩٩٦ ان الجماهير الفقيرة فى بنجلاديش مسيطر عليها وعى برجوازى حيث ما زالت ترى فى الديمقراطية وفقط مخرجاً لبؤس حياتها . لكن على ما يبدو دائما رياح التغيير لا تجرى بما تشتهى سفينة الديمقراطية فمنذ اللحظة الأولى لتولى السيدة **خالدة ضياء** رئاسة الحكومة فى انتخابات وصفت من الجميع بأنها ديمقراطية وجدت نفسها أمام جملة من المشاكل والأزمات الاقتصادية الكفيلة بالاطاحة بحكومتها وأمام هذه المشاكل لم تجد بدأ من مواجهة المعارضة وزعيمتها **الشيخة حسنيه** بسلسلة من القوانين التى اقتربت بها من حافة التسلط والدبكتاتورية بحجة مواجهة اعمال العنف.

ومثلما كانت المظاهرات الطلابية هى الفتيل الذى اشعل نار الثورة ضد الحكم العسكرى فإن الطلاب هم أيضا الذين قادوا المظاهرات فى الشوارع بالاضافة إلى اضرابات **الطبقة العاملة التى وصلت العام الماضى إلى ١٦٠ يوم عمل بخسائر تقدر ب١٣ مليار دولار واحتجاجات الفلاحين فى القرى**، كل هذه الاعمال هى التى استطاعت ان تسقط حكومة **خالدة ضياء** .والغريب فى الأمر أن هذه الجماهير التى تخوض الصراع فى الشارع وتنقسم بين مؤيد للحكومة ومعارض لها يغيب عنها ان الحكومة والمعارضة متفقة على مجمل السياسات الاقتصادية والاجتماعية خاصة فيما يتعلق ببرامج الخصخصة وحرية السوق. وان **الشيخة حسنيه** واجد زعيمة حزب «**رابطة عوامى**» لو جاءت إلى السلطة ستطبق نفس السياسات التى يكتوى بها الشعب وتعد المحرك الرئيسى لنزوله الشارع والتفافه حول المعارضة.

وتأتى انتخابات هذا الشهر وسط تذمر الشعب الذى **يعيش أكثر من ٨٥٪ من سكانه تحت خط الفقر** لتطرح تساؤلا جوهريا هل تستطيع الديمقراطية الصمود فى وجه ثورة الجياع؟.

فالبرلمان القادم أيا كان الحزب الذى سيسيطر عليه سيكون برلمان الساسيين الاثرياء- **رجال الأعمال فى المدن والاغنياء من اصل ريفى**- من الذين لا يرون سوى آليات السوق والاندماج فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى مخرجاً لأزمة بنجلاديش الاقتصادية وعلى الجانب الآخر **سيقف الناخبون العمال والريفيون الفقراء منتظرين مخلصا لا يأتى على يد ديمقراطية تعمل بجد لرفع ربحية رأس المال ولا يهمها بأي حال رفع معاناة الفقر عن العمال والفلاحين الفقراء**



اليسار العربى وقضايا المستقبل

فى الثانى عشر من شهر يناير الماضى عقد مركز البحوث العربية ندوته الأولى لهذاالعام بعنوان :«اليسار العربى وقضايا المستقبل» المهداة إلى المناضل الراحل ميشيل كامل. وكانت الندوة ملتقى كافة القوى التقدمية، حيث شهدت حضورا قويا كثيفا وجدلا واسعا حول أهم القضايا التى تشغل اليسار العربى سواء فى مجال النظرية أو الممارسة. وقد نالت قضية الديموقراطية الحظ الأوفر من المداخلات والنقاشات ، فنجد أن معظم الأوراق المقدمة قد تعرضت لها بشكل مباشر أو غير مباشر، ولم يكن الشاغل الديمقراطي مجرد رد على غيابها فى النموذج السوفياتى، رغم أن بعض الأوراق عكست ذلك، بل ردا على غيابها فى الواقع المعاش أساسا.

وقد نوقشت هذه القضية على مدار جلستين، الأولى بعنوان : «الإشتراكية والديموقراطية» وتم فيها مناقشة الإطار العام لمفهوم الديموقراطية من منظور اشتراكى، حيث قدمت د. **فهيمة شرف الدين (لبنان)** : تساؤلاتها حول الجديد فى إشكاليات الحرية والديموقراطية» وقدم د. **عمار بكداش (سوريا)** ورقة بعنوان : **«حول المفهومين الاشتراكى والبرجوازى» للديموقراطية والتعددية»** ، كانت الدراسة الثالثة للأستاذ **عبد الغفار شكر** بعنوان **«الديموقراطية الطريق العربى إلى الاشتراكية»** وقد قام الأستاذ **نبيل الهلالى** بالتعقيب على أوراق هذه الجلسة .

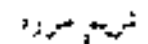
ومن ناحية أخرى أثيرت قضية الديموقراطية على مستوى ممارسة اليسار، حيث قدم الأستاذ **صلاح العمروسى والأستاذ أحمد عبد القوى زيدان** ورقتين حول اليسار والعمل البرلمانى، الأولى بعنوان **«حدود البرلمانية»** والثانية بعنوان **«اليسار والبرلمان»** فى حين قدم الأستاذ **محمد فرج** ورقة بعنوان : «مشكلات الفكر الثورى السائد» وهى أوراق تطبيقية على الواقع المصرى. وقام الدكتور عبد المنعم تليمة بالتعقيب عليها.

وكانت قضية الديموقراطية هى موضوع الورقة المقدمة من الأستاذ **أحمد طاهر** :«الاشتراكية والديموقراطية» والعامل : عطية الصيرفى بعنوان **«نحو الاشتراكية الرابعة فى مصر»** وهما ضمن المحور الذى عقب عليه الأستاذ **حسين عبد الرازق**، حيث نوقشت مظاهر أزمة الحركة الاشتراكية ، وقد تضمن هذا المحور أيضا دراسة نقدية **للدكتور أحمد عبد الله بعنوان : «تأملات فى مسار اليسار»** ، ودراسة للأستاذ **سامح سعيد عبود** تحدث فيها عن أزمة اليسار الوطنى.

ومن منظور التحليل الاجتماعى شهدت الندوة أربع أوراق عقب عليها الدكتور **ابراهيم العيسوى**، الأولى رؤية **«حول مفهوم الطبقة الوسطى»** للدكتور **عبد الباسط عبد المعطى**، والثانية للدكتورة **عابدة سيف الدولة** بعنوان **«المرأة على برامج اليسار»**، وحول القاعدة الاجتماعية للحركة الاشتراكية العربية تحدث الأستاذ **أحمد شرف**، أما الورقة الرابعة فكانت للدكتور محمود عبد الفضيل بعنوان **«اليسار ومأزق فهم الواقع»** .

وعن العلاقة بين الاشتراكية والرأسمالية، فقد كانت موضوعا لثلاث دراسات مطولة الأولى للدكتور **محمد محمود الإمام** : **«التطورات فى النظام الاقتصادى العالمى»**. والثانية للدكتور **محمد عبد الشفيع** عيسى بعنوان : **«كيف نفهم الرأسمالية : محاولة نقدية من منظور اشتراكى»**







د. ماهر الشريف



ميشيل كامل

والثالثة للدكتور **سمير أمين** وعنوانها : **«اليسار وتحديات المستقبل»** وقد قام الدكتور **إبراهيم سعد الدين** بالتعقيب على أوراق هذا المحور.

وقد خصص اليوم الثالث للندوة لمناقشة قضايا الحركة التقدمية العربية في جلسة ترأسها الدكتور **رفعت السعيد**، وعقب عليها الأستاذ محمود **أمين العالم**، أما الجلسة الثانية والتي ترأستها د. **رضوى عاشور** فكانت مخصصة لمستقبل الصراع العربي الصهيوني. في الجلسة الأولى قدم الأستاذ **كريم مروة (لبنان)** ورقة بعنوان : **«اليسار العربي: واقع ومهمات وآفاق»** **والأستاذ عطية مسوح (سوريا) : «مساهمة في ملامح ماركسيتنا العربية» وعن الحركة** التقدمية العربية قدم الأستاذ **أمين اسكندر والأستاذ حسين معلوم** ورقتين متكاملتين الأولى عن مهمات ومكونات هذه الحركة والثانية عن إعادة بناء مستقبلها. وفيما يتعلق بالصراع العربي الصهيوني كانت ورقة الأستاذ جبران الجابر (لبنان) وعنوانها **«التطبيع الثقافي ونسق القيم الوطنية»**، والأستاذ **هاني عياد** والذى تحدث عن الصراع العربي الصهيوني في كتابات **ميشيل كامل**.

وقد اختتمت أعمال الندوة بجلسة ختامية عقدت بالمقر المركزي لحزب التجمع وخصصت لمشيل كامل كمفكر ومناضل، وتحدث فيها الأساتذة : **لطفي الخولي، وكريم مروة ، ونبيل زكي ، وهاني شكر الله**.

ونظرا لتعدد محاور الندوة واتساع دائرة النقاش حول ما أثارته الأوراق من نقاشات وبسبب ضيق المساحة، فسوف نقتصر على عرض موجز لأحد المحاور الرئيسية، وهو محور القضايا النظرية في محاولة لإلقاء الضوء على بعض ما أثير في هذه الندوة التي اتسمت بقدر كبير من الحيوية ، هي في حد ذاتها الرد الإيجابي على أزمة الركود وركود الأزمة.

وقد شهد هذا المحور مناقشة أربع أوراق هي : **«اجتهادات في تجديد الفكر الماركسي العربي »** للدكتور **ماهر الشريف (فلسطين)**، و«**أزمة اليسار في مصر** : الواقع وآفاق المستقبل» للدكتور **سيد البحراوي**، و«قضية البديل الوطني الشعبي الديموقراطي» للدكتور **صلاح أبو نار**، وأخيرا «الفعل السياسي والوعي التاريخي» للدكتور **فيصل دراج** «فلسطين» كما شارك الدكتور **نبيل عبد الفتاح** كمعقب.

أولا : حول تجديد الفكر الماركسي

يتساءل **د. ماهر الشريف** بداية : **هل يمكن الحديث عن فكر ماركسي عربي**، أي هل يمكن القول أن الماركسيين العرب قد قدموا إسهامهم الخاص في الحقل الذي افتتحه ماركس، وأنتجوا ماركسيتهم بصورة مستقلة؟

وعلى الرغم من أن د. **ماهر الشريف** يعترف بوجود بعض الإسهامات من قبل مفكرين عرب، إلا أنه يؤكد على أن عملية الإبداع والإنتاج يجب أن تتم في إطار تلك الوحدة العضوية التي تميزت بها الماركسية بين النظرية والممارسة ومايعنيه هنا ليس الإنتاج الفكري الفردي بل دور الحزب الثوري والمثقف العضوي في عملية الإنتاج والإبداع، وهو الدور الذي غاب عن الساحة الماركسية العربية في ظل الخضوع لهيمنة الماركسية السوفيتية.

ويرى أن العجز والقصور اللذين يبدوان للبعض كأسباب، هما في الواقع نتائج لسبب أساسي تمثل في انقطاع الماركسية العربية عند ظهورها عن أفكار التنوير العربي وخاصة أولئك الذى أبدوا ميلا للاشتراكية أمثال **شبلي شميل، وفرح انطون، وسلامة موسى** ، ويؤكد على أن الانسلاخ عن مسار التنوير العربي جعل هذه الماركسية مرتهنة لأيديولوجية **«الماركسية اللينينة»** السوفيتية الرسمية التي تماثلت معها، وحال دون بروز إسهامات متميزة لإعادة إنتاج الماركسية عربيا، ومن ثم ، ففي رأيه، أن مدخل التجديد يعني إعادة وصل ما انقطع من خلال استعادة **«الروحية الفكرية»** التي خيمت على عصر النهضة والتواصل معها والتحرر من أسر الأيديولوجية التي انحصر الفكر الماركسي في داخلها.

وهنا يطرح سؤالا آخر : **هل الانتقائية في الفكر منقصة إذا احتواها نزوع نقدي يتطلع إلى أفق تحرري شامل**؟ ويتضمن رد **ماهر الشريف** الإيجابي على سؤاله سلسلة من القبول باتجاهات لم تحظ بقبول إيجابي عند بعض ممثلي الفكر الماركسي مثل الليبرالية السياسية و«القومية العربية» ، بل والقبول بالتراث التقدمي لحركة الإصلاح الديني. ففي رأيه أن تجديد الفكر الماركسي العربي يرتبط ارتباطا عضويا بالتنوير الذي يعطي الأولوية للنهضة على حساب الثورة وللتدرج على حساب **الطفرة وللمجتمع** على حساب السلطة.

ثانيا : التبعية الذهنية:

تبدو أزمة اليسار المصرى فى رأى د. **سيد البحراوى** كأزمة ، تاريخية بمعنى انحسار دور اليسار منذ البداية الفعلية فى الثلاثينيات، وتحديدا انحسار مشروعيته كقوة اجتماعية ، ومن ثم التحول إلى المشروع الذى تستخدمه السلطة كيفما شاءت ومتى شاءت، وفى رأيه أيضا أن هذه الأزمة طالت كل القوى السياسية الأخرى على الساحة، ويستثنى منها، متحفظا ، القوى الإسلامية .

أما العنصر الثانى فى الأزمة، الذى يركز عليه د. البحراوى فهو قضية التبعية الذهنية، والتى جاءت كنتيجة طبيعية للطبيعة الطبقية لليسار الذى ينتمى إلى الطبقة الوسطى الحديثة والتى انصاعت منذ نشأتها فى عصر **محمد على** وحتى الآن لاتباع النموذج الأوروبى .

أما المخرج من هذه الأزمة فيتمثل بداية فى ضرورة الانفصال عن ذهنية الطبقة الوسطى التابعة ليس فقط على مستوى الوعى وإنما بالأساس على مستوى الوجود الاجتماعى، والتواصل الإيجابى والفعال مع الفقراء .

ثالثا: البديل الوطنى الشعبى الديموقراطى قراءة نقدية فى فكر سمير أمين

لاشك أن د. سمير **أمين** أكثر من أثروا فى الفكر الماركسى العربى، فقد كانت إسهاماته عديدة ومتنوعة، ولاشك أيضا أن قراءة نقدية لأفكاره تقتضى الإحاطة ببنائه الفكرى والتحولات التى طرأت على رؤاه النظرية من رؤية تنحاز لفكرة الثورة الاشتراكية التى تقودها الطبقة العاملة، إلى رؤية تنحاز لقيادة الأنتلجنسيا الثورية لثورة وطنية شعبية .

هذه الرؤية الجديدة هى موضوع الورقة التى تقدم بها د. صلاح أبو نار حيث تناولها بالتحليل النظرى والتناول النقدى سعيا نحو تعميق وتطوير النقاش حولها، واقتناعا منه بأنها بالفعل تحتوى على عناصر جادة قادرة على تشكيل مخرج من الأزمة الراهنة، وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة أقسام : يتناول الأول الطبيعة النظرية والتاريخية للفكرة الجديدة والحدود التى طرحت فيها. وينتقل الثانى إلى مصادر تكوين الفكرة وعناصرها الأساسية. وينتهى الثالث بمحاولة نقد الفكرة على أكثر من مستوى.

ويركز د. **صلاح أبو** نار على المنطق التركيبى للخيار الجديد نبدلا من التناقض العام والمجرد بين اشتراكية ورأسمالية، هناك مسيرة انتقال تاريخية طويلة صوب الاشتراكية، وهو حياد يتحقق بالفعل الجماعى بما يعنيه ذلك من أشكال جديدة للتنظيم والممارسة وصيغ جديدة للتحالفات السياسية وآليات التفاوض .

وإذا كانت رؤية سمير أمين تنطلق من وجود المنطق التركيبى على المستويين السياسى والاقتصادى فإنها تغيبه على المستوى الثقافى حيث يطالب بالتخلص من إشكالية التوفيق بين العقل والإيمان، وعلى مستوى آخر لايجد أى مكان للقوى الأصولية فى مشروعه الجديد. وينتقد د. **أبو نار** هذا الغياب ليس انحيازا للجانب الأصولى، ولكن انطلاقا من أن المنطق التركيبى التوفيقى قائم أيضا على هذا المستوى مستشهدا بالصراع الذى رافق تطور العلمانية فى أوربا وهو قائم هنا أيضا ليس اختيارا ولكن بحكم التاريخ، ويخرج بنتيجة مفادها «أن الثورة الفكرية ضرورة ، ولكن عبر مراحل ومن خلال منطق تركيبى محدد. كيف؟ هذا تحد حقيقى، وليس لدى إجابة.. ولكنى أطرح السؤال التالى، هل يمكن لفكرة الذاتية الحضارية أن تشكل الوسيط الثقافى الناجع بين قطبى العقلانية والإيمان، عبر مركب يتجه إلى تسييد قطب العقلانية؟ مجرد سؤال».

رابعا: مفهوم السياسة والذاتية الإنسانية المتحدة.

يطالعنا **فيصل دراج** دائما برؤية مركبة ذات علاقات داخلية تربط ما بين العلمى والأخلاقى فى نسيج واحد وهى رؤية تطالب بإبداع الوعى وحث الإرادة. والفعل السياسى من منظور فيصل دراج مشروط بتفتح الشخصية الإنسانية والارتقاء بالبنية القيمية والثقافية للمجتمع .

وإذا كانت ورقة د. **فيصل دراج** تتعرض مباشرة لعدد من المفاهيم مثل الديموقراطية ، السياسة، الطبقة الخ، إلا أن تعبير الذاتية الإنسانية يبدو أكثر بروزا فعنده تحديدا يتقاطع العلمى بالسياسى بالأخلاقى. وهو ضد كل ما يسلب الذات حريتها حتى ولو كان «حزبا ثوريا» أو ممارسة سياسية «مبتذلة». ففى رأيه أن الماركسية ترى فى خلق الذاتية المتحررة بداية للسياسة وغاية لها، لأن الفعل السياسى، من حيث هو قبول بالواقع أو رفض له، يستلزم وجود ذات إنسانية قادرة على الرفض والقبول.. وعلى هذا تكون الذات الإنسانية الحرة سببا لإنشاء الحزب ومقدمة له، مثلما تجعل من الحزب حاضنة لمجموعة من البشر الأحرار الذين يطورون الحزب ويحولونه ، وفقا لتجاربهم الكفاحية المتراكمة .

وهكذا يصبح المشروع الاشتراكى هو ممارسة الهدف فهو يتحدد بالوسائل والأدوات والأغراض التى تفضى إلى الاشتراكية كهدف أخير . وفى النهاية يشير د. دراج إلى أن الفعل السياسى هو مزيج من الواقعى والمتخيل، من المجرد والفعلى، وكل الأمور، برأيه نسبية ولها ضامن لنجاحها. ذلك أن الحقيقى الوحيد هو الصراع والاستمرار فى الصراع، كعملية تاريخية مفتوحة .

وفى سياق تعقيبه على الأوراق يقدم. د. نبيل عبد الفتاح مجموعة من الانتقادات والتى تدور أيضا وكأنها رغبة فى كسر المسلمات، ففى تعقيبه على ورقة د. **فيصل دراج** يشير إلى تسرب الروح المثالية بين تضاعيف التأويل فقراءة فيصل دراج ما زالت تستلهم النص الأصلى فتعيد إنتاجه مؤولا كما أن مفهوم السياسة يبدو مثاليا فضلا عن أن الرهان المثالى على أن الحزب لم يعد له وجود بعد أن أصبح الحزب على هامش المشهد السياسى الراهن .

ومن ناحية أخرى يؤكد د. **نبيل عبد الفتاح**، على أن التطلع إلى الذات الإنسانية الحرة هو تطلع تاريخى، وهو الأمر الذى يتطلب تحديدا التساؤل حول إمكانية تحقيق ذلك الآن.

وفى تعقيبه على ورقة د. **ماهر الشريف** يطرح د. **نبيل عبد الفتاح** سؤالا محددا : هل يمكن تحرير الفكر الماركسى من أسر الأيديولوجيا؟ وما الذى يبقى منه إذا تبنى الليبرالية وحركة الإصلاح الدينى؟ لاشك أننا سنكون بصدد فكر آخر ومؤمنين آخرين. فالفكر الماركسى إنتاج أيديولوجى بالأساس. فى رأيه، وعن مفهوم التجديد يتساءل: **هل مفهوم التجديد بالمعنى الشائع فى التقاليد العربية والفكر العربى ما زال مشروعا؟** ففى رأيه أن كل سؤال يطرح فى مرحلة تاريخية محددة يطرح معه ضمنياته ومرجعياته، وسؤال التجديد مطروح علينا منذ الحملة الفرنسية، ومن ثم فإن طرح سؤال التجديد يتطلب الوعى بالتاريخ والمتغيرات .

يثور جدل قديم جديد حول دور رؤوس الأموال الأجنبية في تنمية الاقتصاديات المتخلفة، أو الفقيرة.ويقول البعض إنه لا مناص لتلك الدول من الاستعانة برؤوس الأموال الأجنبية في تنميتها الاقتصادية الاجتماعية. ذلك أن هذه البلاد فقيرة ،بمعنى انخفاض متوسط الدخل الفردى فيها.وما يتبعه من نقص المدخرات ،وانخفاض معدل تكوين رأس المال،الذى يؤدى بدوره إلى ضعف معدل التنمية ،ويبدء دورة جديدة من نقص الدخول،وزيادة الفقر ،ولا يكسر هذه الحلقة المفرغة إلا رأس المال الأجنبى.

رأس المال الأجنبى.. يسيطر دائما

د. خليل حسن خليل

وينكر بعض الاقتصاديين هذا اللون من التحليل.ويرون ،على العكس تماما، أن رأس المال الأجنبى أسهم تاريخيا فى تعميق التخلف. وأضاف إلى المعوقات الداخلية،معوقا خارجيا للتنمية. ويسترشدون بدور رأس المال الأجنبى فى العالم الثالث.فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية،حيث بقيت هذه الاموال مع الاستعمار مئات الاعوام.وتركت تلك البلاد أكثر فقرا مما كانت عليه قبل الاستعمار.

وهذه بعض أسباب تعميق التخلف،الذى أحدثته رؤوس الأموال الأجنبية:

١-كانت أغلب رؤوس الأموال الأجنبية مستخدمة فى انتاج المواد الزراعية والأولوية اللازمة للتصدير للدول صاحبة الأموال ،واللازمة لتقديم المواد الخام الرخيصة لصناعاتها،وتوفير المواد الغذائية رخيصة ايضا لعمالها.

٢-احتكار سوق الدولة المتخلفة، لمصلحة مصنوعات الدول المتقدمة ،وذلك بتخفيف الاعباء الجمركية،وغيرها من القيود،وبذلك تجهض صناعاتها الوليدة.ولا تلقى حماية ضد هذه الصناعات القوية فى الدول المتقدمة.

٣- فرض هذا النمط من الاستثمار والاتجار، تقسيم عمل دولى، تتخصص فيه الدول الفقيرة فى الانتاج الزراعى والأولىً، بينما تتخصص الدول الغنية فى الصناعات . وهذا يعتبر فرضا للتخلف على الدول الأولى،وإتاحة نمو صناعى أكبر للدول الثانية أى أن الفقير يزداد فقرا ،والغنى يزداد غنى. فالمعروف أن الصناعات هى دينامو النمو.

٤- تحويل أرباح المشروعات الأجنبية إلى الخارج تحويلا طليقا . فيحرم الاقتصاد الفقير من مورد تاريخى مهم ، أسهم دائما فى التنمية ، سواء فى الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة ، أم فى الدول الاشتراكية. فالربح ، وهو الفائض الاقتصادى للمشروعات، كان يعاد استثماره دائما، وبذلك أسهم فى تنمية تلك البلدان. فإذا حرم منها الاقتصاد الذى يتم الاستثمار الأجنبى فيه ، فان ذلك يعوق التنمية، ويحرمه من عنصر من أهم عناصر تمويلها.

والصورة المعاصرة لا تختلف كثيرا عن الصورة الاستعمارية القديمة. فقد حلت محل الاستعمار القديم، الشركات الاجنبية العابرة للقوميات .. لتقوم بدور أكثر إفقارا للاقتصاد المتخلف من الاستثمارات القديمة هذه الشركات الأجنبية تحظى بنفس المكانة التى حظيت بها الشركات الاستعمارية .واصبحت تعطى الامتيازات التى كانت تنعم بها الشركات الأجنبية القديمة. وتحكم الاقتصاديْن المتقدم والمتخلف نفس العلاقات

التى حكمته قديما:

١- أصبحت الامتيازات ،التى كانت تنتزعها الشركات الاستعمارية قسرا، تمنح طواعية للشركات العابرة للقوميات ، فى الوقت الحاضر ، بواسطة -حكومات تلك البلاد. فأصبحت الاراضى لاقامة تلك المشروعات الأجنبية تقدم مجانا ، أو نظير أجر إسمى. وبطبيعة الحال يقدم لها العمل رخيصا. وتعفى من جميع الضرائب ، لمدد تمتد إلى عشر سنوات ، تتجدد إذا ما اراد الأجنبى أن يبقى فى البلد محل الاستثمار. وتخفض لها الضرائب الجمركية . ويترتب على ذلك انعدام الحماية للصناعات الوطنية الناشئة ، التى تحمى فى كل الأوطان.

ويبدو أننا فى مصر ، لا نقرأ التاريخ ،واذا قرأنا، لا نستوعبه . فرءوس الأموال الأجنبية فى عهد الخديوى اسماعيل مثلا ، كان أغلبها فى شكل قروض عامة ، أدت كما هو معروف إلى إفلاس مصر.. وانشئ في تلك الأيام«صندوق الدين» الذى فرض سيطرة أجنبية على الاقتصاد المصرى ،كانت مزيجا من السيطرة السياسية والاقتصادية حيث قررت الدول الرئيسية الدائنة انشاء هذا الصندوق ، ليجمع أقساط الدين وفوائده مباشرة من إيرادات بعض المحافظات الغنية (التى كانت تسمى مديريات فى ذلك الوقت).

ولم يؤخذ رأى مصر فى تلك الخطوة. ولم تكن مصر لتستطيع أن تقاوم مقاومة فعالة تلك الدول. وهذا الوضع يذكرنا بدور صندوق النقد الدولى،والبنك الدولى للتعمير والتنمية. وهما مؤسستان دوليتان شكلا ،.لكنهما فى حقيقة الأمر ، يخضعان لسيطرة الولايات المتحدة. فهى تسهم فى رأسمالهما، بنسبة كبيرة ،وفى المناصب الادارية العليا،وفى تسويق أوراق تلك المؤسستين فى السوق الأمريكية، إلى غير ذلك من ألوان النفوذ.

وبهذا أصبحت «روشتة» صندوق النقد ،والبنك الدولى ، لعلاج أزمة الديون ،وأزمات الاقتصاديات المتخلفة، لها شروط وطابع معين، من المستحيل القول معها ، انها ليست سيطرة اجنبية على اقتصاديات الدول المدنية.وسواء لجأت تلك المؤسسات إلى وسائل الضغط المباشر ،والسيطرة القديمة، كما كان الحال فى عهد الاستعمار التقليدى، أو إلى وسائل متطورة ، يطلق عليها أحيانا «**الإصلاح الهيكلى**» ،فالنتيجة واحدة، هى السيطرة الاجنبية على الاقتصاد القومى، والتدخل فى أمورنا السيادية الاقتصادية. وهذا يضيف عبئا جديداً يعوقنا عن التخلص من التخلف.

٢- ومن المعروف إنه مع تسوية الديون الاجنبية، فى التاريخ المصرى، انتقلت رؤوس الاموال الاجنبية للاستثمار الخاص في الزراعة ، عن طريق الاقراض العقارى للملاك الوطنيين ، أي الاقراض بضمان الارض.

وقد وجد الكاتب فى فصل خصصه في رسالته للدكتوراة عن دور رأس المال الاجنبى في الاقتصاد المصرى ان رأس المال الاجنبى الخاص أوشك أن يؤدى إلى كارثة ، كما حدث بالنسبة للديون العامة الاجنبية . فقد وجد أن مقرضي النقود من الافراد والبنوك الاجنبية قد آلت إليهم ملكية ثلث الاراضى الزراعية فى مصر، التى عجز ملاكها عن سداد فائدة الديون الفاحشة، فنزعت ملكيتها من اصحابها ملاك الاراضى الصغار والمتوسطين الكبار، سداداً لتلك الديون . وبهذا اوشكت تلك البنوك على تخريب مصر ، وابتزاز ثروتها الأولى ،وهى الأرض الزراعية.

وفى الفترة المعاصرة استدعيت البنوك الاجنبية، طبقا لسياسة الانفتاح المتسيب لتباشر نشاطها فى مصر، بعد ممارسة مصرفية مصرية كفئة، جاوزت السبعين عاما، منذ أنشأ ، طلعت حرب، الاقتصادي الوطنى الأول، بنك مصر.ونسمع كذلك عن أراض زراعية تعطى لغير المصريين .ونسمع كذلك عن بيع البنوك المصرية الكبيرة.والبنوك هى أعصاب الاقتصاد المصرى . كيف يتحكم الاجانب في اعصابنا،وكيف يحتل الاجانب ،أو غير المصريين ، أرضنا .وهذه ليست نعرة وطنية، ولكنها ملاحظة ، نرجو أن تكون رشيدة، فشباب مصر، الذى يتخرج زرافات ووحدانا كل يوم، وتلفحه البطالة بشواظها ،وفلاحو مصر ، الذين يتطلعون بحق، لتحقيق حلمهم الجميل، بامتلاك قطعة أرض من وطنهم .. هؤلاء وهؤلاء ، هم أصحاب الحق الأول والأخير. فى تلك الارض.

ونحن نؤمن بأن المصرى وطنى،كان حاكما أو محكوما.. ونتمنى أسلوبا رشيدا يقود أولى الأمرالى سواء السبيل. إن الدلائل واضحة على أن رأس المال الأجنبى ، اذا اطلق له الحبل على الغارب، فانه يدخل ليسيطر ،وليبتز وليستغل اقتصادنا وأهلينا.

٣-التحالف بين رأس المال الاجنبى وبين بعض القوى المحلية.

لا تباشر الشركات الاجنبية العابرة للقوميات سيطرتها على البلاد التى تباشر فيها نشاطها بشكل مباشر وظاهر، كما كان الحال عليه فى فترة الاستعمار التقليدى. لكن ابتكرت عدة أشكال للتحالف فى المجال الاقتصادى. ولا يهم لسيطرة الاجانب على المشروعات المحلية، أن يكون لهم أغلبية فى رأس المال، فهم يسيطرون على المشروع ، ايا كانت نسبة اشتراكهم فيه . فليس من الضرورى أن يكون للاجانب٥١٪ من المشروع فاية نسبة حتى ولو كانت ١٠٪ فحسب، فانهم يتمكنون من السيطرة عليه . فالغالب ان يكون مدير المشروع من عندهم. ويمكن أن يساهموا فى المشروع عن طريق التكنولوجيا فحسب .وعلى هذا مدير المشروع ،وفنيوه، وخبراؤه يكونون من الاجانب وتتسلل سيطرتهم على الاقتصاد القومى بقدر ما يسهمون بأية نسبة فى مشروعاته وقطاعاته.

ولا يهم أن تكون المشاركة مع الدولة ، أو مع القطاع الخاص . وتكمن الخطورة فى أن تؤدى تلك السيطرة إلى التحكم فى التنمية الوطنية ، كما ونوعا ، طبقا لاستراتيجيات الشركات العابرة للقوميات ،والدول التى تنتمى إليها ولا جدال أن مصلحة الشركة ودولتها سوف تكون مقدمة على مصلحة الدولة المتخلفة ،التى سوف تؤدى هذه الرابطة بينها وبين الاقتصاد والمتقدم إلى تعميق تخلفها وتبعيتها.

إن دراسة حقيقية متأنية للمشروعات التى يقوم بها الاجانب ، أو

هل يتراجع دور رأس المال الاجنبى فى تعميق التخلف؟

يسهمون فيها ، في مشروعات هامشية، تنتج سلعا استهلاكية. ومعظم انتاجها الاستهلاكي ترفي، لا يمس التنمية ،وليس نشاطا انتاجيا ، ينشئ قاعدة انتاجية ينطلق منها الاقتصاد إلى مستويات تنموية عليا . فهذه تتطلب وقتا أطول، وجهودا أكبر ، حتى تثمر مشروعاتها . فالفلسفة الخاصة بالشركات العابرة للقوميات ،وحلفائها ، تتطلع إلى ربح سريع ومرتفع ،وليس لها صلة، بالتنمية الحقيقية ،ومشروعاتها الانتاجية طويلة المدى.

وخطورة هذا اللون من المشاركة بين الشركات الاجنبية والحكومات ، أو بعض رجال الأعمال المحليين، أنه طالما كانت السيطرة للاجانب ، فلا تدخل التنمية الوطنية، أو مصالح العمال والفئات الكادحة في الحسبان.ومن الأمثلة الشهيرة ، أن حكومة غانا ، كانت شريكة مع شركة أجنبية في صناعة الالومنيوم.واضرب العمال مطالبين بتحسين حالتهم ،وزيادة أجورهم المتردية. استعانت الشركة بجنود الحكومة، لضرب المضربين.وكانت مجزرة ، حصد فيها العمال برصاص الحكومة، دفاعا عن الشركة الاجنبية ،وحقها في تشغيل العمال تشغيلا رخيصا .

٤- تدعم الشركات العابرة للقوميات نمط تقسيم العمل الدولي القديم بين الدول الفقيرة التي تتخصص في إنتاج المواد الأولية،وتصديرها إلى البلدان المتقدمة، مع السماح ببعض الصناعات منها:

(١) الصناعات البديلة للواردات:ومثالها السيارات والتلفزيونات،وغيرها من السلع الاستهلاكية المعمرة. والواقع أن هذه المشروعات ،ليست صناعة،ولا هي وطنية، وهي هامشية بالنسبة للتنمية.

أ- ليست صناعة حقيقية ، فهي تجميع لقطع مصنوعة في الخارج. تجمع مع بعضها لتكوين سلعة هي السيارة أو التلفزيون مثلاً. وبذلك فهي سلع أجنبية في شكل قطع تجمع لتكوين سلعة واحدة،وتبقى أجنبية كما هي ،ولا تثير صناعة أو تكنولوجيا مهما قيل من أن بعض القطع تصنع محليا ، فهذه بعيدة عن الصناعات الحقيقية ، كالمقاعد مثلا.

ب- وهي «سلع» استهلاكية ، لا تسهم في عملية تكوين رأس المال ،وبذلك تكون بعيدة عن التنمية،وتكوين قاعدة انتاجية ، ينطلق منها الاقتصاد الوطني.

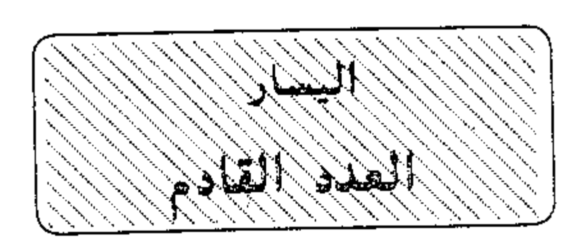
جـ- سلع مترفه أو كمالية ، تستنفذ مدخرات الافراد، وتحرم منها التنمية. كذلك تسهم في تلويث البيئة بما تثيره من سموم.

(٢) الصناعات القذرة

هذه الصناعات يطلق عليها، الصناعات الهاربة ، أو «الصناعة القذرة».وهي الصناعات التي قررت الدول المتقدمة ،وشركاتها، أن تهربها ،وتسمح باقامتها في الدول المتخلفة.ومن أمثلة هذه الصناعات **«الصناعات البتروكيماوية»** وتوجد بصفة خاصة في بلاد البترول، حيث هو المادة الاساسية الخام لتلك الصناعات وقد رأت تلك الشركات أن تقام هذه المشروعات في البلاد المتخلفة، لاشباع رغبة جماهيرها في التنمية الصناعية هذه الصناعة ملوثة للبيئة ، فلا بأس من ابعادها عن الدول المتقدمة.وتبقى ايضا مسيطرة عليها بواسطة الشركات العابرة للقوميات . فالتكنولوجيا المستخدمة فيها أجنبية، ومحتكرة للاجانب .والمديرون والفنيون والمهندسون اجانب، فلن تتسرب التكنولوجيا لمواطني الدول المتخلفة. ومنتجات الشركة تنقل بسفن أجنبية .والمحاسبون اجانب . ويتم التسويق بواسطة وكالات الشركة في الخارج. إذن معظم ثمراتها للشركة الأجنبية.

من كل ما سبق ، يتبين أن رأس المال الأجنبي ، سواء بدراستنا للتاريخ ، أو بالملاحظة أو المشاهدة للواقع المعاصر الذي يعتبر تاريخيا كذلك، قد باشر ، وما زال يباشر ، سيطرة اقتصادية على البلد الذي يباشر نشاطه فيه ، ولما كانت الشركات العابرة للقوميات شركات عملاقة، تنتمي لدول رأسمالية كبرى ، فخطر المساس بالسيادة قائم ايضا ، حيث يمتزج الاقتصاد بالسياسة دائما.

دعنا نفترض حسن النية،فنقول إننا جميعا مواطنون وطنيون .وقد يكون الفارق أن بيننا من يقرأ التاريخ قراءة عابرة، بينما تحفظه جماهيرنا ،وتقرأه قراءة واعية، فهي القوى التي تعاني من التخلف ،وهي التي يؤخذ فائض عملها ، ليضيف إلى ثراء الشركات الاجنبية، وحلفائها المحليين.



*** «فكر» التحديات الثقافية للمشروع الشرق أوسطى**

للدكتور حامد خليل

**** زوايا : أدب ونساء**

رحيــق السنــين

مشــروع اســترداد التكلفــة

د. سمير حنا صادق

لا حاجة لنا بالتذكير بتفاصيل الحالة الصحية العامة فى مصر **فمن البلهارسيا إلى الفاشيولا، ومن نقص التغذية إلى التسمم بالرصاص، ومن التهابات الكبد إلى عشرات الأمراض الفيروسية التى تمر على مصر وتذهب دون أن تشخص،ومن تلوثات المياه إلى ملوثات الهواء..** وكل هذا علاوة على ما تتسبب فيه الضغوط النفسية من **جلطات فى المخ والقلب ومن سكر وسرطان.**

ولعل أبسط وأبلغ تلخيص لهذه الحالة هو «التقرير الأول لعام ١٩٩٥ للجنة الصحة والسكان والبيئة بمجلس الشورى» وهى اللجنة التى كان مقررها **الدكتوراسماعيل سلام** وزير الصحة الحالى . فبعد أن يذكرنا التقرير بحقوق المواطنين كما نص عليها الدستور بخصوص الرعاية الصحية (مواد ٧، ٨، ١٠، ١٦، ١٧، ٤٠) فإنه يعترف بصراحة وجلاء:

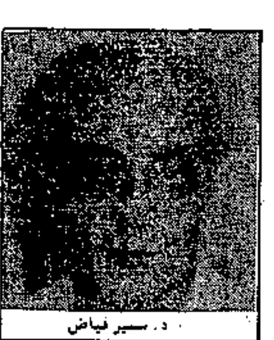
-بأن متوسط نصيب الفرد فى مصر من ميزانية الخدمات الصحية من الباب الثانى (ادوية- أغذية -وقود -مياه- انارة- تجهيزات.. الخ) هو **٤٦٠ قرشا (اربعمائة وستون قرشا فقط لا غير) فى العام.**

- بأن الدولة **غير قادرة على تقديم الخدمات الطبية للمواطنين مجانا ولا حتى بسعر معقول يقدر عليه المواطنون.**

-بأن هناك انخفاضا كبيرا فى الكفاءة الادارية وقصورا فى المتابعة والتفتيش بل «إن العديد من الدول المشابهة قد حققت نجاحات ملموسة فى الرعاية الصحية على الرغم من أن نسبة الإنفاق الصحى بها أقل منا بسبب كفاءة استعمال المواد المتاحة: **«كاندونيسيا وزمبابوى وشيلى».**


د. اسماعيل سلام


د. على عبد الفتاح


د. سمير فياض

ومرة أخرى أذكر بأن هذا هو تقرير لجنة الشئون الصحية بمجلس الشورى وكان مقررها الدكتور **اسماعيل سلام** وزير الصحة الحالى وكان فى نفس الوقت مقرر لجنة الشئون الصحية بالحزب الحاكم.

عندما عين زميل العمر الاستاذ الدكتور **على عبد الفتاح** وزيرا للصحة ، قابلته فى مناسبة اجتماعية قبل أن يصاب بما يصاب به عادة التكنوقراطيون المجندون لمناصب سياسية (والطامعون فيها كذلك من عينة عبده مشتاق) ونصحته ، اذا اراد أن يقدم عملا لا ينسى فى مجال صحة المواطنين ، أن:

-يفتح ملف مشروع استرداد التكلفة COST RECOVERY.

-يبدأ تطبيق **نظم التحكم فى الجودة وضمان الجودة فى مجالات الطب العملى.**

وقد حول الزميل مشروع التحكم فى الجودة وضمانها إلى حفلات عشاء وبيانات صحفية وتصريحات تلفزيونية، واغمض عينيه عن مشروع استرداد التكلفة واهتم بدلا من ذلك بشروع عربات **الأكل(** هل تذكرون هذا المشروع الخرافى؟) وانشأ مكاتب لتصميم هذه العربات ونشرت صور له بجوار بعضها ، إلى آخر هذه العمليات الاعلامية.

والزميل والصديق العزيز معذور فهكذا تسير الأمور فى مصرنا الحبيبة.

****

منذ حوالى ست سنوات دعيت للاشتراك فى قيادة مشروع **«استرداد التكلفة»** وكان المشروع عبارة عن منحة قيمتها ٢٠٠ مليون دولار (مائتى مليون دولارا!!) من **هيئة التنمية الدولية - A I D AGENCY FOR International Development**(وهى هيئة أمريكية) على أن يصرف المبلغ خلال ثمانية أعوام على رفع مستوى الخدمات الطبية فى أربعين مستشفى حكوميا وبعض العيادات الخارجية.وكان الشرط الوحيد المرتبط بهذه العملية هو استعادة جزء على الأقل من تكلفة العلاج والتشخيص أى أن يصبح العلاج بأجر.

ورغم ما تسببه جملة **«العلاج بأجر»** من حساسية ايديولوجية فى الأوساط التى أعيش فيها، فقد رأيت فى المشروع فرصة حقيقية لرفع مستوى الخدمات الطبية فى

مصر، وطالبت وطالب غيري بأن يكون مجانا أحيانا وبأجر منخفض أحيانا أخرى حسب الوضع الاجتماعي للمريض. وانضمت للمشروع.

وكان من الاسباب التي اقنعتني بقبول العمل في المشروع اسماء الزملاء القائمين عليه: فكان مديره الدكتور **رواش الديب** أحد علماء المناعة واحد الأطباء الذين ربطوا بين العلم وحب الوطن ،وكان معنا الدكتور **نبيل المهيري** أول مدير لمستشفى عين شمس التخصصي والدكتور **رضا محفوظ** مدير شركة الجمهورية للاجهزة والمعدات الطبية سابقا، والدكتور المهندس **ابو زيد راجح** الخبير العالمي في هندسة المستشفيات ،وقائمة ضخمة من الخبراء والعلماء في مجالات الادارة والطب والتمريض وقد اجتمعوا كلهم حبا لوطنهم ورغبة في خدمة مواطنيهم،وكان ما يتعاطوه من مكافآت على عملهم هو بضعة قروش عن حضور الجلسات.وكان من العوامل المشجعة لي شخصيا على الانضمام للمشروع هو وجود الأخ الدكتور **سمير فياض** عضو التجمع البارز في قيادة المشروع بحكم وظيفته في ذلك الوقت .وكان «دينامو» العملية والوحيد الذي يعمل بمكافأة شهرية معقولة كيميائي شاب يدعى **شريف عزت** ، عمل معي لفترة في انشاء وادارة معامل مستشفى عين شمس التخصصي.

للامريكان اسلوب بيروقراطي خاص في العمل ، وبدأنا جميعا نتعاون للانتظام داخل هذا النظام ، فهم المانحون والمنحة مائتي مليون دولار لمصر. كانوا مثلا يطلبون ما يسمى «**بالمقاييس** Standards» واذكر انني وشريف عزت وضعنا عشرات من المواصفات لمعامل مختلفة تحدد مثلا عدد «البرايز» Electrical plugs في مستشفى فيه ٣٠٠ سرير،ومواصفات الاجهزة المختلفة ووسائل الامان وتكاليف ورسوم كل اختبار للانواع المختلفة من المرضى،ودرسنا ما يطلق عليه في امريكا اسم **برنامج الاعتراف بالمستشفيات** Hospital Accreditation Program،وقضينا امسيات في مكتب الدكتور **ابو زيد راجح** لدراسات الكمبيوتر للتصميم الهندسي للمعمل، وزرنا المستشفيات المرشحة للتطوير ورأينا الحالة المزريه لمعامل المستشفيات المركزية بالأقاليم، ووضعنا برامج اعادة تدريب الاخصائيين والفنيين لممارسة الطب المعملي الحديث، وكتبنا التقارير ووضعنا الدراسات التي استهلكت كثيرا من الحبر والعرق والورق.

وكانت هناك بعض الطلبات: لابد من «تشغيل» بعض موظفي وزارة الصحة محكم- فعلنا. وعندما ارسلت للمشروع بعض عربات الجيب للتنقلات واردنا سرعة الافراج عنها من الجمارك ،ورفض الموظف الكبير في وزارة الصحة إصدار خطاب خاص ما لم يعط لمكتبه احدى هذه العربات -رفضنا الافراج السريع.

وعندما وصلنا إلى مرحلة التنفيذ بدأت المضايقات تتضخم : السيد الوزير (في ذلك الوقت)يريد أن يبدأ بطنطنة اعلامية كبرى-لابد أن يكون أول عمل في القاهرة وبسرعة-وبدأنا في تعديل خططنا ودراسة مستشفى امبابة العام. ثم تحولت المضايقات إلى كوارث : عزل الدكتور **رواش الديب** وعين بدلا منه احد وكلاء وزارة الصحة (الدكتور **صبحي فهمي**، وكيل وزارة الصحة لشئون الاسعاف) وازدادت الامور ارتباكا.

ثم جاءت الطامة الكبرى : في احد الاجتماعات دخل القاعة رجل لا نعرفه ،واخرج أوراقا ملفوفة ، ثبتها بالشرائط اللاصقة على الحائط وقال «هكذ سيصبح مستشفى امبابة العام .وشرح تفاصيل خطته التي تصل إلى اسماء المقاولين الذين سيقومون بالعمل والتي تخالف كل ما انتهينا إليه من دراسات .وعندما سألت عن مصير دراساتنا مع الدكتور **ابو زيد راجح** ومع الزملاء الاخرين لم أحصل على اجابة.

ولم ادع بعد ذلك لأي اجتماع.

الأخ العزيز الاستاذ الدكتور اسماعيل سلام

حرام والله ضياع هذه المنحة دون أن تترك بصمة على الخدمات الطبية في مصر.

وبالمرة ،وقد فتحت الملفات ،أرجو أن تبحث عن مصير المنح الأخرى ،وارجو أن تدرس **لماذا تحول جانب كبير من وكلاء وزارة الصحة فجأة إلى علماء يجلسون على رأس المشاريع البحثية المخصص لها معونات؟**

وارجوك أن تسأل عن أسباب **شراء الأجهزة المكلفة ووضعها في المخازن في الوقت الذي يوجد فيه نقص شديد في الاجهزة البسيطة الاساسية.**

ولك الله يا مصر.

عصمت سيف الدولة

خسرنا وخسرت مصر وخسر العالم العربي رجلا عظيما.

في معرض الكتاب عام ١٩٩٣ عقدت ندوة عن «**الشرق أوسطية**» كان أغلب المحاورين من المؤيدين.أجلس الدكتور**عصمت سيف الدولة** على طرف المائدة استكمالا للديمقراطية والحرية الحوار. عندما اعطيت الكلمة للدكتور عصمت في نهاية الجلسة تحدث عن كامب ديفيد ووصف من وقع على الاتفاقية بما يستحق لتسبيه فيما فيه العرب. وصفق وقوفا جمهور الحاضرين تصفيقا حارا وانهيت الجلسة. وخلف كواليس قاعة الندوة رأيت المسئولين «بيكلموا روحهم» .وعرفت في هذا الوقت لماذا اجابني احد أصدقاء ابني من الشباب عندما سألته عن انتمائه السياسي بأنه «**عصمتاري**».

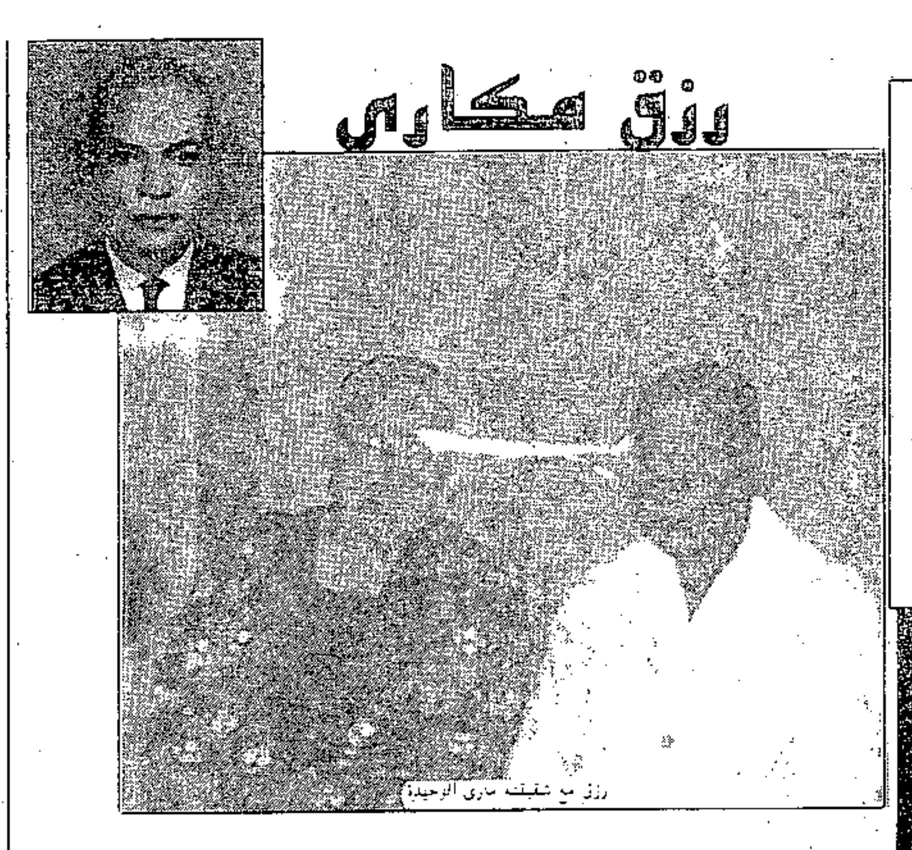
تعرفت على **عصمت سيف الدولة** بعد أن اجتزنا سن الستين وارتبطنا بصداقة قوية وغريبة: فنحن مختلفون ايديولوجيا ونحن لا نتقابل الا موسميا فقط. فقد فرقت بيننا المدينة وجمع بيننا المصيف ،ولم أكن اذهب إلى المصيف الا عندما أتأكد من وجوده فيه ، فلا معنى له بدونه.

شق **عصمت سيف الدولة** طريقة كالسهم من فقر قريته المدقع بالصعيد (**الهمامية اسيوط**) إلى السوربون وإلى مؤتمرات واجتماعات أعلى القيادات العربية وإلى **سجون السادات** دون أن يتغير أو يحيدأو يتطبع.وكان يستطيع لو فعل أن يصل لأكبر المراكز وأن يحوز اعظم الثروات.ولكن **عصمت سيف الدولة** لم يكن من أهل ذلك. فقد كان مؤمنا بقومه ومحبا لهم وكارها لكل ظلم يقع عليهم .كانت الأمور عنده أبيض واسود وكان الابيض هو ما ينفع قومه والاسود هو ما يضرهم .وعندما جاء **جورباتشوف** للحكم في الاتحاد السوفيتي بعد تاريخ صداقته لتاتشر وغزله مع الصهيونية في بلده اختصر الموقف قائلا انه: «**انور السادات بتاع روسيا**».

رحمك الله رحمة واسعة يا دكتور عصمت والهم السيدة الفاضلة رفيقة حياتك وكريمتك وابنيك الصبر والعزاء.

أرشيف اليسار

رزق مكاري


رزق مع شقيقته ماري الوحيدة

جمعية حدوة الحصان

د. رفعت السعيد

الاسم : رزق مكاري بقطر

تاريخ الميلاد : ٢١-٨-١٩٢٠

المهنة: صائغ- ميكانيكي-عامل سينما- كمساري..

الاسم الحركي: رمزي

الجد الأكبر المعلم غالي كان ملتزما لمنطقة منفلوط(أسيوط)،وكأي ملتزم في الزمان المملوكي أعتبر واحداً من كبار السادة.وعندما أتى محمد على ظل يضغط على الملتزمين كي يمتصوا دماء الفلاحين حتى آخر قطرة.البعض رفض.. متحججا بأن الفلاحين لم يعودوا يمتلكون شيئا.عاقبهم محمد على بالنفي إلى دمياط.

وهكذا رحل «الملتزم» تاركا مهابته وأرضه وثروته إلى المنفى. وبدأ من جديد . باع مصاغ زوجته واشترى أرضا.. وأصبح مزارعاً .

واحد من أحفاده ترك دمياط إلى القاهرة .شارك أحد الشوام وافتتح داراً للسينما الصامتة في ميدان بركة الرطلي بالظاهر. ومع استقراره وثرائه توالت هجرة الاخوة إلى القاهرة . باعوا أرضهم وأتوا للقاهرة ليعملوا في ميدان السينما.. ومن السينما إلى المضاربة في القطن.. وإلى شركة اتوبيس «شركة امنيبوس الوطني» وحصلوا على امتياز خطين الأول من بيت القاضي بالجمالية والثاني من باب الحديد.

وهكذا استقر «مكاري» وأولاده ومنهم رزق في حالة من الثراء المتنامي حتى خسر كل ما يملك في البورصة ..(يقول رزق في حديثه عن هذا الموضوع: البورصة أكلته) .. وبعد أن أكلت البورصة كل ثروة الاسرة .اضطر رزق أن يترك الدراسة (كان في السنة الأولى في مدرسة النهضة المصرية وكان معه في ذات المدرسة في السنة الثانية الثانوية طالب من الخرنفش اسمه **جمال عبد الناصر**).. ترك الدراسة ليعمل ويسهم في إعالة الاسرة.. (كان **اسماعيل صدقي** قد سحب التزام خطوط الاوتوبيس من كل الشركات الوطنية ليوحد التزام القاهرة في يد شركة انجليزية هي **شركة« ثورني كروفت»** وباع الجميع سياراتهم بأسعار زهيدة ، وهكذا فقد الاب كل شئ..) .

اشتغل رزق صائغا .واتقن المهنة وأتقن معها لغة الصياغ (كان أرباب الحرف يستخدمون رموزاً خاصة في تعاملاتهم أمام الزبائن) . ثم اشتغل كاتب حسابات بمحل تجارة بالتربيعة في عام ١٩٣٧.

ويقول: «أول مرة سمعت فيها عن الشيوعية والشيوعيين عندما كنت أزور أخي وأعطتني زوجته اعداداً من مجلة اللطائف المصورة،ورأيت صوراً عديدة لشيوعيين ألمان يضربون في الشوارع ويقبض عليهم ويعذبون.. وسمعت لأول مرة عن البلشفية والبلاشفة وأول مايو.. لكنني لم أمتلك القدرة على فهم الموضوع فقد كان كل ما يشغلني هو هؤلاء الانجليز الذين يحتلون بلدنا، والذين نراهم كل مساء يعيثون في شوارع القاهرة فساداً».

كان السخط يموج به،حتى التقى بساخط آخر .. شاب من أصل شامي ولد في القاهرة وطلبه شيخ الحارة إما للتجنيد. أو دفع البدل النقدي.. وأدى البدل النقدي كأي مصري لكنهم رفضوا اعتباره مصريا .وأكد الشاب أن الانجليز هم السبب.

وتراكم سخط إلى جوار سخط آخر، حتى فاتحه في أنه عضو في جمعية إرهابية أسمها **«حدوة الحصان»** ،وأن هدفهم هو ضرب الجنود الإنجليز وتأديبهم لأنهم يعاملون المصريين معاملة سيئة،ويشتمونهم في الشوارع ،ويهينون العمال الذين يعملون في معسكراتهم.

وبكل حماسه اندفع **رزق مكارى** مع جمعية حدوة الحصان .. يأتى المساء وينزل السكارى الانجليز إلى الشوارع لتتلقفهم أيدى **«حدوة الحصان»** فتؤدبهم وتضربهم ضربا مبرحاً.

وكانت الجمعية تمنع أعضاءها من العمل فى معسكرات الانجليز، وذات مساء سأل **رزق** نفسه هؤلاء الذين نضربهم هل كلهم يهينون المصريين؟وطرح السؤال الساذج على الاجتماع الذى عقدته الجمعية،وجاء الرد فى قرار ساذج أيضا.. نعمل فى المعسكرات حتى نعرف من السيئ منهم فنؤدبه .وهكذا قرروا أن يعمل هو مع الإنجليز.

وعن طريق قريبه **فهمى بلد شنوده** التحق بالعمل فى **شركة توماس كوك** وكانت تقوم بإصلاح سيارات الجيش البريطانى .. ومنذ عام ١٩٤١ أصبح يحتك كثيرا بالانجليز . ليكتشف أن بعضهم مهذب وبعضهم غير مهذب.. وزادت البلبلة واختفى الطريق النضالى الذى كان يتخيله .وفى اجتماع جمعية حدوة الحصان قدم **رزق** تقريره «أعمل معهم منذ أربعة أشهر .ولم أسمع شتمة واحدة»

لكنه زاد من ترددهم وحيرتهم فقد كان يتابع القراءة.. ويكتشف أن النازى هو الخطر الأكبر على الديمقراطية وان الانجليز يحاربون النازى.. ارتبك هو، وأربك معه الجمعية ، فقرروا إيقاف نشاطهم إلى حين.. وحتى تتضح الأمور.

وعن طريق أصدقائه **الشوام** التحق بعمل جديد، إدارة سينما متنقلة للترفيه عن الجنود فى ميدان القتال فى الصحراء الغربية. وتقاضى مرتبا ضخما .. مائتى جنيه شهريا.

وهكذا كانت أجازاته فى القاهرة مليئة بالمرح واللهو . وفيما كان يجلس مع صديق له فى بهو سينما ستوديو مصر ، دخل شاب يرتدى شورت وصندل ونظارة سميكة .. سلم على صديقه وقدمه الصديق إلى **رزق** قائلا **«الاستاذ يونس»** (انه **هنرى كوريبل**). استطال النقاش تفجر رزق بكل سخطه على الاحتلال، وشوقه لفعل شئ من أجل مصر. صاحب الشورت ينصت . لقد عرف كيف يفتح الصنبور ويعرف الآن كيف ينصت .. وأخيرا اتفقا على مقابلة فى محل أحد أقارب رزق لتصليح كارتشرك السيارات.

فى الموعد أتى الاستاذ يونس .. كان قد التقط بحس مرهف أن **رزق** يحب القراءة.. وأنه مشتاق لفعل شئ من أجل الوطن .أتى يونس ومعه مظروف متخم بعديد من الكتب ذات الأغلفة الخضراء .. تحدث معه عن أهمية أن يقرأ هذه الكتب ثم يلتقيان لدى عودته فى الاجازة المقبلة . وتواعدا.

من حدوة الحصان إلى الحركة المصرية

لم ينم **رزق** ليلته، انغمس فى قراءة مبهرة، تلاشت الصور المبهمة ، وعلامات الاستفهام والتعجب .وترى بفهم ملأ مشاعره بحماس مبهم :**«حدوة الحصان»** تلاشت وحل مكانها ترص شمس يتلك أشعة مرحبة .. إجابات حاسمة لأسئلة ظلت تحيره سنوات وسنوات.

احتضن الكتب معه عائدا إلى الصحراء . فى خيمته ظل يقرأ ويعيد القراءة حتى كاد أن يحفظ مقاطع كاملة منها. كان يحفظ صفحات كاملة وعديدة من الانجيل ، وبضع آيات من القرآن .. وأضاف إلى ثروته المحفوظة مقاطع كاملة وجملا عديدة هزت وجدانه وتربعت فى قلبه.

عاد مسرعاً إلى الموعد . فى دقة دقيقة حضر مندوب عن الاستاذ **يونس هو مراد القليوبى** (عامل فى سينما مترو) رئيس نقابة عمال السينما) جلسا معا فى كازينو **الجبل** بالخليج المصرى. استعاد **رزق** بعضا مما غمض عليه .. مساحات الضوء تتسع وتستقر . اعطاه **«مراد»** عشر نسخ من كتاب **«أول مايو»** وأسرع رزق ليوزعها على أصدقائه سائقى وكمسارية **ثورنى كروفت** الذين كانوا يعملون فى شركة أبيه وعمه.

وانتهت الحرب . وعاد الطائر المهاجر من الصحراء ليعمل كمفتش فى شركة اتوبيس النجوم الثلاثة.. وتراكب عليه عدد من الرفاق.. **محمد حسن جاد (ملام)** .. ثم **منير ملطى وليم الملاح**.

وأصبح عضوا نشطا فى قسم عمال النقل .ومع تصاعد نشاطه النقابى والشيوعى بدأ الاهتمام به ودعى إلى مدرسة كادر حاضره فيها **محمد شطا ، أحمد شكرى سالم، كمال عبد الحليم**.

..وفى ١٩٤٦ وأثناء عمله فى شركة النجوم الثلاثة التى كان يملكها سويسرى اسمه **«رودلف بليمى»** ويملك معها شركة الشمال للنقل بالقناطيس بذل جهداً واسعاً لتأسيس نقابة لعمال الشركتين ، سائق نتطاس اسمه **عصمت السادات** وشى به .وأكد أنه المحرك لكل هذه الحركة التى انتهت بالنجاح فى تأسيس النقابة.. وتقرر فصله من العمل. ولأمد طويل ظل العمال يجمعون له من مرتباتهم الضئيلة بعضا من المساهمة .. اعترافا بفضله فى تأسيس نقابتهم.

مزيداً من النقابات

وتركز نضاله الشيوعى فى إطار العمل النقابى فبعد تأسيس نقابتى أتوبيس النجوم الثلاثة،وشركة الشمال.. أسس نقابة عمال النقش والزخرفة بالقاهرة وعديد من نقابات أخرى .وأسهم فى تكوين اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات العمال ضمن ممثلى شركات الاتوبيس .. فقد ظل دوماً يعمل فى هذا المجال.

وكالعادة يكون السجن طريقا من طرق النضال.وهكذا كان . عشر سنوات قضاها فى السجون متنقلا من قرة ميدان إلى سجن القناطر.. إلى الواحات.

وخرج فى ١٩٦٤ مع الجميع.

وبحكم العادة عاد إلى العمل فى الأوتوبيس .عين من جديد كمساريا . زملاؤه أصبحوا كبار موظفين . هو عاد ليبدأ من أول الطريق .ومن جديد بدأ نضاله النقابى..

كان قرار حل الحزب صاعقة صعبة. هو عاش للحزب وفى كنفه ومن أجله. ترك الأسرة ، لم يتزوج .. عاش مكتفيا بأسرته الجديدة .. رفاقه ونضاله.

ومع ذلك واصل نضاله .وتعرض لضغوط وتهديدات لكنه واصل . حتى أحيل على المعاش.

رجل كهذا.. ماذا يفعل؟

حياته كلها انسكبت فى النضال وما تبقى من أيام يجب أن يكون كذلك.

وهكذا اتى إلى المقر المركزى لحزب التجمع عارضا ان يفعل أى شئ . وشارك رفيقه القديم **محمد حسن جاد** فى العمل فى ادارة المقر.. وظل يعمل حتى انهكه الزمن والسن..

*****

منذ اشهر رأيته بعد غياب طويل . كسب قضيته ضد الحكومة مطالبا بتعويض عن فترة الاعتقال وما ناله من تعذيب وحشى . حكم له بتعويض . أتى رغم الحاجة الشديدة لكل قرش كى يقتسم التعويض. اتكأ على عصاه التى لم يعد يستطيع السير دونها وقال ببساطة هذا للتجمع. . وهذا لقسم شرق القاهرة(حيث يعمل حزبيا) وهذا لمجلة اليسار .. والباقى لى.

تأملته .. وارتسمت من قسمات وجهه صورة لجيل من الرجال لم يتكرر .. ويصعب أن يتكرر.

هناك حالة سائدة لا يمكن للمرء أن يتجاهلها، من افتقاد الحوار الايجابى الخلاق بين الأغلب الأعم من الناس فى برمصر، مما يجعل الآراء المتبادلة بين كل الأطراف تشبه طلقات الرصاص، آراء فيها الكثير من سوء النية أو تعمد سوء الفهم ،وكأن على المرء أن يعيش دائماً فى موقف «إما أن تصبح قاتلا أو تغدو مقتولا»،وإذا كان البعض يحاول أن يصور لنا الأمر على أنه تأكيد على «الديمقراطية» التى تسمح بالحرية الكاملة فى الاعلان عن الرأى والرأى الآخر. فإن الحقيقة أن هذا المناخ السائد من العدوانية الشرسة بين الناس، فى مجال الثقافة والفن والفكر،ليس إلا تأكيدا على غياب الديمقراطية الحقيقية غيابا كاملاً.

عادل إمام والسياسة(٢)

الجماهير والحكومة

أحمد يوسف

وهو الغياب الذى تؤكده ممارسات الحكومة التى تتصرف على طريقة «أنا الدولة، والدولة أنا» ،حتى أنها تمضى فى طريقها لتفريغ كل مقومات «الوطن»، لتحوله إلى «سوبر ماركت» فى شارع ما يسمى «النظام العالمى الجديد»،دون أن تعبأ الحكومة لحظة واحدة بأى آراء أخرى،وهو أيضا غياب الديمقراطية الحقيقية الذى يفرز ويفرخ كل يوم مزيداً من حركات التطرف، بالفكر أو العنف، على كل المستويات،حتى أن كل فرد يجد نفسه شيئا فشيئا يعيش ويتصرف ويتحدث كأنه يملك الحقيقة المطلقة، التى يريد أن يفرضها على الآخرين فرضاً.

يقول **عادل إمام** ويكرر فى كل حواراته الصحفية أننا **نعيش حالة من** «**الشيزوفرنيا**»، التى يراها مجسدة- من وجهة نظره-فى التناقض بين الاعتراف الحكومى الرسمي بالكيان الصهيوني،وبين رفض هذا الاعتراف من جانب قطاع كبير من المثقفين الذين ما يزالون-رغم كل ما اضطروا إليه من التنازلات-يرفضون المساومة على ما يسمى «**التطبيع مع اسرائيل**»، فالشيزوفرنيا كما يتصورها عادل إمام هى أنك لا تبدى اعتراضا - وهل تملك حقا حق الاعتراض؟! - على سفر المسئولين الرسميين إلى إسرائيل ، بينما تتهم المثقفين الذين يشدون الرحال إلى الكيان الصهيوني بالخيانة.

فهو إذن يتخفى- وربما قاده إلى ذلك، دون وعى ، احساسه المتضخم بالزعامة - خلف ستار الحكمة السياسية والفكرية ، التى تستعير مصطلحات علم النفس(!) لكى يقول لك بوضوح أنه ليس من حقك أن تأخذ موقفا ديمقراطياً من قضايا وطنك ،وأن عليك أن تقبل موقف الحكومة التى هى- كما يقول بالحرف الواحد فى فيلم«**النوم فى العسل**» - مثل الأب بالنسبة للشعب، (**هل يستدعى ذلك إلى ذاكرتك بعض المفاهيم الساداتية عن «كبير العائلة»**)؟!، ولأن المنطق يقول أنه «مفيش أب يرضى يقتل أولاده عشان أشقيا ومش راضيين يسمعوا الكلام» كما يقول الفيلم- فإن الحكومة- أيها الولد الغر الطائش- تريد مصلحتك وتسهر على راحتك، ربما فرصتك


عادل إمام مع شيرين سيف النصر

من أذنك أو حتى اضطرت إلى أن «تمدك» على رجليك ، لكنها -وهي الأب الحنون- تبغى في النهاية أن تجعلك مواطناً صالحاً وليس مهماً أن تسأل نفسك ما هو هذا الشئ الذي سوف تكون عندئذ صالحاً له!.

تنسف إذن مقولات **عادل إمام** في حواراته وأفلامه الأخيرة مفهوم «الديمقراطية» وتشكك في جدواها ،وهو الذي صنع نجوميته «الشعبية» من خلال أفلام كانت تردد مفاهيم التمرد- ولا نقول الثورة- حتى باللجوء أحيانا إلى العنف والتدمير ، ضد كل أدوات القمع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي التي تتم ممارستها ضد الانسان العادي، وتطاله وتحاصره في حياته اليومية البسيطة.

واذا كان العديد من الكتابات النقدية الواعية قد أشارت منذ سنوات إلى خطورة تشويه وعي الجماهير ، في ذلك الطرح الذي يؤدي دائما إلى «**العنف الفردي**» (وهو ما يؤكد موقفنا المبدئي تجاه التطرف والارهاب) ، فإن المثير للدهشة حقاً أن ترى اليوم **عادل إمام** في مرحلة نجوميته «الرسمية» يقترح عليك أن تقف مع الحكومة في صف واحد، لعل وعسى أن تجد من بين مؤسساتها -والشرطة على نحو خاص ،والتي هي بالطبع في خدمة الشعب ! -من ينتذك وينقذ الوطن من مشكلاته، ويقودك إلى

سمن على عسل

بداية الطريق نحو تحقيق الجنة الموعودة، التي لن تكون بها حاجة للديمقراطية ، لأن الحكومة والأهالي سوف يصبحان فيها عندئذ نوعا من «السمن على العسل». وإن كانت هذه المفاهيم ليست مرة أخرى إلا دعوة **للاستغراق في«النوم في العسل»**،قد تتناقض على السطح مع الدعوة في أفلامه الشعبية الأولى للعنف الفردي ، لكنها تتلاقى معها في أنها لا تضع المتفرج أبدا على الطريق الصحيح في فهم واقعه ووسائل تغييره ، عندما تدعوه- كما يحدث في المشهد الأخير من فيلم «النوم في **العسل**» -أن **يمضي خلف ضابط الشرطة مجدى نور ، رئيس مباحث القاهرة**(هكذا مرة واحدة) ولكى ينضم إلى قافلة الذين يصرخون متأوهين ، حتى تصل إلى مسامع المسئولين اعترافات الجماهير - أو بافتراض حسن النية احتجاجات هذه الجماهير- على ما تعانيه من «عجز جنسي» ! لكنه لا يقول لنا أبداً اذا ما كانت الحكومة سوف تتركنا نفعل ذلك، وحتى اذا تركتنا الحكومة نصرخ- ولا نقول نثور- ماذا نفعل إذا ما وجدناها لا تعير صرخاتنا التفاتا، على طريقة فريقي القافلة والكلاب، أحدهما يعوي والآخر يسير في طريقه ، وتلك هي حالة «الديمقراطية» كما نعيشها اليوم، والتي يؤكدون لك أنها تشهد أكثر عصورها ازدهاراً،والتي يبدو أن صناع فيلم«**النوم في العسل**» لايرون فيها غضاضة أو شائبة، أو كأنهم يحاولون إقناعنا بعدم التقاعس عن ممارستها!.

ثورة أفلام وحيد حامد بين النوايا والانجاز

ويود كاتب هذه السطور منذ البداية أن يؤكد، المرة بعد المرة، أنه لا ولن يستطيع أن يملك اليقين أبداً من أنه صاحب الرؤية الصائبة المطلقة والوحيدة، فيما قد يختلف فيه مع بعض الآخرين ،وربما أيضا تسلل إليه الشك أحيانا في صحة آرائه عندما يبدو له أنه يسير ضد التيار السائد الجارف ،خاصة اذا ما كان اختلاف الرأى قد أصبح يفسد للود كل القضايا ،في ظل مناخ يفترض فيه الأغلب الأعم من المشاركين في الحوار أنهم مطالبون بالدفاع عن أنفسهم ودفع «الاتهامات» الجارحة عن أفلامهم، فتخرج المخالب وتبرز الانياب في صراع وحشي للأفكار.

لكن ألا يبدو أن الأكثر أهمية هو ألا ننساق أو نستسلم لهذه العدوانية التي تجعلنا ننسى أو نتناسى بعض الحقائق البديهية، بدءاً من علاقة العمل الفني بالنقد ، وانتهاء بالفرق الجوهري بين الاعتراف الرسمي ببعض الدول الذي قد تضطر إليه الحكومات في بعض مراحلها التاريخية اضطراراً ،وبين تحويل هذا الاعتراف إلى حقيقة أزلية أبدية ، مروراً بضرورة وجود عقد اجتماعي عادل بين المواطن والدولة.

وقد يبدو هذا الاستطراد بعيدا عن النقد السينمائي ، بذلك المفهوم **التقليدي الذي يريد للنقد أن يبقى محصوراً ومحاصراً في دائرة تحليل الأفلام ، وهو ظلم مجحف بالنقد والأفلام معاً، إذ يتحول الأمر إلى عملية تشريح للأعمال الفنية كأنها جثث**

هامدة ، فاقدة للروح والحياة، منقطعة الصلة عن عالمنا وواقعنا ، بينما الحقيقة أن الفن- والنقد الفني بالضرورة- ليس إلا أحد أوجه النشاط الانساني، وجه يعكس الموقف من الحياة ويؤثر فيها في آن واحد.

لذلك كله، نضع السينما في موقعها الصحيح من حياتنا، بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وإذا كان لأفلام **عادل إمام** -أو بالأحرى أفلام **وحيد حامد** أيضا- من قيمة جوهرية ، فإن هذه القيمة تنبع من خطرها وخطورتها في هذا السياق ، فهي في جانب منها تعكس موقفا من السياق الواقعي الذي نعيشه ، كما تريد أيضا أن تترك تأثيرا قويا على هذا الموقف. ومن المؤكد أن كل الأعمال الفنية تقوم بهذاالدور المزدوج، حتى لو لم تكن تملك وعياً سياسيا أو لا تريده ، لكن أفلام **عادل إمام** -حتى أكثرها سذاجة مثل**«بخيت وعديلة»** -تمارس هذا التأثير الطاغي على الجمهور الذي يتوحد دائما في ظلام قاعة العرض ، في حلم من أحلام اليقظة، مع نجمه المحبوب. كما أن **السينما التي أصبح وحيد حامد من أهم أركانها هي** سينما ترفع الشعارات السياسية الساخنة، وتبدو كما لو كانت تندفع في جرأة وجسارة لتضع نفسها في قلب المعركة، دون أن تعبأ - أو هكذا يصور لنا صناعها- بأنها تتجاوز كل الخطوط الرقابية الحمراء .لكن الأكثر أهمية وخطراً في هذا الأمر كله هو أن تلك السينما «السياسية» قد أصبحت عند أغلب المثقفين هي«غاية المراد» ، خاصة وأنها تمثل للحكومة شهادة تخزى بها العيون بأنها تؤمن بالديمقراطية ، كما أنها تمثل لأصحابها دوراً نضاليا ثورياً لا نريد أن نقع في منزلق التشكيك فيه، وإن كان هذا لا يمنعنا من أن نشك في جدواه ومغزاه ،ليس من منطلق البحث في النوايا أو التفتيش في القلوب والعقول ، أو حتى من منطلق مراجعة سلبية وإيجابية مترلة «واقعية النقد من داخل السلطة» التي يبدو أن صناع هذه السينما «السياسية» قد باتوا مقتنعين بها، لكننا نسعى إلى أن ننطلق في نقدنا لثورية مثل هذه الافلام، من خلال محاولة إعادة البحث من جديد عن أبجديات العمل السينمائي ، في جمالياته ومضمونه على السواء ، كما يتجلى في أوضح حالاته في فيلم **«النوم في العسل»**.

الخطأ في التشخيص والعلاج

من المؤكد أنك تعلم من خلال مشاهدتك لفيلم **«النوم في العسل»**، أو قراءتك لعشرات المقالات النقدية عنه ، أن حكايته تدور حول رئيس مباحث العاصمة، الذي يفاجأ ذات صباح بحادثتين مختلفتين من الانتحار والقتل، تحدث إحداهما في طبقة الصفوة بينما كانت الأحياء الشعبية الفقيرة مسرحا للأخرى ، لكن بطلنا يكتشف أن الدافع وراء الحادثتين كان واحداً، وهو إحساس الرجال بالعجز الجنسي المفاجئ، الذي أخذ ينتشر على نحو عبثي وبإيقاع مجنون حتى يسري في المدينة كلها ويطال المدن المجاورة أيضا ، بل أن البطل يجد نفسه في خلوة منتشية مع زوجته(**دلال عبد العزيز**)مصابا بنفس الحالة الغامضة ، لكنه لا يحاول- أو بالأحرى أن الفيلم هو الذي لم يحاول- أن يبحث عن أسباب هذا العجز ،وإنما تصبح قضيته هي أن تعترف الحكومة بانتشاره، ليتصارع وزير الداخلية (**محمد الدفراوي**) الذي يريد إعلان الحقائق (!) مع وزير الصحة (**نظيم شعراوي**) الذي يصر على إخفائها والتعتيم عليها ، بينما تسعى صحفية مغمورة(**شيرين سيف النصر**) إلى أن تجعل الصحافة طرفا إيجابيا في الصراع ، لولا أن رئيس التحرير (**عبد الرحمن أبو زهرة**) يتلقى التعليمات بتجاهل الموضوع. لكن **الأهم هو أن الجماهير التي تعاني من هذا العجز المرير لا تريد بدورها الاعتراف بمرضها**، وتبحث في صمت عن بعض الحلول التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، تارة في دور العبادة حيث رجال الدين يرجعون كل شئ في غموض للابتعاد عن طريق الهداية،وتارة أخرى لدى العطارين أو الدجالين المشعوذين الذين يتاجرون بآلام الناس وجهلهم ،وتارة ثالثة عند الأطباء، الذين لا يملكون إلا التشخيص ولا يقدمون العلاج ، على الرغم من أن البداية الحقيقية تبدأ بالفعل من التشخيص الصحيح.

لا تسأل نفسك لماذا جعل الفيلم من «رئيس مباحث العاصمة» بطلا له ،وما الذي يجعله مؤهلا للقيام بهذا الدور -بدلا من الطبيب (مثلا) ، أو الضحية (ولماذا هي صحفية وليست صحفيا، إلا أن مقتضيات «التوليفة» تتطلب وجود ممثلة «حلوة» إلى جانب عادل إمام، لا تسأل نفسك مثل هذه الأسئلة الساذجة ، فسوف تكتشف أن الفيلم يريد أن يقفز- ربما هربا من المواجهة الحقيقية مع جوهر موضوعه- فوق الكلمات العابرة للطبيب: **«فيه حالة إحباط عام.. الحل هو العلم»**،ليقول لك أن الحل هو أن يترك الناس مدنهم وينتشرون في الصحراء ، حيث يكتشف بطلنا أنه استرد قوته الجنسية مرة أخرى ، لولا أن جنود «الهجانة» يطاردونه وزوجته بالسياط ، ليدخل الفيلم فجأة في مشهد النهاية- الذي يذكرك على نحو قوي بفيلم **«أي أي»** لسعيد مرزوق!! عندما يقود الضابط «الزعيم» جموع العاجزين أمام مجلس الشعب في مظاهرة، يستحث فيها الجماهير : «اللي عايز العلاج يقول ورايا : آه» فيرددون وراءه التأوهات ،وليؤكد «الزعيم» لوزير الداخلية في خطابية مباشرة : «أنا موقعي مع الناس.. الناس اللي بقى لها سنين ماقالتش آه»، ويتوجه لأعضاء مجلس الشعب بالحديث:«الناس جاية عندكم، حلوها انتوا بمعرفتكم».

حسناً فعل **وحيد حامد** عندما أشار أكثر من مرة إلي أن هذه الفكرة قد سبقت معالجتها في أعمال فنية مثل مسرحية **«الخرتيت»** **ليوجين يونيسكو** ، أو رواية **«الطاعون»** **لألبير كامي** ، إلا أنه يقول أيضا أنه استوحى الفيلم من حادثة الاغماء الجماعي الغامضة للفتيات المراهقات في بعض مدارس مصر . كما دخل معركة صحفية أيضا مع الروائي **جمال الغيطاني** صاحب **«وقائع حارة الزعفراني»**حول استمارة حالة العجز الجنسي الجماعي- بالتحديد- لتكون بؤرة درامية لفيلمه، وإن كان هذا لا ينفي أن هناك في«الفكرة» بريقاً يغري بإعادة المعالجة ، فاذا كان يونيسكو قد صنع من مسرحيته رمزاً لانهيار انسانية البشر تحت ركام «المدينة» الزائفة،وإن كان **كامي** يرمز بها لوحدة الانسان الوجودية في جحيم الاخرين ،وإذا كانت حادثة الاغماء الجماعي تشير إلى ظاهرة نفسية اجتماعية يمكن أن تسود فجأة تعبيراً عن سياق بعينه،وإذا كانت «حارة» جمال الغيطاني ترسم صورة فولكلورية «ساخرة» على طريقة المثقفين لعالم البسطاء، الذين لا يجدون ما يتفاخرون به إلا قوة جنس خارقة مزعومة يستخدم وحيد حامد نفس «الرمز » لكي يُعبر به عن واقع سياسي يقول فيه أنه ينحاز للجماهير؟!.

هل يطير الرمز بجناح مكسور

جوهر المفارقة في فيلم **«النوم في العسل»** هو أنه اتخذ الرمز مطية يركبها

وقتما يشاء ،ويتنزل عنها عندما يريد ، لذلك نضطر للتأكيد على بعض بديهيات الأعمال الفنية الرمزية ، فى ضرورة أن يصبح فيها الرمز متسقا- وربما منصهرا أيضا - مع الواقع فى كل تفاصيله وعلى كل مستوياته ، وأنك أينما تأخذ الرمز إلى أقصى حدوده لوجدت أنك ما تزال تقف على أرض الواقع الراسخة ، أو أنك كلما ازددت ايغالا فى أغوار الواقع لوجدت الرمز ما تزال اصداؤه تتردد فى أعماق هذا الواقع البعيدة.

نقول أحيانا «أن الثورة ليست هى مجرد وقوع الظلم ، وإنما الاحساس بهذا الظلم». وعلى الرغم من المعاناة المريرة للناس من هذا الظلم إلا أن أقصى ما جعلهم وحيد حامد قادرين على فعله هو الصراخ والتأوه .وعلى الرغم أيضا من أن كلمة «ماعرفتش» التى يضعها الفيلم على ألسنة العاجزين تبدو تعبيرا مزدوجا عن العجز الجنسى وعن فقدان معرفة الحقيقة فى آن واحد ، إلا أن **وحيد حامد** يجعل الناس لا يرفضون فقط معرفة أسباب هذا العجز ،وإنما يرفضون الاعتراف به أيضا ! فما بالك إذن اذا كانت الجماهير ذاتها لا تريد الاعتراف بعجزها ،وكيف لك أن تلوم الحكومة على أن تميل إلى أن تزيد الأمر تعتيماً، بينما يبقى البطل الفرد وحده هو الذى يريد مواجهة الحقيقة؟ ! (للأسف الشديد ، فإن بعض أفلام **وحيد حامد** الأخرى ، مثل **كشف المستور** الذى يزعم أنه يوجه نقداً شديد القسوة للنظام،تذهب فى هذا الطريق نفسه ، عندما **تقول لك أن هذه الحكومة هى» على مقاس » هذا الشعب المتفسخ المهترئ الذى لا يريد أن يغير حياته!!).**

إنك ترى السباك شحته (**ضياء الميرغنى**)، قاتل زوجته التى عيرته بعجزه الجنسى لمرة واحدة، يرفض أن يعترف بهذا الأمر أمام المحكمة، حتى لو كان الثمن الفادح هو الحكم عليه بالإعدام! وربما يقول لك صناع الفيلم أن المصريين بطبيعتهم يبالغون ويغالون فى النظر بحساسية مفرطة للاعتراف بالعجز الجنسى ، عندئذ نقول لهم إن هذا «الرمز» لا يصبح إذن ملائما لزعم الفيلم بأنه يريد التعبير عن الآلام المبرحة التى يحياها الناس فى حياتهم اليومية، فهم يريدون فى الحقيقة- دون أن يجدوا لذلك متنفسا مشروعا أو غير مشروع- أن يصرخوا بها ويلطموا الخدود ويشقوا الجيوب، بل أنها الآلام التى دفعتهم وتدفعهم أحيانا إلى ممارسة العنف ،حتى فى أفلام **وحيد حامد** الأولى(!!) . لكنهم فى «**النوم فى العسل**» يحتاجون لمن يحرضهم ويقودهم لكى يقولوا مجرد «آه». وربما يريد الفيلم أن يقول لك أيضا -تلميحا أو تصريحا- أن ميزة وآفة الشعب المصرى هى الصبر، ولعله يطلب من الناس فى ذكاء أن يتخلوا عن هذه « -الفضيلة المرذولة» لكن ذلك يسجن «الشعب المصرى» فى مفاهيم أزلية أبدية ، كأنه شعب يستعذب الصبر وعذابه.(وبالمناسبة فإن كتابا مشبوها قد صدر مؤخرا ليردد هذه المفاهيم ، تحت اسم «**تراث العبيد**» ،ويحمل اسم المؤلف «**الدكتور ع. ع.**) !!! -ليقول لك الكتاب أن الشعب المصرى من سلالة المماليك ،وأن تراث عبودية المماليك قد انتقل إلى الناس بالوراثة التى لا مفر منها ،ومع ذلك فإن المؤلف المجهول -الذى يكتب أحيانا أسماء القرى المصرية كأنه يترجمها عن لغة أجنبية!!- قد وجد ترحيباً من بعض المثقفين ،لأنه يقول أنه يتبنى منهج علم النفس الاجتماعى!!).

هل نجد أنفسنا مضطرين مرة أخرى للحديث عن البديهيات، عندما نشير إلى أن ما نسميه «**الشعب المصرى» ليس كتلة صماء نلصق مفاهيمنا الجاهزة القاطعة المانعة به**؟!وإن فيلما مثل «**النوم فى العسل**» يتحدث عن الجماهير بهذه العمومية التى تفتقد أى حس تاريخى أو سياسى أو اجتماعى ، يلقى عن كاهله مسئولية التدقيق فى الأفكار التى يزعم أنه يناقشها ،ويجعل «الشعب المصرى» مسئولا عما يعانيه ، فكأن الفيلم يستريح ويريح عندما لا يوجه اصبع الاتهام إلى من يمارس القمع ،وإنما يوجهه إلى من يقع عليهم هذا القمع، ناهيك عن الرمز الفج الذى سبقت الاشارة إليه فى أن الحكومة بالنسبة للشعب هى« الأب اللى ما يرضاش يقتل ابنه عشان مايسمعش الكلام».

هل أراد «الرمز» إذن فى فيلم «**النوم فى العسل**» أن يقول أن على البسطاء ألا ينتظروا من السلطة أن تحل لهم مشكلاتهم؟ إن كان ذلك صحيحا فإن الفيلم يبدو ثوريا بحق، إلا أنه يجعل الحل فى أن «يبتعدوا عن العاصمة» ، حيث «الهواء الطلق جاب نتيجة».وإن كنت تفهم أن «الهواء الطلق» يرمز للحرية ، فبماذا تفسر «الابتعاد عن العاصمة» يقول لك بعض النقاد اصحاب مذهب التبرير والتمرير والبحث عن تخريجات عجيبة غريبة أن الفيلم يدعو إلى .. غزو الصحراء!!!).

كما أن الفيلم يتحدث فى رمزية عن ضرورة الاطمئنان على الجيل الجديد،والتأكد من نجاته من خطر العجز الجنسى ، فيجعل الضابط الزعيم يسعى للتأكيد من أن أبنه (يقوم بالدور ابن عادل إمام شخصيا، وهو أيضا «منتج فيلمه القادم الجديد «بخيت وعديله-الجزء الثانى) يقيم علاقات (جنسية؟!) سوية مع صديقاته من بنات النادى ، فلا تملك أن تسأل نفسك عن مصداقية امتداد هذا الرمز ليشمل الجيل الجديد من أبناء المصريين، الذين لم يعودوا يعرفون حتى «الساحات الشعبية» وليس النوادى ،وأصبح أساطين التطرف فى الجامعات والمؤسسات الرسمية ذاتها يصرون على الفصل بين مقاعد الفتيان والفتيات،وليس وارداً على الاطلاق حتى مجرد اقامة علاقات انسانية سوية بينهم!.

رمز العجز الجنسى وسيلة أم غاية؟.

هذا هو رمز «العجز الجنسى» الذى أراد الفيلم أن يعبر به- أو هكذا يقول صناعه- عن أن «الناس ضاربة بوز.. **حملهم** تقل قوى ..» ،وتحذيره من أن الناس لو اتحرموا من الحاجات دى يقصد قوة الرغبة الجنسية- مش هايسكتوا ، والله أعلم هايعملوا ايه ساعتها ، (وأرجو أن تلاحظ أن تلك العبارات تنتمى إلى الحكم البليغة التى تحتشد بها معظم حوارات أفلام **وحيد حامد** ،وتبدأ دائما بكلمة «الناس..» ،وإن كان الفيلم على أية حال يقول أن الناس لم ولن يفعلوا أى شئ إلا السير فى مظاهرة الزعيم رئيس مباحث العاصمة.

لكنك تكتشف أن الرمز لم ينجح فى أن يحمل الرسالة «السياسية» المفترضة إلى غايتها ،وإن كان مانجح فيه حقا هو أن يلتهب الفيلم كله بإيماءات جنسية فيها الكثير من السوقية ومغازلة الجماهير.وكنا نتمنى لو أن هذه العبارة كانت تعبيراً عن جرأة سياسية حقيقية.(ونحن لسنا أيضا بأى معنى من المعانى ضد المعالجة الفنية الناضجة لموضوعات جنسية، فالجنس بدوره ليس إلا أحد أوجه الحياة الانسانية بكل عمقها وتعقيدها)، ولكن **المعالجة السينمائية اتسمت بهزال وضعف شديدين وغريبين أيضا على الموهبة اللامعة لوحيد حامد فى بعض أفلامه المهمة**، فكل الشخصيات دون استثناء يمكن اختزالها إلى مجرد مهن أو علاقات أو

حتى صفات بدنية: الصحفية، الزوجة، وزير الداخلية، وزير الصحة ، رئيس التحرير، الرجل البدين، الرجل العصبي، صاحبة بيت الدعارة(!) ،السياك، العطار، الطبيب، الدجال،شيخ الجامع، قس الكنيسة، وحشد من الرجال والنساء، يظهرون ويختفون جميعاً مثل الكتل والدمى التي يحركها كاتب السيناريو بخيوط غليظة ، ويدفعها إلى مواقف شديدة المبالغة في كاريكاتوريتها (كما يبدو في«تمر» قسم الشرطة ، أو مجلس الشعب، أو المسجد، أو الكنيسة ، أو عيادة الطبيب..) ،لكي **يبقى عادل إمام وحده يتحرك أمام هذا الحشد الهلامي الهائل**، وإن كان الأهم هو أن شخصية البطل نفسه تبدو شخصية مسطحة،لا تتأثر بالدراما ولا تؤثر فيها ، لأنها تبدأ كما تنتهي ، متحدثا رسمياً يضع على لسانه وحيد حامد شعاراته السياسية التي تبدو ساخنة.

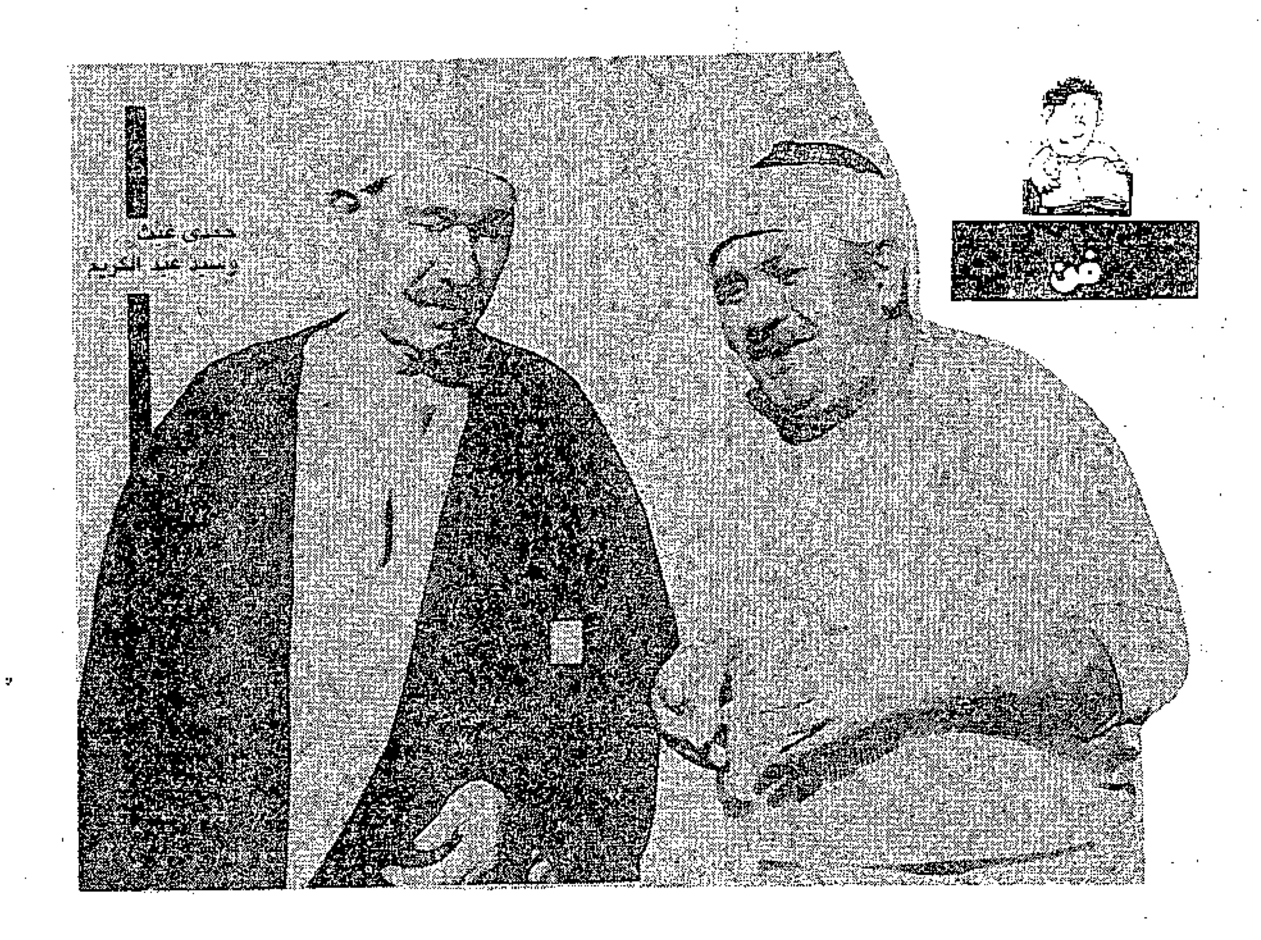
ماذا يبقى إذن من الفيلم وقد افتقد الرمز فيه معناه ، وتحول السيناريو إلى مجرد تمر متوالية، وخبا فيه بريق إخراج **شريف** عرفة الذي لازمه في أكثر أفلامه السابقة، وربما بسبب غياب موسيقى مودى **الإمام** عن الفيلم (والتي كانت تحقق للمخرج امكانيةاستخدام المونتاج الايقاعي المبهر الذي اعتاد عليه)؟ إن ما يبقى هو «التوليفة» التي تجمع بين التوابل القليلة من السياسة ،والتوابل الكثيرة من الجنس، وأرجو ألا أنتهك مشاعر القارئ عندما أحاول أن أبحث معه عن الاجابة ، عن العلاقة بين الرمز السياسي وعبارات ومواقف جنسية فجة احتشد بها الفيلم، إذ ينظر عادل إمام -في موقف يفترض أنه مأساوي- إلى مؤخرة عروس انتحر زوجها بسبب عجزه ،وهو يقول لها «بصراحة انتي عملتي اللي عليكي.. بوس وبوسني ..لعب ولعبتي..»، أو إصراره على أن يسمع منها كل تفاصيل هذا البوس واللعب وكأنك أمام« «استربتيز» عن طريق الحوار ،ويبرر لك الفيلم ذلك بفزلة أكثر فجاجة: «لاحياء في الدين، لا حياء في الجواز، لا حياء مع رجال المباحث»!) ، أو عندما يشك البطل في أن زوجته تخونه حين يسترق السمع إلى تأوهاتها ليكتشف أنها تمارس بعض التمارين الرياضية ، أو حديث الساعي العاجز جنسيا عن «شاربه المتدلي» : «كل ما أحاول أرفعه فوق بيسقط مني تحت»، أو تعليق صاحبة بيت الدعارة (**مريم فخر الدين**) على الموقف كله ، والذي يوحي بأن الناس على ما يرام طالما أن بيتها عامر بالرجال ،لكن «الرجالة اليومين دول تسد النفس ، ماتخدش منهم غير كلام وبس.. زمان كان فيه مزاج، كل حاجة تتعمل بنفس، إنما رجالة دلوقتي يا حسرة عليهم »، أو تلك الخطبة العصماء التي تسوقها عضوة مجلس الشعب، يتصور بها الفيلم أنه يدافع عن حرية المرأة ، فإذا كان الرجال عاجزين جنسيا : «تبقى المرأة ناقصة ظلم؟ ويقولوا الست تقعد في البيت.. تقعد في البيت عشان تعمل ايه؟!».

التابوه الحقيقي

إن ذلك السعي الخبيث على إثارة ضحكات الجماهير ومغازلة غرائزها ، قد دفع بوحيد حامد إلى أن يضع مثل هذه العبارة على لسان عضوة مجلس الشعب . فإذا فهمت الفيلم على نحو واقعي ، لكان على المرأة أن تعود إلى البيت عندما يسترد الرجال قرتهم الجنسية، وإذا فهمته على نحو رمزي ، لانتهت المرأة إلى نفس المصير عندما يتخلص الرجال من القهر والقمع . فهل يا ترى يبدو ذلك متسقا على أية حال ؟ بل إن ذلك يصب الفيلم في مقتل. فالأجابة الجاهزة عند أصحاب الفكر المتطرف تكمن في هذا السؤال الاخرق ذاته، فإذا كانت علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة الفحولة بالأنوثة، فإن غاية ما يتغنى به هؤلاء هو فحولتهم الجنسية،لذلك فإن مكان المرأة الطبيعي الوحيد هو .. الفراش!

إننا لا نصدق أن فيلما مثل«**النوم في العسل**» -كما يزعم صناعه- يقتحم «تابوهات» السياسة والجنس (وهو في الحقيقة توليفة انتاجية ذكية منهما) ، فعن أي تابوهات يتحدث وهو لم يتناولهما إلا بقدر كبير من الخفة والسطحية، تحولت معهما قضيته ورمزه المضطرب إلى نكتة واحدة ظلت تتكرر طوال الفيلم ، تشبه مع افتقاد خفة الظل تلك النكات التي يرددها قطاع كبير من الجماهير حول القدرة الجنسية أو العجز الجنسي، وإن كانت تلك النكات ذاتها تحمل دلالة قوية على أن هذا الأمر يحتل مساحة كبيرة في عقل ووجدان وغرائز الجماهير، ودورنا الحقيقي هو أن نتلمس ملامح هذه الدلالة، لا أن نقوم باستغلالها وبيعها في أفلام بأن نؤكد على جوانبها السلبية.

ولعلنا لا نضيف جديدا عندما نذكر ان الجنس- بمعناه الانساني الأشمل- هو أحد المجالات الحيوية للدراسات النفسية والاجتماعية والسياسية ، كما أن الجنس يعني الرغبة في التفاعل مع العالم، وممارسته الصحيحة والصحية تعبر عن العلاقة السوية مع هذا العالم: العلاقة بين الأنا والآخر ،والانسان والمجتمع، والمواطن والسلطة، كما أن اليسار الفرويدي قد أشار إلى قضية العلاقة بين الكبت الجنسي ومظاهره غير السوية- ولا نقول العجز الجنسي-وبين القمع السياسي.وإذا كان الفيلم وصناعه يبحثون عن تابوهات حقيقية، بدون حاجة إلى اصطناع الرمز وتخبطه، فإن التابوه الأكثر خطرا هو ان **الناس في ظل هذا السياق المضطرب الذي تضيع فيه ملامح «الوطن» ومعنى «المواطنة» يعانون من عجز من نوع آخر**: العجز الذي يعني أننا نتصور أننا نمارس الجنس باقتدار وفحولة بينما لا نعرف معناه -الحقيقي ، كما قد نتخيل أننا نصنع انجازات تشيد بها وسائل الاعلام بينما نمضي بخطى واثقة إلى تدمير ما نملك، نتحدث **عن القرن الواحد والعشرين بينما لا نزال نعيش في العصور الوسطى ،ونتوهم أننا نمارس الديمقراطية بينما الحقيقة أننا نصرخ في البرية، وتصيبنا الخيلاء من تصوراتنا أننا نصنع أفلاما عظيمة بينما الحقيقة أننا لم نعرف بعد ما هي السينما!**



حمدى غيث
وسيد عبد الكريم

خالتى صفية والدير .. دراما الكشف عن طلاسم الشخصية المصرية

ماجدة موريس

فى تطور محمود لدراما التلفزيون فأجانا مسلسل خالتى صفية والدير بهذه الدراما المختلفة عن غالبية ما تقدمه الشاشة الصغيرة . خاصة ما تقدمه عن عالم الصعيد . فالصعيد، هذا العالم الكبير الخصب الذى يمثل نصف مصر ، لاقى الكثير من الظلم، من الحكومة ومن الأهالى معا. لكن جزءاً مهماً من الظلم جاء من الفن ، خاصة الفن السريع الانتشار مثل السينما والتلفزيون، حيث جرت العادة على تقديم صعيد مختلف عن الواقع ، هجين ، لهجته غير اللهجة، ويبدو خارجاً من فم الصيغ الدرامية الجاهزة وليس من قلب الدأب والحب والابداع.

فى خالتى صفية والدير يتحقق لنا على شاشة التلفزيون هذا الاسلوب المفتقد فى تقديم عالم الصعيد ، وأرجو ألا يكون عملاً فريداً وحيدا . وفى المسلسل إشارات عديدة وأسلوب فى رصد هذا العالم ،وفى تقديم مفرداته باخلاص كبير. فى أماكن التصوير المختلفة يتحرك الممثلون وسط ملابس وقطع أثاث، بعضها لا يعتبر أثاثا بالمعنى المتعارف عليه ،وفى السجن تتحقق صورة أخرى من توخى الدقة والأمانة فى نوم المساجين على(البورش) . كل هذا يعنى تاريخاً من الاتقان لفنان مثل **سيد أنور** مهندس الديكور الكبير الذى توازى خبرته ومهارته خبرة رفيقه المخرج **اسماعيل عبد الحافظ**، فإذا كان اسماعيل أكثر شهرة لأنه المايسترو المسئول عن (صورة الدراما) ،فإن هذه الصورة فى جمالها واتقانها هى الدليل على بلوغ كل عناصر العمل لمستوى يفصل بين الصدق والزيف،والفن واللافن،وهكذا رأينا فى(خالتى صفية) احتراما للمهنة فيما يتعلق أيضا بالتصوير والاضاءة والاكسسوار والملابس ،وربما تجاوز عنصر الماكياج قليلا وأفلتت منه لحظات لا تلائم صدق الغالبية ، لكنه تجاوز لا يخل بهذه الدراما التى احترمت نفسها باحترامها لأمانة التنفيذ ،واحترامها لروح الرواية التى نقلتها للشاشة ،وجوهر ما

اراده الاديب **بهاء طاهر** منها كما صرح هو بنفسه في أكثر من حوار صحفي.

وربما كان غياب **بهاء طاهر** عن مصر لأكثر من عشر سنوات قد منعه من متابعة دراما التلفزيون المصري على نحو دقيق، لكن هذا أفاده من جهة أخرى ،وحماه من القلق الذي يساور المبدعين عادة تجاه اعمالهم اذا ما وقعت في يد لا تحسن فهمها وتقديمها . جاء حسن حظ**بهاء طاهر** في وقوع روايته في يد مخرج **كاسماعيل عبد الحافظ**، ينطلق في كل ما يقدمه من رؤية فكرية مستنيرة ،وأيدلوجية واضحة تحددقناعاته الوطنية والسياسية . **أما يسر السيوى** ، كاتبة سيناريو وحوار المسلسل فهي تلك الرقيبة التي كشفت عن وجه آخر منذ سنوات عندما قامت بصياغة رواية د. **خليل حسن خليل (الوسية)** للتلفزيون، فقدمت شهادة ميلادها ككاتبة سيناريو ، ثم مرت الأيام بها كرقيبة ، حتى عادت من جديد ككاتبة سيناريو في(**خالتي صفية والدير**).

نجحت يسر السيوى في الامساك بخيوط الدراما وغزلها على نحو دائري يتيح لنا إدراك كافة عناصرها ، المنظورة والمطمورة ، ويتيح لها التحرك بين دوائر الفعل ورد الفعل ،وما بين هذا وذاك مما يدخل في عالم النفس(مثل دراما صفية الخاصة) أو مما يدخلنا في حالة تأمل وتفكير . **إنها دراما كاشفة بقدر ما هي تنويرية في جزء من أجزائها**. ففي رصدها لمجتمع الصعيد تكشف عن القواعد والقوانين الصارمة التي تحكمه من الداخل ، فاذا كان **بهاء طاهر** يقول في تحقيق لمجلة المصور منشور يوم ٥ أبريل الماضي أنه يعتبر الصعيد هو (حارس القيم المصرية) من أيام أحمس وطرده للهكسوس وحتى الآن ، فإن المسلسل يقدم المرأة الصعيدية كحارسة على عادة الثأر وزرع قيمة الانتقام لدى الاجيال الجديدة وأرضاعها لهم مع اللبن ، حيث يبدو الثأر هنا، في اطار الدراما، لغزا لا حل له ، وقدرا لا فكاك منه..

وقد خرجت من مشاهدة هذا العمل بقدر كبير من الانزعاج لهذا السجن الكبير الذي اوصلت إليه الدراما، سجن العادات والتقاليد التي لم يفلح أي شئ في الدنيا في تخفيفها ،ولا الحرب سواء كانت حرب ١٩٦٧ التي تضمنتها احداث المسلسل أو تلك التي أنتصرنا فيها فيما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. **فالصدق في هذا العمل واضح وجارح بقدر ما هو رائع ومبهر** في إطار الدراما ومقدرة المخرج على ادارة أبطاله إلى أفضل مستوى لهم، غالبيتهم ، وبالتحديد ، الكبار ، وبينما كان بعض الكومبارس دون المستوى وهذا لغز.

هناك أيضا مقدرة **اسماعيل عبد الحافظ** الكبيرة في شحن المشاهد والمشاهد لتبادل التأثير والتأثر ببراعة فائقة. ففي مشاهد قصر «البيه» القنصل تنمو صفية في اتجاه العنف، فتصبح مسيطرة على ذلك القصر الواسع بعد أن كانت (عصفورة) بداخله أيام حياة الزوج.وفي مشاهد الدير يفرض المكان سطوته على الدراما وتتحول الحركة واسلوب الاداء لتلائم هذا المعنى . أما بيت الشيخ ابراهيم فالثقل يتوزع ما بين **سناء جميل** (حسنية) وبين **حمدي غيث** زوجها (الشيخ ابراهيم) والحركة سلسلةيقودها ممثل موهوب ومحترف حامل لرسالة محددة، وحيث تبدو الرسالة متناقضة في البيت ما بين حسنية التي تدافع عن ثأر صفية وبين زوجها الذي يدعو للتسامح.. وفي مشاهد قليلة عميقة يقدم المسلسل رؤية لجوانب أخرى - من ثنائية العدل والظلم في مصر ، مثل مشاهد السجن واعترافات المساجين . وقصة(**فارس**) الذي أفلت من ظلم عائلي ليصبح زعيم المطاريد **-محيي الدين عبد المحسن-** وليكشف عن انسان وهو زعيم للاجرام. وقصة أخرى أقصر وأروع للسجين نصر- قام بدوره **مخلص بحيري** -الذي عاش سجنه الحقيقي من خلال رفض ابنته زيارته وفي اللحظة التي تأتي فيها يكون قد أسلم الروح وحيث يكاد الفنان يتحول إلى سجين حقيقي لفرط الصدق والاخلاص في الاداء.

نماذج مصيرها الاهمال

ومن ناحية أخرى ، يكشف المسلسل عن حفاوة غير معتادة بنماذج إنسانية منبوذة اجتماعيا في غالبية ما يقدم من دراما ،وعن نظرة أكثر رحابة وإنسانية للانسان داخل كل منها والذي لابد وأن يكون- موجودا في مكان ما من النفس ، يظهر عند اللزوم . فالى جانب(فارس) هناك **رزق**- وصاحب الخمارة بالقرية والذي يهدر خمره ويغلق حانته بمجرد بداية حرب التحرير وذهاب الشباب للتطوع حيث يرى أن الحرب تحتاج للفايقين) أما **أمونة الغازية- رانيا فريد شوقي** -فهي نموذج لهذا التعامل الدرامي مع البشر كبشر وليسوا انماطاً أو قطع كاوتش في مختبر فهي فتاة غجرية ، لها اسرة وترحل وتعيش من الرقص والغناء وعندما تحب ، تصبح كأخلص ما يكون الانسان المحب المخلص، ويصبح(**حربي**) كل حياتها. تماما مثل بنت الأصول **صفية** .وفي مشاهد أمونة وحربي انسجام في الاداء ،وروح جديدة لهذه العلاقة على الشاشة أكثر صدقاً وواقعية من مشاهد الفلاح والغازية التي قدمتها الشاشة من قبل.

أخيرا فإن جديد المسلسل المهم هنا هو تلك الشخصية الساحرة، المقدس بشاي -قام بدوره الفنان **سيد عبد الكريم** -فهي نموذج جديد تماما على الدراما في السينما والتلفزيون. صحيح أن القساوسة والرهبان تعتبر نماذج جديدة أيضا طرحها المسلسل . لكنهم موجودون بشكل ما ضمن هامش التواجد الاجتماعي المعروف لنا. أما هذا **الفرد القبطي التقي الذي يعيش لخدمة الدير وتكاد حياته تتعلق بمفردات محددة يرى بها العالم مثل خدمة الرهبان وخدمة زوار الدير وخدمة كل من يحتاج لخدمة من أهل البلد فهذا ما نسجله لهذا العمل من** زاويتين . الأولى أنه قدم هذه الشخصية بقدر كبير من الحب والاحترام والبساطة وكأنه يقوم بمهمة التعارف بينها وبين أهل وطنها في ظروف صعبة.. والثانية: تخص أسلوب التقديم نفسه وما يعنيه في اطار الدراما وما بعدها.

في اطار نظرية بناء الاديرة قال(آبرنامترى) أنها بنيت بعيدة عن العمران لتكون بمعزل عن الصراعات وداراً للأمان

وهنا يبدو الدير البعيد وكأنه رمز للحفاظ على نسيج الحياة ، يأخذ طهره ونقاءه من وداعته ونقاء المقيمين به ومن تراث الحضارة المصرية السابقة على المسيحيين وحيث كانت هناك أبنية مماثلة للأديرة هي المعابد الفرعونية **يتأصل هذا المعنى من خلال الدراما ليتجاوز الدير ديانات أهل القرية ويصبح رمزا أبعد من الكنيسة والمسجد وله حرمة خاصة، حيث لا يجرؤ أحد على اقتحامه** وبالتالي فإن من يحتمي به ، يضمن الحماية الكاملة، وهو ما حدث مع (حربى) ، كما أن الدير لا يقبل أي شرير يدخله أو يلوذ به، وتلك (قاعدة) الحماية التي تميزه .والدليل على هذا رفض رئيس الدير لبقاء (حربى) بعدما عرف انه يملك سلاحاً. وتلك النظرية هي التي كفلت للدير وضعه واعطته قدره لدى جميع الاطراف ، على تضاربها، في مجتمع القرية. ومن جهة أخرى فإن هذا الايمان بدوره هو الوجه **الآخر للإيمان بفكرة العقيدة ذاتها لدى المصريين، وتقديس عقيدة كل منهم للآخر واحترامها وتلازمها المستمر وهو ما استطاع هذا العمل أن يؤكده بسلاسة مؤكدا على كيميائية علاقة جدلية قديمة كانت تجرى داخل النسيج الاجتماعي جريان الدماء والهواء في عروقنا قبل أن يأتي التطرف الحديث ويحاول فصل بعض عناصر المعادلة وإعادة تركيبها .**

ولعل هذا العنصر في اطار الدراما ، أي التعاون والحب والحميمية بين مسلمي القرية ومسيحييها، وذلك القدر الذي يحمله **الشيخ ابراهيم** شيخ الجامع المستنير البصير هو الذي قام ببعض التوازن المطلوب تجاه هذا الوصف الدرامي للشخصية الصعيدية في جمودها وتحجرها وضيق أفقها وكأنها ترتب نفسها على النظر للحياة من ثقب إبرة، حتى لو كانت ، شكليا متفرجة مثل(القنصل) **(عمر الحريري)** الذي اطاحت بهجته بانجاب طفل يرث أمواله بعقله فترك نفسه للغواية والوشاية والكراهية البشعة لاقرب الناس إليه ، ثم **صفية** التي ضاق بها العالم فلم تعد تراه الا من زاويتها هي فقط وباتت فكرة الانتقام مسلطة عليها ، تقودها إلى سلوك (نازى) مثل في تربية الطفل الذي انجبته على مفردات ذهنية محددة، وشعارات محددة وجمل بعينها مثل(حربى حمار.. الخ) وبحيث تبدو في النهاية وكأنها وهبت نفسها لهذه الفكرة وأصبحت حالة مستعصية لا يفلح معها أي شئ ولعل هذه الصورة البليغة للشخصية الصعيدية، تدفعنا للتساؤل عن كيفية خروجها من هذه الأطر التي تدور فيها، وحيث من الواضح أنه لا الأسرة ولا الجماعة ولا النظام والدولة استطاع هذا ، والكل يقف أمامها وكأنها طلسم حتى يومنا هذا.



بوسى المرأة الصعيدية بوجه جديد

من جهة أخرى تعكس هذه الرؤية، في مستوى أعمق يطرحه هذا العمل ، كيف دخل التطرف الديني إلى الشخصية الصعيدية وكيف بلغ معها من نجاح، لأنها في هذه الحالة تكون على نفس درجة التحجر في تنفيذ تعليمات رؤوس التطرف بحدة صارمة. ففي حالة تسلل الفكرة إليها . تصبح أداة نهائية في تنفيذها لهذا ازدهر التطرف في الصعيد على حسب ما نسمع وهو ازدهار لا يدين(الصعايدة) أنفسهم بقدر ما يدين الحكومات التي تركتهم يعيشون بلا تنمية حقيقية حتى اليوم، ولعل المسلسل لم يف هذه الفكرة حقها ، وإن كان قد قدم اشارات سريعة، لبطالة الشباب وظلم العمدة... لا تكفي .وربما جاء هذا بسبب محاولة الحفاظ على رواية **بهاء طاهر** بتركيبتها وبنيانها الشاعري المأساوي.

وربما لأجل هذا فأن هذه المأساة التي **انتهت بموت حربى وجنون بشاى حزنا عليه وموت صفية قهرا وحبا كانت أصلح لدراما أقصر مما قدمت أو فيلم سينمائي يطرح كنوزها** بدون **أن نشرب علقمها طويلا.**

عبد الوهاب عبـــد المحسن ورضـــا عبـــد الســـلام و منظـومـــة الفـــراغ فـى القوميـــة العـربيـــة

فاطمة اسماعيل

يقام بمجمع الفنون بالزمالك عرض التجربتين للفنانين **عبد الوهاب عبد المحسن** ورضا **عبد السلام** . أهمية هذا العرض هو دخول الفنانين فى «**القرية العالمية**» بتجربة شديدة المحلية والذاتية.

فمثلا تجربة **عبد الوهاب عبد المحسن** ارتبطت بالطبيعة ،بالذات طبيعة كفر الشيخ بلدته، على أساس من إظهار تلك العلاقة بين العالم المرئى واللامرئى، بمعنى آخر قدرة عبد **الوهاب** على **تحويل** المعطيات المرئية إلى تصورات ذهنية تذهب باللوحة إلى مستوى تشبع الشكل باللاشكل.

فالفنان لم ينقل الطبيعة كما يراها في كفر الشيخ ولم يحاكمها وإنما وضع تصوراته المعادلة لقانونها العام فى جمل خاصة وشديدة الذاتية.

يقوم بناء اللوحة عند الفنان على **الخط والتباين اللونى**. هذا الخط القادر على المطاوعة والليونة والتصلب والامتداد والتقاطع والاسترخاء، وقادر أيضا على صياغات انفعالية ،وهو ما ينأى باللوحة فى كثير من الاحيان عن الوقوع فى مأزق التزيين -Deco ration. كما وأن تلك الخطوط لا تمثل صورا لاشكال مستمدة من الطبيعة وإنما تمثل حالة تأليفية تكتسب قيما تشكيلية خاصة فيما تطرحه من علاقات بصرية وفيما تحيله من تصورات ذهنية.

وبتأمل لوحات **عبد الوهاب** نتأكد انه ليس ثمة شك فى أن البناء الأساسى الذى يؤلفه **الفنان لا يقف عند عنصرى الخط** واللون **وإنما أبضا يتخطى هذا إلى المشغول والفراغ فى اللوحة بصورة مميزة فى استدلال الشكل على الحركة**، فالفراغ إما متناثر داخل تلك الخطوط ومتداخل باعتباره مساحات لونية، وإما يحيط بمجموعات خطية من الخارج أو تتسع له الخطوط مجالا فى داخلها.

ومن الملاحظ أن الفراغ جزء من البناء التأليفى فى العمل عند الفنان فهو ليس فراغا موضوعيا أو محايدا وإنما هو فراغ «**كـ لون**» ،وحجم ، وحركة، ويمثل جملة ثانية فى المنظومة- **التأليفية والفراغ هنا**، علامة تسكين للحركة المتدفقة من داخل الخطوط أو تحريك للساكن منها .وهى أيضا إشارة تثبيت لعين **المشاهد** بغرض كسر «**حاجز الوهم**» الذى يولده **تجاور** الخطوط والألوان مما يعرف بـ «**الابهام البصرى**» المضلل للعين بالانطباعات البصرية الحركية .

فالفنان لا يقع فى إغراء هذه المهارات الشكلية. ولا يلجأ إلى الخط واللون ليضفى عليهما قيما تعبيرية وشاعرية من خلال هذا النص الشكلى المطروح.

هذا بالنسبة للوحات الخطية وان كنا نميز من بين تلك اللوحات الأعمال المونوكرومية التى تختزل العلاقات الحركية فى الخط واللون وتطرح جمله مختلفة الخط «**كحجم وخامة**» فالخط قد يكون شريحة من خامات متعددة من الحديد أو النحاس، أو الورق أو السلك. فى تلك اللوحات نستشعر خامه «**السلك**» ويقوم البناء فى المسطح على علاقة التلامس بين السلك الشائك والناعم والمتصلب واللين والحلزونى والممتد، **وتحييد** اللون ساعد الفنان على التركيز على تقديم جملة فنية واحدة تثرى قيمتها الشعرية من ذاتها بعيدا عن الابتزازات البصرية.

ثمة تساؤل نطرحه على أنفسنا أمام

تجربة عبد الوهاب فى لوحاته الأخيرة : عن مدى ضرورة تلك التهويمات التشخيصية فى مجموعة اللوحات التى اختفت الخطوط فيها على المسطح وتحولت إلى مساحات لونية سائلة تتدافع مع بعضها فتنكشف فى بعض مساحاتها عن التهويمات التى نتساءل عنها، قد تكون أرهاصات مرحلة قادمة بعد أن أستكمل الفنان التجربة السابقة بكافة اطروحاتها البصرية والذهنية.

ونأتى هنا لتجربة **رضا عبد السلام** وهى أكثر تعقيداً فى تناولها، وقبل أن نتناول التجربة ذاتها نقف قليلا عند مستوى تفاعل الفنان عقليا مع حالته الابداعية «**الأعمال المنتجة**».

فما نراه من أعمال مكتملة «من المؤكد لا يمثل إلا الموجود من مجمل الحالة الابداعية فاذا أتفقنا على أن أى عمل مكتمل» هو صورة أو موجود جزئى لـ «**تصور**» كلى ذهنى فى عقل الفنان ،اذا اتفقنا على ذلك فمن الطبيعى أن نعنى اذ بتفهم هذا «**التصور**».

ويسأل سائل لماذا نجهد أنفسنا لتفسير ما هو غير مرئى ، بينما العمل الفنى، موجود «شكل» والتعامل معه من خلال حاسة البصر بالدرجة الأولى؟!

هذا صحيح إلى حد ما كمرحلة أولى لمراحل القلق اذ نكون هنا أمام مرحلة القلق المباشر وهى أولى مراحل تفاعل العقل «مرحلة القلق الحسى» فاذا انتهى تفاعل القلق مع العمل الفنى عند المرحلة الأولى «المعرفة المباشرة» أصبحت رؤيته جزئية فنقول فى أعمال **رضا** نحن نرى عناصر تشخيص لاشياء، أجزاء من ماكينات -عجلة- عربة- وتشخيص بشرى- امرأة، وعناصر تجريد لعلاقات لونية وهنا نتقبل هذه الجزئيات باعتبارها جزءا موجودا دون أن نغير منها شيئا وذلك لفصلنا «الشكل» عن «تصوره» مما يفسد على الفنان الاستمتاع بتواصله مع المتلقى بكلية حالة أبداعه.. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان «الشكل» الذى نتلقاه نحن لن يكون هو نفس الشكل الذى أرسله **رضا عبد السلام** اذ أننا نتلقى «الموجود» الذى نراه نحن «**الآن**» وهنا بينما هو يرسل موجوداً له (الان) آخر وكذلك(هنا) أخرى .. اذن حين نتعرض للشكل فقط نجد أننا أمام تفاصيل وجزئيات تتعارض مع الفكر «الكلى» عند الفنان والذى يتجاوز حد الزمان والمكان وإن كان يشملهما معا.

واذا اعتبرنا أن هذا «الكلى» هو «التصور» فانه يعنينا بالضرورة أن نتأمل التصور عند **رضا عبد السلام** وهو أنه ينشر ادراكه للكلى الكامن فى الأشياء.

كلية الزمان والمكان بالجمع بينهما فى الايجاب والسلب.

ادراك هذا الكلى يجعلنا نتجاوز حدود الرؤية البصرية إلى الحوار العقلى لما يدركه رضا، «فالكلية» التى نتحدث عنها فى «تصوره» نترجمها فى العمل المكتمل إلى التحديث ، كضرورة للتواجد فى الـ Global Village «**القرية العالمية**».

فكلية «الآن» وكلية الـ «هنا» هى كلية «الزمان والمكان» التى تجعل الفنان يتجاوز واقعه إلى كونية أخرى.

بعد أن حاولنا تفسير جزء من فكر «**رضا عبد السلام**» «التصور» دون الالحاح على مقتضيات هذا التصور أو شروط تكوينه التى قد تعنينا فى الحالة البحثية نعود إلى العمل الفنى باعتباره «موجود» التصور الذى يتوجب علينا أن نباشره بصريا فى المقام الأول.

الشكل عند **رضا** مشبع بالتكوين والتحديث فهو يسعى للتجربة دون التصفية من الموضوعات البشرية أو الشيئية. فى هذا الشأن يسعى **رضا عبد السلام إلى الجمع** بين الكلى الحسى «العربة- الماكينة- العجلة- الترس» وأيضا الكلى الرياضى «المربعات، الدوائر ، المستطيلات».

اذا فنشاط العقل عند«رضا» يقوم على الحوار بالانتقال من كلى إلى كلى آخر- يبقى فى هذا أن نستشعر وحدة الايقاع فى هذا الحوار البصرى الذى يصوره **رضا عبد السلام**.. فهل استطاع أن يحقق وحدة إيقاع بين هذا الوجود الحسى وهذا الوجود الرياضى على سطح العمل؟

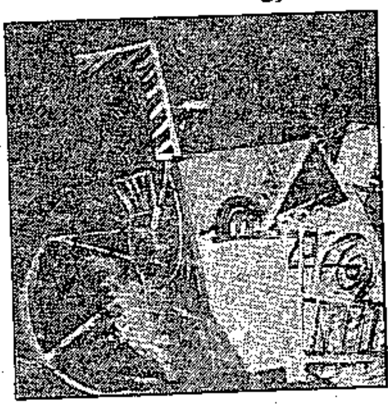
لا يقف النشاط العقلى فى تجربة **رضا** عند الحس الرياضى فى اللوحة وإنما يتجاوزه إلى الكليات «الخالصة» فى شاعرية الخامة حين يلصق على السطح خامات بمعالجة(الكولاج) مثل الخشب، الورق، القماش، الخردة.

هذه الشاعرية التى نحسها مثلا فى تناوله للورق بين التمزيق وشق ما بداخله بما يظهر اجزاء من باطن الورق فى علاقة متنوعة مع سطحه، منها أنه يضيف بعداً خاصا «بالحجم» وبعداً خاصا باختلاف الملامس بين سطح الورقة والمكشوف عنه من باطنها ، بل أيضا اختلاف درجة اللون فى الأبيض بين ظهر الورقة وباطنها.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تفريغ تلك الخامات من وظيفتها المعروفة وأيضا تجويدها عن أى ذاكرة سابقة.

نأتى إلى نقطة مهمة فى أعمال «**رضا عبد السلام**» وهى وجود «**الانسان**»فى اللوحة. نرى **رضا** يرسم الانسان فى معظم اللوحات (سلويت) وهو ما يجعله جزءا من التكوين منفصلا وإن كان دائما «محجما» فهو صغير إلى حد التهميش أو هو ساقط من أعلى أو من أسفل أو غائب فى عمق التكوين. إذن الانسان عند **رضا** هو «الأنا» الأنا باعتبارها الكلى فهى تقف فى نفس منطقة الكلية الخاصة بالزمان والمكان فى «تصور» الفنان وعلى الرغم من كليتها إلا أنها ذاتية الفنان الذى يستبعد فيها أن -تكون هى نفس الانا للاخرين فهى أمام الماكينات والعربات واجزاء الآلات تقف حائرة ما بين انبهارها بهذه العناصر التى تميز (عالم الصناعة) وبين قهرها وإحساسها بالعجز والتهميش والضآلة. تقف حائرة بين الإعجاب والتفاعل، وفى نفس الوقت الخوف والحذر من الدخول فى آليات جديدة.

اذن لا يمكن أن تكون هذه «الأنا» هى«الأنا» الغربية مثلا أو الصناعية وإنما هى الذات التى تشترك معها فى مسافة البعد الحضارى.



أجندة معارض شهر مايو

بينالى الخزف الدولى مجمع الفنون بالزمالك أول مايو لـ ١٦ مايو جورج بهجورى تصوير قاعة مشربية

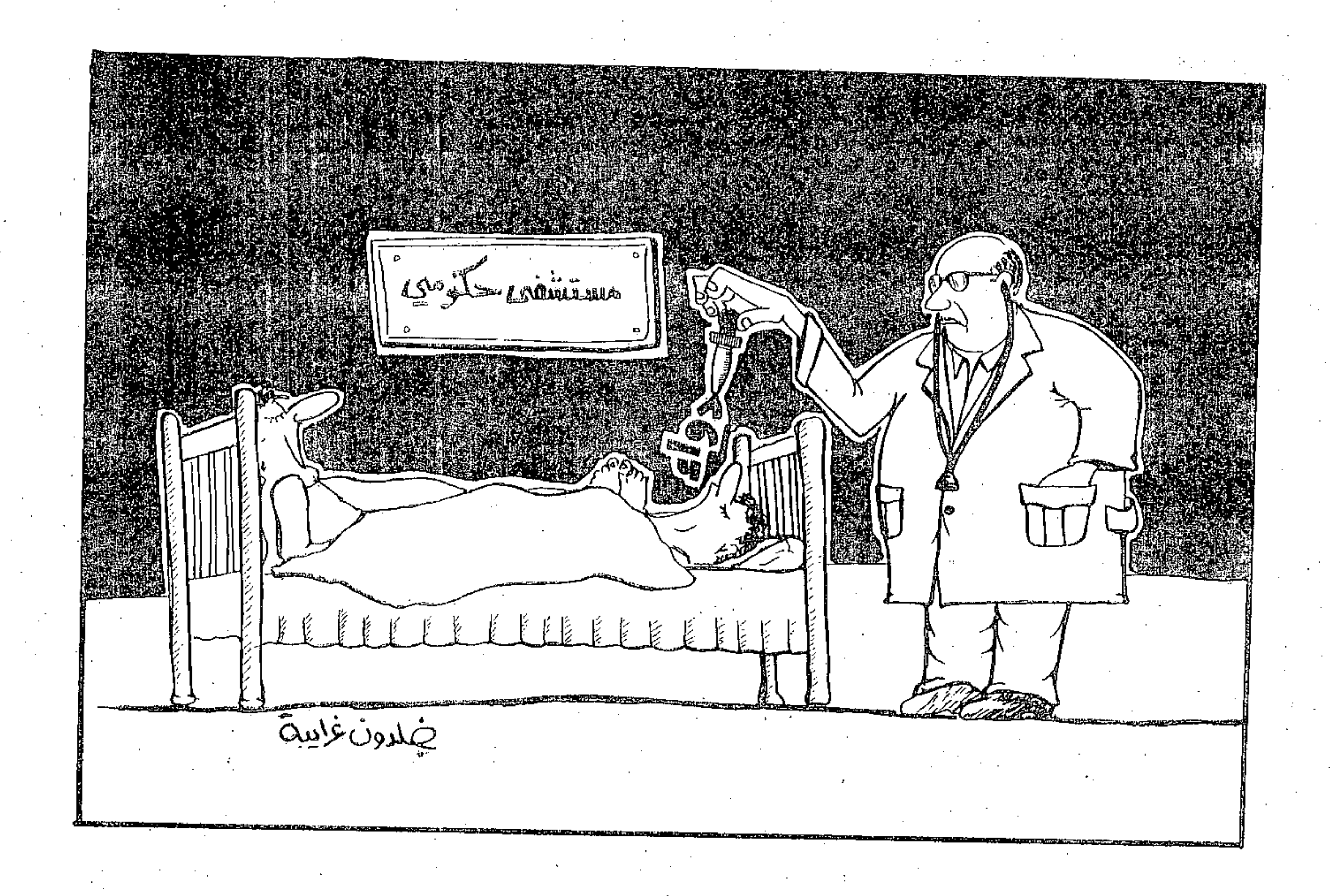
١٩ مايو إلى نهاية الشهر فتحى حسن «تصوير»

حسن عثمان «خزف» قاعة أكسترا

مجدى عبد العزيز «حفر» ،تصوير

مارجوفيون الفنانة السويسرية «تصوير» قاعة كايروبرلين.

عصمت داوستاشى تصوير قاعة سلامة.


مستشفى حكومي
خلدون غرايبة


جاهزون للمساومة
خلدون غرايبة

مشاغبات

مع صورة لأكرم الحوراني في وداع الرجل الذي أطلق العفريت من القمقم

لعلها مجرد مصادفة، أن «أكرم الحوراني» قد مات في ٢٢ فبراير ١٩٩٦، في اليوم نفسه الذي أجرى فيه - قبل ٣٨ عاما بالضبط - الاستفتاء الشعبي على الوحدة المصرية السورية، كما كانت مصادفة - لاتخلو هي الأخرى من دلالة أن «عبد الناصر» قد مات في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، في اليوم نفسه الذي وقع فيه، قبل اثنتي عشر عاما من ذلك التاريخ، الانقلاب الذي قصم تلك الوحدة.

أما المؤكد، فهو أن «أكرم الحوراني» كان واحدا من أهم سياسيي الجيل الثاني من قادة حركة التحرير العربي الذي بدأ في مطلع الثلاثينيات - يتمرد على جيل الآباء، ويضيق بطريقة إدراتهم للصراع مع الاستعمار، ويندد بأسلوب استثمارهم لثورات الشعوب العربية، خلال - وفي أعقاب - الحرب الكونية الأولى، ويدعو إلى حلقة أخرى من الثورة القومية التي تعثرت، تستكمل الاستقلال الناقص، اوالديمقراطية المقيدة، مستلهما - بدرجة أو بأخرى- ثلاثة نماذج للنهوض القومي، من بين أنقاض هزائم مريرة. ألهبت خيال شباب تلك الأيام: أتاتورك وهتلر وموسوليني.

وليس في حياة «أكرم الحوراني» الشاب، أو في تقلباته السياسية، ما يدعو للدهشة، فهكذا كان معظم الجيل، ثائر على جيل الآباء الذي كان يصفه بأنه جيل المساومات والمفاوضات والتنازلات والأحلام المتواضعة، راغبا في تحطيم البناء الذي كان قائما، عاجزا عن تصور البديل، تاركا ذلك إلى ما بعد التخلص من الفساد المقيم.. وهكذا إنتقل «الحوراني» من مقاومة الاقطاع الزراعي العائلي في وسط سوريه ليعبر الحدود إلى العراق مع فريق من الضباط السوريين الشبان ليدعموا ثورة رشيد على الكيلاني، ثم يعود ليشترك مع تشكيلة أخرى منهم في مقاومة المحتلين الفرنسيين، وليكون في طليعة أفواج المتطوعين العرب، التي دخلت فلسطين - في بداية ١٩٤٨- لكي يساعدوا شعبها على مقاومة خطة تسليمها للصهاينة.

وعبر تلك التجارب، كان «الحوراني» قد اقتنع، كما اقتنع معظم الجيل، بأن الجيوش العربية، هي الأداة الوحيدة الصالحة لإتمام الانقلاب الذي يحقق كل أحلامه: استرداد لواء الاسكندرونة السليب، وفلسطين السليبة، واتمام الاستقلال الناقص، وتحرير الديمقراطية المقيدة، وإقامة دولة عربية مستقلة وموحدة وديمقراطية من المحيط إلى الخليج، فبدأ يشجع زملاءه وأنصاره من جيل الغضب، على الالتحاق بالكلية العسكرية السورية ب «حمص»، وهو ما فعلته حركات أخرى تنتمي للجيل نفسه- كالاخوان المسلمين والبعثيين والقوميين السوريين والقوميين العرب- آنذاك، وبعد ذلك، في مصر وفي سوريا وفي العراق.

وهكذا دخل أكرم الحوراني التاريخ، باعتباره المسئول الأول وإن لم يكن الوحيد- عن إقحام العسكريين العرب في الحياة السياسية لبلادهم وعن إطلاق العفريت من القمقم، بكل ما ترتب على ذلك من خير وشر، ومن نصر وهزيمة، ومن مجد وعار!

ومنذ انقلاب حسني الزعيم في عام ١٩٤٩، والذي كتب له «الحوراني» البلاغ رقم واحد - وحتى الانقلاب الذي قضى على عهد الانفصال في سوريا عام ١٩٦٣، ظل يظهر دائما في كواليس أو في مقدمة مسلسل الانقلابات العسكرية السورية التي لاحصر لها، وزيرا ومنظرا وفيلسوفا ومؤيدا متحمسا في الفصل الأول، ثم معارضا ومناوئا في الفصلين الثاني والثالث!

كانت المشكلة التي واجهت «أكرم الحوراني» تكمن - في كل مرة- في اعتقاده بأن دور العسكر ينبغي أن يقتصر على قلب النظام القديم، ثم يعودون إلى ثكناتهم، بعد أن يسلموا السلطة إلى جيل جديد من المدنيين يستكمل ما عجز الجيل السابق عن إتمامه من أهداف الوطن والأمة، لكنه اكتشف- بعد أول انقلاب- أن العسكر كالعفريت الذي يطلقه الإنسان من القمقم الذي حبسه فيه سيدنا سليمان، وهو لايعرف الذي يمكن أن يصنعه هذا العفريت بعد مغادرته لثكناته، ولايعرف كيف يعيده إلى القمقم. فكان عليه أن يواصل الطريق الذي بدأه، وأن يصلح ما يعتقد أنه أخطاء العفريت، بإطلاق عفريت آخر، أو تسوية انقلاب على الانقلاب وإطلاق عفريت ضد العفريت.

ومع أن هذه العفاريت على اختلاف وتناقض توجهاتها، حققت له ما كان يريده، فأزاحت جيل الآباء القديم، بل وخلقت لنفسها ملامح بناء جديد، كان فيه ملامح كثيرة،مما حلم به الجيل الذي كان ينتمي إليه بل وخلقت ملامح أخرى للحلم، إلا أن القوة التي تملكها سخرت بالأساس لحماية بقائها في السلسة أكثر من تسخيرها لتحقيق أهم تلك الأحلام، وسرعان ما أدركتها الشيخوخة مبكرا، فسارت على درب آبائها، تساوم وتفاوض وتتنازل!!

وربما لهذا السبب بدأ «أكرم الحوراني» تأثيره السياسي عقب هزيمة ١٩٤٩، لينتهي عقب هزيمة ١٩٦٧، التي عاش بعدها ثلاثين عاما مريرة، يتأمل الحصاد الذي حصدته الأمة، بسبب مغامرته بإطلاق العفريت من القمقم، وعندما تعب اختار أن يموت في العيد الثامن والثلاثين للوحدة.

صلاح عيسى